


مؤلفة رواية *The Bone Garden*




# نادى مفيستو

رواية

أفضل الكتب مبيعاً على قوائم نيويورك تايمز

نادی مفیستو

تحدقان إليها من فوق عدسات نظارته، وسألها، "ما الذى عثرت عليه من بصمات هذه اليد؟".

"صاحب هذه اليد ليس لديه أى سجل إجرامى أو سجل خدمة عسكرية، لا شىء فى المركز الوطنى للمعلومات الجنائية".

"أليست على أى قائمة بيانات؟".

"ليست بصمات أصابعها على أية حال".

"وتلك اليد أليست نفاية طبية؟ ربما تكون مبتورة بالمستشفى".

قال فروست: "لقد تحققت فى كل مركز طبى بمنطقة بوسطن الكبرى، وفى الأسبوعين الماضيين كانت هناك يدان مبتورتان، واحدة بمركز ماس جين، والأخرى بمستشفى بيلجريم، وكلاهما نتيجة جرح، الأولى كانت حادثة إصابة بمنشار، والأخرى كانت جراء هجوم كلب على الضحية، وفى كلتا الحالتين، كانت حالة اليدين سيئة ولا يمكن إعادة تركيبهما، والحالة الأولى كانت لرجل".

قالت جان: "هذه اليد لم تنتج من نفايات أحد المستشفيات، ولم تكن بحالة سيئة، بل تم تشريحها بنصل حاد ومسنن، ولم يتم البتر بأى مهارة جراحية، فجزء من عظم الذراع تم قطعه أيضا بدون أى محاولة واضحة لوقف نزيف الدماء، فلا توجد أوعية دموية مثنية أو تحليل لطبقات الجلد، مجرد قطع محض".

"هل لدينا أشخاص مفقودون قد يتوافقون مع بحثنا؟".

قال فروست: "ليس فى ماساشوسيتش، ونحن نوسع شبكة البحث، أى امرأة بيضاء لم تفقد من فترة طويلة لأن اليد تبدو حديثة جدا".

قال ماركويتى: "ربما تم تجميدها".

قالت جان: "لا، فوفقا لكلام د. آيسلز لم يظهر أى تدمير فى الخلايا أثناء الفحص بالمجهر، فعندما تتجمد الأنسجة، ينتج عن تمدد الماء انفجار الخلايا وهى لم تجد ذلك، فيمكن تجميد اليد أو تخزينها فى المياه المجمدة كما يفعلون عند نقل الأعضاء، لكنها لم تتجمد، لذلك فنحن نعتقد أن صاحبة هذه اليد ربما قتلت فى أيام قليلة مضت".

قال زوكر: "إذن كانت قد قُتلت".

نظروا جميعا إليه، فالإيحاءات الرهيبة لكلامه جعلتهم جميعا يتوقفون عن الحديث.

قال فروست: "أتعتقد أنها يمكن أن تكون حية؟".

"عمليات قطع أجزاء من الجسم ليست مميتة".

قال فروست: "يا رجل، هل قطعت يدها بدون قتلها...؟".

قلب زوكر باقى صور معمل التشريح، وتوقف مركزا على كل صورة كالصائغ وهو ينظر لجواهره بعدسته المكبرة، وفى النهاية وضعها جانبا وقال: "هناك سببان محتملان يجعلان القاتل يقطع الجسد، السبب الأول عملى جدا، فهو يحتاج إلى الترتيب، وهؤلاء هم القتلة الواعون بأهدافهم، فهم يدركون حاجتهم إلى إظهار الأدلة الجنائية وإخفاء جرائمهم".

قال فروست: "القتلة المحترفون".

"وإذا تبع عملية التقطيع بعثرة أو إخفاء أجزاء الجسد، فذلك يشير إلى التخطيط، وإلى قاتل منظم".

قالت جان: "لم تكن هذه الأجزاء ظاهرة بأية حال، بل تركها مبعثرة فى المنزل فى أماكن يعرف أننا سنجدها فيها".

وأعطت زوكر مجموعة من الصور وقالت: "هذه الصور من مسرح الجريمة".

وفتح الملف وتوقف محدقا فى الصورة الأولى وغمغم قائلاً: "هذا يجعل الأمر أكثر تشويقاً".

*ينظر إلى اليد المقطوعة على طبق الطعام، وتلك هى الكلمة التى تخطر على باله.*

نظر إلى جان وقال: "من أعد منضدة الطعام؟ من وضع الأطباق وأدوات المائدة الفضية؟".

"نحن نعتقد أن القاتل هو فعل ذلك".

"لماذا؟".

"من يعرف السبب بحق الجحيم؟".

"أنا أقصد، لماذا تفترضين أنه هو من فعل ذلك؟".

"لأن هناك بقعة من الدماء تحت أحد الأطباق، حيث قام القاتل بوضعها".

"هل توجد بصمات أصابع؟".

"لا، للأسف، فقد ارتدى قفازات".

"دليل على التخطيط المسبق والمدبر"، وحول زوكر بصره مرة ثانية إلى الصورة وأضاف: "هذه المنضدة مجهزة لأربعة أفراد، هل ذلك أمر واضح؟".

"تخمينك فى مثل جودة تخميننا، فهناك ثمانية أطباق فى الخزانة . فكان يمكنه وضع أطباق أكثر، لكنه اختار استعمال أربعة فقط".

وسأل الملازم ماركويتى: "ما الذى تعتقد أننا نتعامل معه فى هذه القضية، د. زوكر؟".

لم يجب الطبيب النفسى، وتأمل الصور ببطء، وتوقف عند صورة الذراع المقطوعة فى حوض الاستحمام، ثم انتقل إلى صورة المطبخ وتوقف، وساد صمت طويل جدا، وحدق إلى الشموع الذائبة والدائرة المرسومة على الأرضية، والشىء الموضوع فى مركز الدائرة.

قال فروست: "يبدو لى ذلك نوعاً من طقوس التجهيز السحرى؛ دائرة الطباشير والشموع المشتعلة".

نظر زوكر إليهم قائلا: "يبدو ذلك شيئاً كالطقوس بالفعل". وقد أدت اللمعة التى ظهرت فى عينيه إلى إصابة مؤخرة رقبة جان بالبرودة، فسألها قائلاً: "هل رسم القاتل هذه الدائرة؟".

ترددت جان، فقد فاجأها سؤاله وقالت: "أتقصد - كمقابل للضحية؟".

"أنا لا أسوق أية افتراضات هنا، وآمل أن تكونى مثلى، ما الذى يجعلك متأكدة من أن الضحية لم ترسم هذه الدائرة؟ وأنها لم تشارك فى الطقوس؟".

شعرت جان برغبة فى الضحك، *نعم، أنا أيضا سأتطوع بقطع رأسى،* وقالت: "إن القاتل هو الذى رسم هذه الدائرة ووضع هذه الشموع، لأننا لم نجد أى قطع من الطباشير بالمنزل، وقد أخذها القاتل معه بعد أن رسم الدائرة على الأرض".

مال زوكر للخلف فى مقعده وهو يفكر ثم قال: "إذن فقد قام هذا القاتل ببتر أجزاء الجسد، لكنه لم يخفها، ولم يشوه الوجه، وترك لنا بعض الأشياء القليلة كدليل شرعى وجنائى، وذلك يشير إلى وعيه بقوة القانون، فقد ترك لنا بالفعل - افتراضا - أكبر مفتاح للقضية: أجزاء من جسد ضحية أخرى"، سكت ثم قال: "هل وجدتم آثارًا لسائل منوى؟".

"لم نعثر على شىء بجسد الضحية".

"ومسرح الجريمة؟".

"وحدات مسح مسرح الجريمة مسحت المنزل كله، وعثروا على شعر لا يحصى، لكن لم يحصلوا على سائل منوى".

"مرة ثانية، خصائص السلوك الواعى، فلم يترك أى دليل على نشاط جنسى. وإن كان قاتلاً جنسياً، فمن المؤكد أنه تحكم بنفسه جيدا لينتظر حتى يشعر بالأمان ليستمتع بما سيخرجه".



إلى نيل وماري

## شكر وتقدير

كل كتاب يعتبر تحدياً عند كتابته، مثل جبل يستحيل تسلقه، ومهما كانت صعوبة الكتابة، فما يشجعنى هو مساندة الزملاء والأصدقاء الرائعين الذين وقفوا بجانبى. كل الشكر إلى وكيلتى الرائعة، ميج رولى، وفريق العمل الموجود بوكالة جان روترسون، فإرشاداتكم كانت بمثابة النجمة التى توجهنى. والشكر أيضا إلى محررتى المدهشة، ليندا مارو، التى يمكنها جعل أى كاتب متألقاً، وأيضا الشكر إلى جينا كينترلو لحماستها المتقدة على مدار السنين، والشكر أيضا إلى جيلى هيلبارن لانتباهها الكريم معى. وعلى الضفة الأخرى، أشكر سيلينا ووكر التى كانت مشجعتى التى لا تلين.

وفى النهاية، يجب أن أشكر الشخص الذى قضى معى أكثر الأوقات؛ زوجى جاكوب فهو يعرف مدى صعوبة الزواج من كاتبة. ومع ذلك فهو مازال معى.

" ودمر كل أرواح الهلاك،
وأطفال الحراس، لأنهم قد آذوا الجنس البشرى".

*ـــ كتاب إينوخ*

نص قديم، القرن الثانى ق. م.

# الأول

**إنهم يبدون كعائلة مثالية.**

ذلك ما فكر فيه الفتى عند وقوفه بجوار قبر أبيه المفتوح، ليستمع إلى رجل الدين وهو يتلو مراسم التأبين. كانت هناك مجموعة صغيرة فقط من الأشخاص هم الذين تجمعوا فى هذا اليوم الحار من شهر يونيو ليحضروا جنازة مونتاجيو سول، لم يكونوا أكثر من اثنى عشر شخصا، وقد قابل الفتى العديد منهم للتو. طوال الأشهر الستة السابقة كان الفتى ملتحقا بإحدى المدارس الداخلية، واليوم هو يرى بعض هؤلاء الأشخاص للمرة الأولى، وأغلبهم لم يرق له على الأقل.

لكن عائلة عمه قد أثارت انتباهه كثيرا، فهم يستحقون الدراسة.

الطبيب بيتر سول يشبه أخاه الراحل مونتاجيو كثيرا، فهو نحيل ومفكر ويرتدى نظارات تشبه أعين البوم، وشعره البنى الخفيف يبدو أنه فى طريقه إلى الصلع الحتمى. وزوجته، آمى، لديها وجه دائرى جميل، وكانت توجه نظرات قلقة إلى ابن أخى زوجها ذى الخمسة عشر عاما، وترغب فى أن تضمه بين ذراعيها. أما ابنهما تيدى ذو العشر سنوات فقد كان نحيف الذراعين والقدمين. فهو من نفس فصيلة بيتر سول بنفس النظارات التى تشبه أعين البوم.

وفى النهاية، كانت تقف ابنتهم، ليلى، ذات الستة عشر عاما.

كانت هناك خصلات تنسدل من ضفيرة شعرها ملتصقة بوجهها الآن بسبب الحر. وكانت تبدو غير مرتاحة فى فستانها الأسود، وظلت تحركه للأمام والخلف، كما لو كانت تستعد للانطلاق. فهى تفضل أن تكون فى أى مكان آخر باستثناء هذه المقبرة، حيث ينبغى عليها أن تلوح بيديها باستمرار لتبعد عنها الحشرات.

إنهم يبدون طبيعيين وعاديين جدا، ويختلفون كثيرًا عنى. كانت هذه وجهة نظر الفتى. وبعد ذلك قابلت نظرات ليلى نظرات الفتى، وشعر برجفة المفاجأة، مفاجأة التعارف المتبادل. وفى تلك اللحظة، شعر تقريبا بأن نظرتها اخترقت الجوانب المظلمة من عقله، وتفحصت كل الأماكن السرية التى لم يرها أحد من قبل، والتى لم يسمح لأى فرد برؤيتها.

وعند شعوره بالقلق، نظر بعيدا عنها، وركز، عوضا عن ذلك، على الأشخاص الآخرين الواقفين حول المقبرة: مدبرة منزل والده والمحامى وسكان المنزلين المجاورين لمنزل والده؛ مجرد معارف حضروا فقط من باب اللياقة، وليس العاطفة. فقد عرفوا مونتاجيو سول فقط كباحث هادئ عاد مؤخرا من قبرص، والذى قضى أيامه منكبا على الكتب والخرائط وقطع صغيرة من الفخار. فى الواقع، هم لا يعرفون الرجل، كما لا يعرفون ابنه.

وفى النهاية انتهت الجنازة، وتحرك الجمع نحو الفتى مثل الأميبا ليغمروه بالعطف وليخبروه بمدى أسفهم لفقدانه والده بعد انتقاله إلى الولايات المتحدة بفترة قصيرة جدا.

وقال له رجل الدين: "على الأقل لديك عائلة هنا لتساعدك".

قال الفتى محدثا نفسه عند اقتراب تيدى الصغير منه بدفعة من والدته: عائلة؟ نعم، يفترض أن هؤلاء الأفراد هم عائلتى.

قال تيدى الصغير: "ستصبح أخى من الآن فصاعداً".

"أنا؟".

"لقد جهزت أمى غرفتك، إنها بجوار غرفتى مباشرة".

"لكننى أعيش هنا، فى منزل والدى".

شعر تيدى بالارتباك، ونظر إلى والدته قائلا: "ألن يأتى معنا إلى المنزل؟".

قالت آمى سول بسرعة: "يا عزيزى لا يمكنك أن تعيش هنا بمفردك، فأنت لا تزال فى الخامسة عشرة. فربما تحب الوضع فى بيورتى، وترغب فى البقاء معنا".

"مدرستى فى كونيكتيكت".

"نعم، ولكن السنة الدراسية انتهت الآن. وإذا أردت الذهاب إلى مدرستك الداخلية فى شهر سبتمبر، فيمكنك ذلك بالطبع. لكنك ستأتى معنا فى الصيف".

"لن أكون وحيدا هنا، فأمى ستأتى من أجلى".

وساد صمت طويل، ونظرت آمى وبيتر إلى بعضهما، واستطاع الفتى أن يخمن ما يفكرون فيه. لقد هجرته والدته منذ عدة أعوام مضت.

قال بإصرار: "إنها آتية من أجلى".

فقال العم بيتر برقة: "سنتحدث فى ذلك الأمر فيما بعد يا بنى".

وفى المساء، ظل الفتى مستيقظا فى سريره، بمنزل والده الريفى، مستمعا إلى همهمة عمه وزوجة عمه بالأسفل داخل المكتب، وهو نفس المكتب الذى عمل فيه مونتاجيو سول فى الشهور السابقة ليترجم قصاصات البردى الصغيرة، وهو أيضاً نفس المكتب الذى داهمته فيه أزمة قلبية وسقط فيه على طاولته منذ خمسة أيام، وهؤلاء الأشخاص هناك بين أشياء والده الغالية، فقد كانوا كالغزاة فى منزله.

"إنه مازال صغيرا يا بيتر ويحتاج لعائلة".

"لا نستطيع إجباره على الانتقال إلى بيورتى إذا لم يكن يرغب فى المجيء معنا".

"عندما كنت فى الخامسة عشرة من عمرك، لم يكن القرار بيدك فى مثل هذه الأمور، فالبالغون هم من عليهم اتخاذ القرارات الصعبة".

نهض الفتى من سريره وتسلل من غرفته، وسار ببطء حتى منتصف السلم ليستمع إلى المحادثة.

"وقل لى، كم عدد البالغين الذين يعرفهم؟ فأخوك لم يكتسب هذه الأهلية، فقد كان منهمكا جدا فى دراسة خيوط المومياوات القديمة، وربما لم يلحظ أبدا وجود طفل تحت قدميه".

"يا آمى، هذا ليس عدلا، فأخى كان رجلا صالحا".

"صالحا، ولكن مغفلا. فأنا لا أعرف أى نوع من النساء تحلم بأن يكون لديها طفل منه. وبعد ذلك تترك الفتى ليربيه مونتى؟ أنا لا أفهم أى امرأة تفعل ذلك".

"مونتى لم يقصر فى تربيته، فالطفل يحصل على درجات عالية بالمدرسة".

"أهذا مقياسك للأب الصالح؟ أن يحصل الطالب على درجات عالية؟".

"وهو أيضا شاب متزن. انظرى إلى تصرفاته خلال الجنازة".

"يا بيتر، إنه لا يبالى. هل رأيت أى انفعال على وجهه اليوم؟".

"كان مونتى مثله، أيضا".

"تقصد من أصحاب الدم البارد؟".

"لا، بل أقصد أنه مفكر، ومنطقى".

"وفوق كل ذلك، أنت تعرف أن الفتى سيحرج بعد فترة صغيرة، فمقدار احتياجه لأمه الآن يجعلنى أرغب فى البكاء، وكذلك مدى إصراره على أنها ستأتى ثانية من أجله فى الوقت الذى نعرف فيه جميعنا أنها لن تأتى".

"لسنا متأكدين من ذلك".

"لم نقابل تلك المرأة من قبل! فقد كتب لنا مونتى من القاهرة فى أحد الأيام يخبرنا أنه رزق بطفل صغير. فكل ما نعرفه، أنه أخذه من بين القصب".

وسمع الفتى صرير الأرض من فوقه، وألقى نظرة سريعة تجاه قمة السلالم، فأصابه الرعب عند رؤيته لابنة عمه ليلى تحدق فيه عبر الدرابزين. فقد كانت تراقبه، تدرسه، كما لو كان مخلوقا غريبا لم تصادفه من قبل وتحاول أن تعرف هل هو خطير أم لا.

قالت العمة آمى: "أوه! هل استيقظت؟".

خرج عمه وزوجة عمه من المكتب للتو، واقفين أسفل السلم، ينظران إلى الأعلى ناحيته. ويبدو عليهما قليل من الرعب، أيضا، خوفا من احتمالية سماعه لمحادثتهم كاملة.

قالت آمى: "أتشعر بأنك على ما يرام، يا عزيزى؟".

"نعم، يا زوجة عمى".

"إن الوقت متأخر جدا. ربما عليك الرجوع إلى سريرك الآن".

لكنه لم يتحرك، وتوقف على السلالم لمدة دقيقة، وتساءل عما سيكون الأمر عليه إذا عاش مع هؤلاء الناس. ما الذى قد يتعلمه منهم، فقد يكون قضاء الصيف رائعا معهم حتى تأتى والدته.

وقال: "عمتى آمى، لقد اتخذت قرارى".

"بخصوص ماذا؟".

"بخصوص الصيف، وأين أحب أن أقضيه".

وافترضت الأسوأ بشكل مباشر، وقالت: "رجاءً، لا تكن متسرعا! فلدينا منزل لطيف جدا، يطل على الحديقة مباشرة، وسيكون لديك حجرتك الخاصة. على الأقل زر منزلنا قبل أن تقرر".

"لكنى قررت البقاء معكم".

فتوقفت زوجة عمه، مذهولة لفترة قصيرة، وبعد ذلك ابتسمت، وصعدت السلالم مسرعة لتحتضنه. كانت رائحتها مثل حساء الحمامة و شامبو بريك. وبعد ذلك ربت العم بيتر برقة على كتفيه، فتلك كانت طريقته فى الترحيب بابن جديد. وسعادتهم كانت مثل شبكة من غزل البنات، تسحبه إلى عالمهم الخاص، حيث كان كل شىء هو الحب و السعادة والضحك.

قالت آمى: "الأولاد سيكونون سعداء جدا لأنك ستأتى معنا!".

نظر الفتى إلى أعلى السلالم، لكن لم تكن هناك، فقد تسللت بعيدا بدون أن يلاحظها أحد. وقال الفتى لنفسه: سيكون علىَّ مراقبتها، لأنها تراقبنى بالفعل.

قالت آمى: "أنت جزء من عائلتنا الآن".

وعند صعودها للسلم معه، كانت قد أخبرته بخططها لهذا الصيف؛ كل الأماكن التى سيزورونها، وكل الوجبات الخاصة التى ستطهوها له عند رجوعهم للمنزل. وكانت تبدو سعيدة، أو حتى متوترة، مثل أم مع طفلها الجديد.

ولم يكن لدى آمى سول فكرة عما يوشكون على إحضاره معهم إلى البيت.

# الثانى

*بعد اثنتى عشرة سنة .*

ربما كان الأمر كله خطأ منذ البداية.

توقفت الدكتورة مورا آيسلز خارج أبواب دار العبادة، مترددة فى الدخول، فيما دخل آخرون، ووقفت هى بمفردها ليلا والثلج يتساقط على رأسها. وعبر بوابات دار العبادة المغلقة سمعت عازفة الأرغن قد بدأت العزف فعلمت أن كل فرد بالداخل قد جلس الآن. فإذا كانت ستشاركهم فذلك هو الوقت المناسب للدخول.

وترددت، لأنها لا تنتمى إلى الموجودين داخل دار العبادة هذه، لكن الموسيقى نادتها، كما توقعت دفء وبهجة الطقوس المعتادة. وقفت بمفردها فى الخارج، فى الشارع المظلم بمفردها فى عشية يوم رأس السنة.

وصعدت سلالم دار العبادة، إلى داخل المبنى.

حتى فى هذه الساعة المتأخرة، كانت المقاعد ممتلئة بالعائلات والأطفال النائمين الذين أيقظهم آباؤهم من نومهم ليحضروا هذه المناسبة فى منتصف الليل. وقد جذب حضور مورا المتأخر انتباه العديد من الحضور، ومع تلاشى ألحان "أديستى فيدلز"، جلست فى أول مقعد فارغ وجدته، فى نهاية القاعة. وكان عليها الوقوف على قدميها ثانية بعد جلوسها مباشرة تقريبا، لتقف مع الباقين بسبب بدء أغنية

الدخول. ودخل السيد دانيال بروفى وقال: "مرحباً بكم جميعاً".

همهمت مورا مع الحضور: "وبك أيضا". حتى بعد كل السنوات بعيدا عن دار العبادة، تدفقت الردود بتلقائية من بين شفتيها، فقد رسخت فى عقلها منذ أيام الطفولة

ورغم أن دانيال لم يكن يعلم بحضورها، فقد كانت مورا تركز عليه تماما، على شعره الأسود، على إيماءاته الجميلة، وصوته العذب الجهورى. واليوم يمكنها رؤيته بدون خجل، وبدون إحراج. فتحديقها فيه اليوم كان آمنا.

سمعت مورا سعال الأطفال وتذمرهم المكتوم، عند الجلوس على المقاعد مرة أخرى. وقالت لنفسها: يا لها من مفاجأة أن ترانى هنا اليوم، يا دانيال؟

وتخلص دانيال من حشرجة فى صوته، ونظر ثانية إلى مذكراته، وأكمل القراءة.

ورغم معرفته أنها الآن تجلس بين جمهوره، فلم تلاق نظراته نظراتها ثانية. ليس أثناء غناء "كانتانى دومينو" و"دايس سانكتيفاكتس" أو أثناء جمع التبرعات. وظلت مورا فى مقعدها رغم أن الآخرين قاموا وتقدموا للأمام ليشاركوا فى الاحتفال.

إذن فما الذى أفعله هنا؟

ومع ذلك فقد ظلت جالسة حتى انصراف الجميع.

وانتهى الاحتفال الآن، وبدأ الحضور فى الانصراف، يربطون معاطفهم، ويشدون قفازاتهم فى طريقهم لباب الخروج. ومورا، أيضا، وقفت وكانت ستسير فى المشى مثل بقية الحاضرين عندما لاحظت دانيال يحاول جذب انتباهها، يطلب منها، بهدوء، ألا تغادر. فجلست مرة ثانية، وهى تدرك نظرات الآخرين وهم يمرون بجوار مقعدها. فهى تعرف ما رأوه، أو ما تخيلوا أنهم رأوه: *امرأة وحيدة، تتلهف لكلمات رجل تريحها فى عشية يوم رأس السنة.*

*أم تراهم رأوا أكثر من ذلك؟*

لم تبادلهم النظرات. وبخلو دار العبادة، وجهت نظرها إلى الأمام مباشرة، مركزة برزانة على بروفى. وفكرت فى نفسها قائلة: الوقت متأخر، ويجب علىَّ الذهاب للبيت. فأنا لا أعلم ما الفائدة المتوقعة التى سأجنيها من الانتظار.

"مرحبا، مورا".

نظرت أمامها وتلاقت نظراتها مع نظرات دانيال. ودار العبادة لم تكن خالية تماما. فعازفة الأرغن ما زالت تجمع النوتة الموسيقية، ومازال العديد من أعضاء الكورال يرتدون معاطفهم، وعند الوقت الذى نظر فيه دانيال إلى مورا، ربما كانت هى الوحيدة بالغرفة.

قال دانيال: "لقد مر وقت طويل منذ آخر زيارة".

"أفترض ذلك".

"ليس منذ أغسطس، أليس كذلك؟".

"إذن فأنت أيضا مازلت على الدرب".

جلس على المقعد المجاور لها، وقال: "فاجأتنى لرؤيتكِ هنا".

"رغم كل شيء، فإنها عشية يوم رأس السنة".

"لكنك لا تؤمنين بذلك".

"ما زلت أستمتع بالطقوس والأغانى".

"هل هذا السبب الوحيد الذى جعلك تأتين إلى هنا؟ لتغنى بعض الترانيم؟".

"أردت سماع بعض الموسيقى. وأن أكون وسط أشخاص آخرين".

"لا تخبرينى أنك ستقضين طوال الليل بمفردك".

هزت كتفيها وابتسمت: "أنت تعرفنى، يا دانيال. أنا لست حيوان حفلات".

"اعتقدت فقط ... أقصد، افترضت ...".

"ماذا؟".

"أنك مع شخص ما، خاصة الليلة".

"أنا. أنا معك".

صمت الاثنان عند مرور عازفة الأرغن على المشى، وهى تحمل حقيبة آلتها الموسيقية، قائلة: "مساء الخير، أيها السيد بروفى".

"مساء الخير، مدام إيستون. أشكرك على الأداء الممتع".

"كان ذلك من دواعى سرورى". ووجهت عازفة الأرغن نظرة فاحصة إلى مورا، وبعد ذلك أكملت سيرها إلى باب الخروج. وسمعا صوت الباب وهو يغلق، وأخيرا أصبحا بمفردهما فى النهاية.

سألها: "إذن، لماذا طالت غيبتك؟".

"حسنا، أنت تعرف أن الأعمال المتعلقة بالموت لا تنتهى أبدا. أحد أخصائيى علم الأمراض دخل المستشفى لإجراء جراحة منذ عدة أسابيع، ووجب علينا القيام بعمله. وكنت مشغولة جدا، هذا كل ما فى الأمر".

"يمكنك أن ترفعى سماعة الهاتف وتجرى اتصالا".

"نعم، أنا أعلم". ويمكنه أيضا فعل ذلك لكنه لم يفعله أبدا.

لم يتخط دانيال بروفى حدوده أبدا، وقد يكون ذلك شيئاً جيدًا – فقد كان كل منهما يقاوم الإغراء.

وسألته: "إذن، ما أحوالك؟".

"أسمعت عن حادث إطلاق النار على الأب روى؟ فقد استدعونى كرجل دين للشرطة".

"لقد أخبرتنى المحققة ريزولى عن ذلك".

"لقد كنت فى مسرح الجريمة منذ عدة أسابيع. فقد تم إطلاق النار على ضابط شرطة. ورأيتك هناك".

"لم أرك، كان عليك أن تلقى السلام علىَّ".

"حسنا، كنت مشغولة، منهمكة في عملك كالمعتاد".

وابتسم قائلا: "يمكنك أن تبدي عنيفة جدا، يا مورا. أتعلمين ذلك؟".

ضحكت وقالت: "ربما كانت تلك هي مشكلتى".

"مشكلة؟".

"أنا أخيف الرجال".

"لكنك لم تخيفيني".

فكرت مورا في نفسها: *كيف يمكنني ذلك؟ فقلبك غير متاح للكسر.* ونظرت في ساعتها بشكل مدروس وقامت قائلة: "الوقت تأخر، وقد أخذت الكثير من وقتك بالفعل".

قال وهو يسير معها تجاه باب الخروج: "الأمر ليس كذلك فليس لديّ أية أعمال ضرورية".

"إن مريديك كثيرون، واليوم هو عشية رأس السنة".

"ستلاحظين أننى لا أجد مكانا آخر أذهب إليه اليوم".

توقفت واستدارت لتواجهه. فهما واقفان بمفردهما في دار العبادة، يتنفسان روائح الشموع والبخور، الروائح المعتادة التى جلبت لهما ذكريات أعياد رأس السنة في طفولتهما. في الأيام التى كان الدخول إلى دار العبادة لا يثير أى اضطرابات مما تشعر بها الآن. وقالت له وهى تتجه نحو الباب: "تصبح على خير، يا دانيال".

وصاح قائلا وهى تبتعد عنه: "هل سيستغرق الأمر أربعة أشهر أخرى كى أراك ثانية؟".

"لا أعرف".

"لقد افتقدت حديثنا معا، يا مورا".

وترددت ثانية، ودفعت الباب لتفتحه قائلة: "وأنا أيضا، قد يكون ذلك السبب الذى سيجعلنا لا نقوم بذلك ثانية".

"لم نفعل أى شىء لنخجل منه".

"ليس حتى الآن". قالت ذلك برقة، ولم تكن تنظر إليه بل إلى الباب الثقيل المنحوت، الذى يحول بينها وبين الهروب.

"يا مورا، لا تتركى ذلك الأمر بيننا هكذا. فليس هناك سبب يمنعنا من إبقاء نوع من ...".

توقف عن الحديث.

كان هاتفها المحمول يرن.

التقطته من حقيبتها. فى تلك الساعة، الهاتف الذى يرن لا يعنى أى شىء جيد. وعندما أجابت على المكالمة، شعرت بأن نظرات دانيال موجهة إليها، وشعرت باستجابتها العصبية الشديدة لنظراته.

"د. إيسلز". قالتها بصوت هادئ بشكل غير طبيعى.

قالت التحرى جان ريزولى: "عام سعيد، أنا مندهشة لأنك لم تعودى إلى المنزل حتى الآن. فقد حاولت الاتصال بك هناك أولا".

"لقد حضرت حفل منتصف الليل بدار العبادة".

"ياه، الساعة الآن الواحدة بعد منتصف الليل. ألم ينته بعد؟".

"نعم، يا جين. لقد انتهى وأنا على وشك الرحيل" قالتها مورا بطريقة أغلقت بها الباب على أى استفسارات أخرى. وسألتها: "ماذا لديك من أجلى؟". فهى تعرف أن هذه المكالمة لم تكن مجرد مكالمة للتحية، لكنها كانت استدعاء.

"العنوان فى ٢-١٠ شارع بريسكوت، إيست بوسطن. سكن خاص. لقد ذهبت أنا وفروست منذ حوالى نصف ساعة".

"التفاصيل؟".

"نحن ننظر إلى ضحية واحدة، سيدة شابة".

"قتل؟".

"أوه، نعم".

"تبدين واثقة جدا من نفسك".

"سترين عندما تصلين إلى هناك".

أنهت الاتصال ووجدت دانيال مازال ينظر إليها. لكن .. لقد مرت لحظة المخاطرة وقول أشياء قد يندم الاثنان عليها، فقد تدخل الموت.

"أعليك الذهاب للعمل؟".

"أنا أغطى قضية الليلة". وأدخلت الهاتف إلى حقيبتها. "طالما ليست لدىّ أى عائلة بالمدينة، فقد تطوعت".

"حتى فى هذه الليلة؟".

"لا يحدث الكثير من الاختلاف عندى كوننا يوم عيد رأس السنة".

وأغلقت أزرار معطفها وسارت خارج المبنى، إلى داخل الليل. وتبعها للخارج، وعند خروجها وسيرها على الثلج المتساقط حديثا، وقف ليشاهدها من فوق السلالم، وتلاعبت الرياح بثوبه فرفرف كالعلم. وعندما نظرت خلفها، رأته يرفع يده مودعا.

وظل يلوح حتى انطلقت بسيارتها بعيدا.

# نادى مفيستو

## تيس جريتسين



# الثالث

تعلن الأضواء الزرقاء لسيارات الشرطة الثلاث المنبعثة خلال الثلج المتساقط ـ لكل من يقترب ـ أن شيئا قد حدث هنا، شيئا رهيبا. وشعرت مورا بمصد سيارتها الأمامى يكشط الثلج وهى تفتح باب سيارتها بجوار كومة من الثلج، لتترك مساحة لمرور السيارات الأخرى. وفى تلك الساعة من عشية يوم رأس السنة كان يبدو أن السيارات الوحيدة التى ستدخل هذا الشارع الضيق، ستكون مثل سيارتها، تخص أعضاء فريق البحث فى جرائم القتل. وأخذت دقيقة لتهيئ نفسها للساعات المرهقة التالية، وتعرضت عيناها للعمى المؤقت بسبب كل الأضواء المبهرة. وشعرت بأن أطرافها مخدرة؛ وشعرت بدمائها تتجمد، فقالت لنفسها: *استيقظى، فذلك وقت الذهاب للعمل.*

وترجلت خارج السيارة وأذهب التيار الهوائى البارد النوم من عينيها، وسارت بنشاط على المسحوق الأبيض المتساقط الذى تناثر كالزغب الأبيض على حذائها. ورغم أن الساعة كانت الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، فقد كانت الأضواء تنبعث من العديد من المنازل المتواضعة بطول الشارع، وعبر نافذة مزينة بالأيائل وأعواد الحلوى المرسومة بالاستنسل، رأت ظل أحد الجيران الفضوليين ظاهرا فى بيته الدافئ، فى ليلة لم تعد هادئة ولا عادية بالمرة.

"هاى، د. آيسلز؟" هكذا نادى عليها أحد رجال الحرس وهو شرطى أكبر منها تعرفت عليه بصعوبة. ومن الواضح أنه عرف من هى بالضبط، فجميعهم يعرفون من تكون.

"كيف تجدين حظك اليوم، هه؟".

"كنت سأسألك نفس السؤال، أيها الضابط".

"تخيلى أننا نحن الاثنين معنا المصاصات القصيرة". وابتسم قائلا: "يوم سعيد ولعين".

"هل المحققة ريزولى بالداخل؟".

"نعم، تقوم هى وفروست بتصوير مكان الجريمة بالفيديو". وأشار ناحية منزل كل أنواره مضاءة، عبارة عن منزل شبيه بالصندوق محشور بين صف من المنازل القديمة والبالية. "والآن، ربما يكونان جاهزين لك".

سمعت صوت تقيؤ عنيف جعلها تنظر إلى الشارع، حيث كانت هناك سيدة شقراء تقف منحنية، تمسك بمعطفها الطويل لتتجنب تلويثه أثناء تقيؤها عند أحد الجوانب المغطاة بالثلج.

فتأفف الحارس وهمهم إلى مورا قائلا بسخرية: "ستصبح هذه السيدة محققة جرائم قتل جيدة، فقد وصلت إلى مسرح الجريمة فى خطوات سريعة مثل شخصيات كاجنى ولاسى الكرتونية، ووجهت إلينا أوامر صارمة بطريقة جافة، ودخلت بعد ذلك إلى المنزل، وألقت نظرة واحدة، وأنت تعرفين الباقى؛ خرجت لتتقيأ فى الثلج". وضحك بعد أن أنهى كلامه.

"لم أرها من قبل. هل هى من قسم جرائم القتل؟".

"لقد سمعت للتو أنها قد انتقلت من قسم المخدرات والرذيلة، فتلك فكرة أعضاء اللجان الحكومية بجلب الكثير من الفتيات إلى قسمنا". وهرش فى رأسه مستطرداً: "أتوقع ألا تبقى فى قسمنا طويلا".

مسحت السيدة فمها وسارت باضطراب تجاه سلالم الشرفة، وتقيأت ثانية.

فنادى عليها رجل الحراسة: "أيتها المحققة! قد ترغبين فى الانتقال بعيدا عن مسرح الجريمة؟ واذا كنت ستتقيئين ثانية فافعلى ذلك على الأقل فى مكان لا يجمعون فيه الأدلة".

فضحك ضابط أصغر فى السن، يقف بالقرب منه، ضحكة مكتومة.

رجعت المحققة الشقراء، وبدا وجهها الشاحب كالموتى فى الضوء الأزرق لسيارات الشرطة وهمهمت: "أعتقد أننى سأجلس فى سيارتى لدقيقة".

" نعم، عليك فعل ذلك سيدتى".

ورأت مورا السيدة تحتمى بسيارتها وسألت نفسها ما هى الأشياء المرعبة التى توشك أن تواجهها داخل هذا المنزل؟

نادى عليها المحقق بارى فروست: "دكتورة". لقد خرج للتو من المنزل وهو الآن واقف فى الرواق الواقع أمام المنزل، وهو يرتدى سترة مصنوعة من مادة مضادة للمياه. وكانت خصلات شعره الأشقر واقفة وغير مرتبة كما لو كان قائما من نومه للتو. ورغم أن وجهه شاحب دائما، فالضوء الأصفر الناتج من إضاءة الرواق جعله يبدو أكثر شحوبا من المعتاد.

قالت: "أتوقع أن الأمر أكثر سوءا بالداخل".

"هذا ليس بالشىء الذى يرغب المرء فى رؤيته ليلة رأس السنة. ففكرت فى الخروج من مسرح الجريمة لأستنشق بعض الهواء".

توقفت أسفل السلم، ولاحظت آثار الأقدام الناتجة من السير على الرواق المغطى بالثلج وقالت: "هل من الجيد السير بهذا الطريق؟".

"نعم. آثار الأقدام تلك تخص رجال شرطة بوسطن".

"وماذا عن آثار نعل الحذاء؟".

"لم نجد الكثير من الأشياء بالخارج".

"ماذا، هل طار المجرم من النافذة؟".

"يبدو أن القاتل قد محا آثار جريمته. تستطيعين رؤية بعض آثار محو الأدلة".

عبست قائلة: "هذا يجعلنا نهتم بالتفاصيل".

"انتظرى حتى ترى ما بالداخل".

صعدت السلالم وارتدت غطاء للأقدام وقفازات، وبدا فروست أسوأ حالاً وأصبح وجهه هزيلاً وتلون بكل الألوان. لكنه أخذ نفسا عميقا وعرض عليها بشجاعة، قائلاً: "أستطيع أن أصطحبك للداخل".

"كلا، خذ ما يكفيك من الوقت بالخارج. يمكن لـ ريزولى أن ترينى ما بالداخل".

أومأ برأسه، لكنه لم يكن ينظر إليها؛ فقد كان ينظر ناحية الشارع بتركيز رجل يحاول أن يحصل على طعامه. تركته فى صراعه ووصلت إلى مقبض الباب وهى متوقعة حدوث الأسوأ. فمنذ دقائق مضت، وصلت وهى مرهقة تحاول أن توقظ نفسها؛ والآن يمكنها أن تشعر بالتوتر يهز أعصابها.

سارت إلى داخل المنزل، وتوقفت بالداخل، واضطرب نبضها وحدقت إلى مشهد لا يثير القلق، فأرضية الردهة مصنوعة من خشب البلوط، وعبر المدخل يمكنها أن ترى غرفة المعيشة المفروشة بأثاث رخيص: أريكة قطنية قديمة، وكرسى خشبى، ومكتبة مصنوعة من ألواح خشبية صغيرة وقطع من الطوب.

لا يوجد شىء يجعل من مسرح الجريمة مكاناً مرعباً، لكن الرعب فى طريقه إلى الوصول؛ فهى تعرف أنه ينتظرها فى ذلك المنزل، وقد رأت انعكاساته فى أعين بارى فروست وفى وجه المحققة الشاحب.

سارت عبر حجرة المعيشة إلى غرفة الطعام، حيث رأت أربعة كراسى حول منضدة مصنوعة من خشب الصنوبر. لكنها لم تركز على الأثاث، بل كان تركيزها منصباً على طريقة ترتيبه حول المنضدة، كما لو كانت مهيأة لوجبة عائلية؛ عشاء لأربعة أفراد.

وكان هناك منديل طعام للأطفال موضوعا على أحد الأطباق، وعليه بقع من الدماء.

ووصلت بحذر شديد إلى المنديل وحملته من أحد أطرافه، ونظرت نظرة واحدة لما يوجد أسفله، على الطبق. وفى الحال قامت بإلقاء المنديل وتراجعت للخلف شاهقة.

قال صوت ما: "أرى أنك عثرت على اليد اليسرى".

استدارت مورا بسرعة: "لقد أخفتنى".

قالت المحققة جان ريزولى: "أترغبين فى بعض الخوف؟ اتبعينى إذن". واستدارت وقادت مورا إلى الردهة. وكانت جان تبدو كما لو كانت مستيقظة من النوم للتو، مثل فروست، فسروالها مجعد، وشعرها الأسمر متشابك بشكل غريب، لكنها، بخلاف فروست، سارت بلا خوف، وأحدث حذاؤها المغطى بالورق صوتا على الأرضية. ومن بين كل النساء العاملين كمحققات ويدخلن غرفة التشريح، كانت جان هى الوحيدة التى يبدو أنها تندفع مباشرة تجاه منضدة التشريح لتلقى نظرة أقرب، والآن لا يبدو عليها أى تردد وهى تسير فى الردهة. لكن مورا هى من تباطأت، وحدقت للأسفل تجاه بقع الدماء الموجودة على الأرض.

قالت جان: "ابقى على هذا الجانب فلدينا بعض آثار الأقدام المميزة هنا، فى كلا الاتجاهين. إنه نوع من الحذاء الرياضى. فقد جفت آثار الأقدام الآن، لكنى لا أريد إفساد أى شيء".

"من أبلغ عن الحادثة؟".

"لقد كانت مكالمة على هاتف النجدة بعد منتصف الليل مباشرة".

"من أين؟".

"من المنزل".

اكفهر وجه مورا وقالت: "الضحية؟ هل حاولت طلب النجدة؟".

"لم يكن هناك صوت على الخط، فقد اتصل شخص ما بعامل الطوارئ وترك السماعة معلقة. في البداية وصلت سيارة شرطة بعد عشر دقائق من المكالمة، ووجد أحد رجال الشرطة الباب مفتوحا، ودخل إلى حجرة النوم، وواجه كابوسا مرعبا". توقفت جان عند المدخل ونظرت إلى مورا نظرة تحذيرية، قائلة: "هنا يصبح الموقف رهيبا".

*وكأن اليد المقطوعة لم تكن سيئة بما يكفى لهذا اليوم.*

تنحت جان جانبا لتترك مورا تنظر إلى غرفة النوم. إنها لم تر الضحية؛ كل ما رأته كان الدماء، وجسد الإنسان العادى يحتوى على خمسة لترات من الدماء. ونفس المقدار من هذا الدهان الأحمر كان يغطى سطح كل شىء فى الحجرة الصغيرة. إن ما رأته بعينيها عندما نظرت من المدخل كان شيئاً فظيعاً، مثل الدماء التى رشتها أيد قوية على الجدران البيضاء، وعلى الأثاث والملابس الكتانية.

قالت ريزولى: "شىء رهيب".

كل ما استطاعت مورا فعله هو الإيماء والهدوء، فنظراتها كانت تتبع منحنيات رذاذ الدماء، وهى تقرأ القصة المرعبة المكتوبة باللون الأحمر على الجدران. فأثناء دراستها فى السنة الرابعة بكلية الطب أثناء المناوبة، رأت ضحية إطلاق نار ينزف بشدة على منضدة الجراحة. ويتناقص ضغط دمه بنسبة رهيبة، قام الجراح بمحاولة جراحية يائسة فى الجدار الفاصل بين الصدر والمعدة، على أمل أن يتحكم فى النزيف الداخلى،

فانحرف فاتحا تجويف البطن عن طريق الخطأ، فنتج عن ذلك ينبوع من الدماء الشريانية المتدفقة من الشريان الأورطى وغرقت ملابس الطبيب ووجهه فى الدماء. وفى الثوانى الصعبة الأخيرة، أثناء محاولاتهم العقيمة لإسعافه، كان كل تركيز مورا منصباً على الدماء. يا له من تشريح رائع تفوح منه رائحة الدماء واللحم. لقد وصلت إلى بطن المصاب المفتوح لتمسك المشرط وشعرت بدفء الدماء التى امتصها كُم معطفها الأبيض مثل أخذ حمام مهدئ للأعصاب، وفى ذلك اليوم داخل غرفة العمليات، رأت مورا التدفق الخطير الذى يمكن لأى ضغط بسيط فى الشرايين أن يحدثه.

والآن، أثناء تحديقها فى جدران غرفة نوم الضحية، كانت الدماء هى التى شدت انتباهها، وذكرتها بقصة الثوانى الأخيرة فى حياة الضحية. *عند القطع الأول، كان قلب الضحية ما زال ينبض، ما زال يضخ الدماء.* وفوق السرير، كانت هناك أول إصابة بالبندقية الآلية نتج عنها قوس كبير من الدماء على الحائط. وبعد عدة طلقات بدأت الدماء فى التناقص. والجسد كان يحاول تعويض الدماء المفقودة، وبدأت الشرايين تضعف، والنبض يضعف معها. ومع كل ضربة قلب، كان القلب يفرغ محتوياته، ويعجل من توقفه. وفى النهاية تلاشى الضغط وتوقف القلب، فلم يعد هناك نبضات بعد ذلك، مجرد قطرات هادئة لأن الدماء الأخيرة فى طريقها للانتهاء. فقد رأت مورا الموت مسجلاً على تلك الحوائط، وعلى ذلك السرير.

وبعد ذلك توقف نظرها على شىء ما افتقدته بين كل هذه البقع. شىء أوقف الشعر الموجود فى مؤخرة رقبتها فجأة. فعلى أحد الحوائط، كانت هناك ثلاثة صلبان مقلوبة مرسومة بالدماء. وتحت الصلبان، كانت هناك سلسلة من الرموز السرية:

قالت مورا بهدوء: "ما الذى يعنيه ذلك؟".

"ليس لدينا أى فكرة، إننا نحاول تفسير تلك الرموز".

لم تتمكن مورا من قطع تحديقها إلى الرموز وابتلعت ريقها قائلة: "ما الشيء الذى نتعامل معه هنا؟".

"انتظرى حتى ترى ما سيأتى بعد ذلك؟". وتوجهت جان إلى الجانب الآخر من السرير وأشارت إلى الأرضية قائلة: "الضحية هنا بالضبط، أقصد معظم الضحية على أية حال".

وعندما ذهبت مورا إلى جوار جان ورأت الضحية. كانت امرأة ملقاة على ظهرها وهى عارية، وقد حول النزيف لون بشرتها إلى اللون المرمرى، وهنا تذكرت مورا زيارتها إلى حجرة فى المتحف البريطانى، حيث كانت تعرض هناك العديد من التماثيل الرومانية، وظهر أثر الصراع مع الزمن على هذه التماثيل الرخامية، بسحق الرؤوس، وبكسر الأذرع، حتى أصبحت مجرد جذوع بشرية. وذلك هو ما تراه الآن، أثناء تحديقها فى الجثة. تمثال فينوس، بدون رأس.

قالت جان: "يبدو أنه قتلها هنا، على السرير. وذلك قد يفسر البقع الموجودة على ذلك الحائط وكل تلك الدماء على الفراش. وبعد ذلك سحبها إلى الأرضية، ربما لأنه احتاج سطحا صلبا لينتهى من تقطيعها". أخذت نفسا وتحولت بعيدا عن الجثة، فهى تشعر أنها وصلت لأقصى درجات تحملها ولا تستطيع النظر إلى الجثة أكثر من ذلك.

قالت مورا: "قلت إن أول سيارة شرطة استغرقت عشر دقائق لتستجيب إلى مكالمة النجدة".

"هذا صحيح".

"ما تم فعله هنا – من عملية بتر الأطراف وقطع الرأس- سيستغرق أكثر من عشر دقائق".

"نحن ندرك ذلك، ولا أعتقد أن الضحية هى من قامت بتلك المكالمة".

استدارتا عند سماعهما لصوت خطوات أقدام، وإذا بـ بارى فروست يقف على مدخل الغرفة ويبدو غير متحمس للدخول إلى الغرفة.

قال فروست: "لقد وصلت وحدات مسح مسرح الجريمة".

"أخبرهم أن يصعدوا إلى هنا". وتوقفت جان ثم قالت: "لا تبدو متحمسا اليوم".

"أعتقد أننى أؤدى بشكل جيد إذا وضعت فى الاعتبار الظروف التى مررنا بها اليوم".

"كيف حال كاسوفيتز؟ هل توقفت عن التقيؤ؟ قد نحتاج إلى مساعدتها هنا".

هز فروست رأسه قائلا: "مازالت جالسة فى السيارة. لا أعتقد أن معدتها جاهزة لذلك. سأذهب لمناداة وحدات مسح مسرح الجريمة".

نادته جان بعد خروجه من الغرفة وقالت: "أخبرهم أن يحضروا معهم شوكة، بالله عليك!أنا أكره أن تخيب أملنا سيدة ما. فهى تجعل الآخرين يصفوننا بكل الصفات السيئة".

نظرت مورا إلى الجذع البشرى الموجود على الأرض وقالت: "هل وجدت ..".

ردت جان: "المتبقى منها؟ فقد رأيت للتو اليد اليسرى، والذراع اليمنى موجودة فى حوض الاستحمام. والآن أعتقد أن الوقت قد حان لأريك المطبخ".

"ماذا هناك؟".

قالت جان وهى تعبر الحجرة تجاه الردهة: "مفاجآت أكثر".

وعندما استدارت لتتبعها، رأت مورا نفسها فجأة فى مرآة حجرة النوم. ورأت انعكاس صورتها يحدق فيها بعينين منهكتين، وشعرها الأسمر قد تلوى بسبب الثلج الذائب عليه، لكن لم تكن صورتها هى ما جعلتها تتجمد فى مكانها، وهمست قائلة: "جان، انظرى إلى ذلك".

"ماذا؟".

"فى المرآة، الرموز". تحولت مورا ونظرت إلى الرموز المكتوبة على الحائط ."أترين ذلك؟ إنها صورة معكوسة! فهى ليست رموزا بل حروف، تعمد من كتبها أن يتم قراءتها بالمرآة".

نظرت جان إلى الحائط وبعد ذلك إلى المرآة وقالت: "إنها كلمة".

"نعم. إنها تعطى كلمة (بيكافى)".

هزت جان رأسها، قائلة: "حتى بالمقلوب لا تعطى هذه الكلمة أى معنى".

"إنها باللاتينية يا جان".

"وماذا تعنى؟"

"*لقد ارتكبتُ خطيئة*".

لمدة دقيقة حدقت كلتا السيدتين فى بعضهما. وبعد ذلك ضحكت جان ضحكة مفاجئة وقالت: "حسنا، إنها اعتراف غير معتاد بالجريمة ويعتقد القاتل أن إلباس جريمته مسوحًا سيمحو خطيئة معينة؟".

"قد لا تشير إلى القاتل، قد تتعلق بالضحية". ثم نظرت إلى جان. "*لقد ارتكبتُ خطيئة*".

قالت جان: "العقاب، والانتقام".




للتعرّف على فروعنا فى
المملكة العربية السعودية ، قطر ، الكويت والإمارات العربية المتحدة
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
**www.jarirbookstore.com**
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على :
**jbpublications@jarirbookstore.com**

**الطبعة الأولى ٢٠٠٩**



المملكة العربية السعودية ص.ب:٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١
تليفون: ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+ – فاكس: ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

"إنه دافع محتمل لارتكاب الجريمة، فقد فعلت شيئاً ما أغضب القاتل، فقد أخطأت فى حقه، وهذا هو رد فعله".

أخذت جان نفسا عميقا وقالت: " لنذهب إلى المطبخ". وقادت مورا إلى الردهة، وعند مدخل المطبخ توقفت ونظرت إلى مورا التى وقفت عند عتبة الباب، لا تقدر على نطق كلمة واحدة من هول ما رأت.

على الأرضية المكسوة بالقرميد، رسمت دائرة حمراء كبيرة بمادة تبدو كالطباشير الأحمر ويباعد بين محيطها خمس برك من الشمع الأسود الذى تمت إذابته وتجميده. فكرت مورا: *الشموع*. وفى منتصف الدائرة وضعت رأس المرأة بوضع يجعل عينيها وكأنهما تحدقان فيمن أمامها.

*دائرة، وخمس شموع سوداء. إنه طقس تقديم القرابين.*

قالت جان: "والآن، من المفترض أن أذهب للمنزل لأرى طفلتى الصغيرة، وفى الصباح سنجلس جميعنا تحت الشجرة ونفتح الهدايا وسنتظاهر بوجود سلام على الأرض، لكنى سأكون أفكر ... بذلك الشىء ... الذى يحدق إلىَّ. عيد سعيد ليس له معنى".

ازدردت مورا لعابها وسألت: "هل نعلم من هى؟".

"حسنا، أنا لم أستجوب أصدقاءها وجيرانها لأضع لها بطاقة هوية محددة. هل تعرفت على تلك الرأس الموجودة فى أرضية المطبخ؟ ولكن استنادا إلى صورة رخصة قيادتها، سأقول إنها لورى آن توكر، تبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاما، بنية الشعر والعيون". ضحكت جان على نحو مفاجئ واستطردت قائلة: "اجمعى كل أجزاء جسدها، وسيكون ذلك ما ستتوصلى إليه تقريبا".

"ما الذى تعرفينه عنها؟".

"وجدنا إيصال دفع فى كيس نقودها. إنها تعمل بمتحف العلوم. لا نعلم ما وظيفتها بالتحديد، لكن بالحكم على منزلها

وأثاثها" - ونظرت إلى غرفة الطعام - "لا أعتقد أنها تجنى الكثير من المال".

سمعنا أصواتا، وصرير أقدام نتيجة دخول وحدات مسح مسرح الجريمة إلى المنزل. وتوجهت جان لتحييهم لكن لم تكن برباطة جأشها المعتادة بل أقل قليلا ؛ المحققة ريزولى التى لا يؤثر فيها شىء كما يعرفها الجميع.

قالت جان لـ فروست ومعه رجلان متخصصان فى علم الجريمة وهم يسيرون بحذر داخل المطبخ: "مرحبا يا رفاق، أعتقد أن لدينا بعض المرح هنا".

همهم أحد المتخصصين قائلاً: "حقاً أين بقية الضحية؟".

"فى حجرات عديدة قد ترغب فى البدء بـ -".

توقفت، وانتصب جسدها بعنف.

فقد رن جرس الهاتف الموجود بالمطبخ.

وكان فروست هو الأقرب إليه فقال وهو ينظر إلى ريزولى: "ما الذى ترينه؟".

"رد على الهاتف".

ورفع فروست السماعة بحذر بيده المغطاة بالقفازات وقال: "مرحبًا؟ مرحبًا؟". وبعد دقيقة وضعها مكانها ثانية وقال: "لقد أغلقوا الخط".

"ما الذى تخبرك به شاشة إظهار رقم الطالب؟".

ضغط فروست زر تاريخ المكالمات، قائلاً: "إنه رقم من بوسطن".

أخرجت جان هاتفها الخلوى ونظرت إلى الرقم الموجود على الهاتف، وقالت: "سأحاول الاتصال بالرقم ثانية". واتصلت وظلت تستمع لرنين الهاتف وفى النهاية قالت: "لا إجابة".

قال فروست: "دعينى أرى هل اتصل هذا الرقم من قبل". ودار ثانية عبر ذاكرة الهاتف، واستعرض كل مكالمة واردة أو صادرة من الهاتف، ثم قال: "حسنا هناك مكالمة برقم النجدة فى الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق بعد منتصف الليل".

"قاتلنا يعلن عن عمل يديه".

"هناك مكالمة أخرى، قبل هذه الرسالة مباشرة. إنه رقم من كامبريدج". ونظر للأعلى، مضيفاً: "كانت المكالمة فى الحادية عشرة وخمس وخمسين دقيقة".

"هل أجرى قاتلنا مكالمتين من هذا الهاتف؟".

"إذا كان قاتلنا أصلا من أجراهما".

حدقت جان فى الهاتف وقالت: "فلنفكر فى هذا الأمر. القاتل يقف هنا فى المطبخ. وقد قتلها للتو وقطعها إلى أجزاء. وبتر يديها، وذراعيها، ووضع رأسها هنا، على الأرض، فلماذا يتصل بأحدهم؟ هل يريد أن يتفاخر بذلك؟ ومن الذى سيتصل به؟".

قالت مورا: "خمنى".

استعملت جان هاتفها الخلوى مرة ثانية، فذلك وقت مكالمة رقم كامبريدج: "إنه يرن. حسنا، توجد رسالة بريد صوتى فى هذا الهاتف". توقفت، وتحركت نظراتها فجأة مباشرة إلى مورا وقالت: "لا أعتقد أنك ستصدقين رقم من هذا".

"من؟"

رفعت جان السماعة واتصلت بالرقم ثانية، وأعطت الهاتف الخلوى لـ مورا.

سمعت مورا الجرس خمس مرات. وبعد ذلك عملت آلة الرد ودارت الرسالة المسجلة، وكان الصوت مألوفا بشكل كبير.

*لقد اتصلت بالدكتورة جويس بى. أودونيل أريد سماع صوتك، لذلك اترك رسالتك، وسأرد على مكالمتك.*

أنهت مورا الاتصال وقابلت نظرات جان المذهولة بنظرات مماثلة، وسألت: "لماذا يتصل القاتل بـ جويس أودونيل؟".

قال فروست: "أنت تمزحين، إنه رقمها".

سأله أحد المتخصصين فى علم الجريمة: "ومن هى؟".

نظرت إليه جان وقالت: "جويس أودونيل مصاصة دماء".

# الرابع

لم يكن هذا المكان بالذى أرادت جان أن تكون فيه صباح عيد رأس السنة.

كانت هى وفروست فى شارع براتل داخل سيارتها السوبارو المركونة، ينظران إلى هذا المنزل الخاص المطلى باللون الأبيض. آخر زيارة قامت بها جان إلى هذا المنزل كانت فى الصيف ولاحظت أن حديقة المنزل تم جز العشب فيها بشكل ممتاز. وعندما رأتها الآن، فى موسم مختلف، تأثرت بمدى جودة ذوق كل تفاصيلها، بداية من الممشى الرمادى وصولاً إلى الإكليل الجميل المعلق على الباب، وكانت البوابة الحديدية المزخرفة مزينة بفروع من خشب الصنوبر والشرائط الحمراء، وعبر نافذة المنزل تمكنت من رؤية شجرة عيد رأس السنة تلمع فيها المصابيح الملونة. يا لها من مفاجأة، حتى مصاصو الدماء يحتفلون بعيد رأس السنة.

قال لها فروست: "إذا لم تكونى قادرة على فعل ذلك. يمكننى التحدث إليها".

"أتعتقد أنه لا يمكننى التعامل مع أمر كهذا؟".

"أعتقد ان الأمر سيكون صعبا عليك".

"إبعاد يدى عن رقبتها هو ما سيكون صعبا علىّ".

"أترين؟ هذا ما أقصده. موقفك يميل إلى هذا الاتجاه العدوانى. فلكل واحدة منكما ذكريات سيئة مع الأخرى، وذلك واضح جدا. لا يمكنك أن تكونى محايدة".

"لا يمكن لأحد أن يكون محايدا، إذا عرف من تكون وما الذى تفعله".

"ريزولى، إنها تقوم بعملها الذى تجنى منه المال".

"كذلك تفعل الساقطات". وقالت جان لنفسها، *باستثناء أن الساقطات لا يؤذين أحداً*. حدقت فى منزل جويس أودونيل ورأت أنه منزل بنى بدماء الضحايا. فالساقطات لا يندفعن إلى ساحات القضاء فى ملابس سانت جون ويشهدن دفاعا عن الجزارين.

قال فروست: "كل ما أردت قوله هو أن تحاولى الحفاظ على هدوئك، اتفقنا؟ فليس علينا أن نحبها لكن ليس بوسعنا البصق عليها".

"أتعتقد أن هذه هى خطتى؟".

"انظرى إلى نفسك فمخالبك ظاهرة من تحت جلدك بالفعل".

"هذا فى حالة الدفاع عن النفس". وفتحت جان باب السيارة مستطردة: "لأنى أعرف أن تلك السافلة ستحاول غرس أنيابها فى جلدى". وخرجت من السيارة وغاصت قدماها فى الجليد، لكنها لم تشعر بالبرودة تتسرب إلى جوربها: فرعشتها الكبيرة لم تكن جسدية، فكل تركيزها كان منصباً على المنزل، وفى المواجهة القادمة، مع السيدة الوحيدة التى تعرف مخاوف جان السرية جيدا وتعرف أيضا كيف تستغل هذه المخاوف جيدا.

فتح فروست البوابة، وسارا على الطريق الممهد، وكانت الأحجار مغطاة بالثلوج، وحاولت جان ألا تسقط. وبمرور الوقت وصلت إلى سلالم الردهة، وشعرت بالفعل بعدم التوازن وأنها غير واثقة من خطواتها. فتلك ليست الطريقة المثلى لمواجهة جويس أودونيل. ولم يساعدها موقفها عندما فتح الباب الأمامى، بدت أودونيل بأناقتها المعهودة، وشعرها الأشقر المصفف بأناقة، وكان قميصها القرمزى مع سروالها الكاكى

وحذائها الطويل متناغماً جدا مع مظهرها الرياضى. أما جان، بملابسها القماشية السوداء، وثنيات سروالها المبللة من الجليد الذائب، فقد شعرت أنها مثل المتسول الواقف أمام قصر صاحب المزرعة. *كما أرادت أن تشعرنى بالضبط.*

أومأت أودونيل إيماءة باردة وقالت: "المحققان". ولم تتنح جانبا بل وقفت بشكل يوحى لهما أنهما فى ملكيتها الخاصة، وأنها هى من تأمر وتنهى.

سألتها جان أخيرا: "أيمكننا الدخول؟". وهى تعلم بالطبع أنها ستسمح لهما بالدخول، وأن اللعبة قد بدأت للتو.

فأشارت لهما أودونيل بالدخول إلى المنزل قائلة: "لم يكن هذا ما تمنيت فعله فى يوم عيد رأس السنة".

قالت جان: "ولا نحن أيضا، وأنا متأكدة أن الضحية لم تكن ترغب فى ذلك أيضا".

قالت لهما أودونيل وهى تقودهما إلى حجرة المعيشة: "كما أخبرتكما فقد تم مسح جميع التسجيلات، لكن يمكنكما سماعها رغم أنه لا يوجد شىء لتسمعانه".

لم تتغير أشياء كثيرة منذ آخر زيارة لجان لهذا المنزل. فقد رأت نفس الرسوم التجريدية على الجدران، ونفس السجاجيد الشرقية الثمينة، الشىء الجديد الوحيد هو شجرة عيد رأس السنة. تتذكر جان أن أشجار رأس السنة فى طفولتها كانت تزين بذوق عشوائى، فالأفرع المعلق عليها الزينات كانت قوية لدرجة أنها تبقى معها بعد عيد رأس السنة، وكان هناك العديد من أشرطة الزينة وقد اعتادت جان أن تسميها أشجار النجوم.

لكن فى هذه الشجرة لم يكن هناك شريط ملون واحد؛ ولا نجوم فى هذا المنزل، وبدلا من ذلك فقد كانت الشجرة مزينة بأشكال مخروطية مصنوعة من البللور وقطرات دموع فضية تعكس ضوء شمس الشتاء على الجدران، مثل شرائح البطاطس

الضوئية المتراقصة. حتى شجرتها اللعينة تجعلنى أشعر بعدم الكفاءة.

توجهت أودونيل إلى آلة الرد بهاتفها وقالت: "هذا كل ما لدى الآن". وضغطت على زر التشغيل، وأعلن الصوت الإلكترونى: ليس لديك أية رسائل جديدة". ونظرت إلى المحققين قائلة: " أخشى أن يكون التسجيل الذى تبحثان عنه قد ضاع، فعند وصولى إلى المنزل أمس، شغلت كل الرسائل ومحوتها عند خروجى، وعندما وصلتنى رسالتكم بالإبقاء على التسجيلات كان الوقت قد تأخر كثيرا".

سألتها جان: "كم عدد الرسائل التى كانت هناك؟".

"أربع رسائل، ورسالتكم كانت الأخيرة".

"المكالمة التى تهمنا وصلتك حوالى الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق بعد منتصف الليل".

"نعم، والرقم لا يزال هنا فى السجل الإلكترونى". وضغطت على زر ورجعت إلى مكالمة ١٢:١٠ "لكن من اتصل بى لم يقل شيئاً". ونظرت إلى جان قائلة: "لم تكن هناك رسالة على الاطلاق".

"ما الذى سمعته؟".

"كما أخبرتك، لم يكن هناك شىء".

"ضوضاء غريبة؟ صوت تلفاز أو مرور؟".

"ولا حتى صوت نفس المتحدث، مجرد ثوان قليلة من الهدوء، وبعد ذلك سمعت صوت إغلاق السماعة. وذلك السبب الذى جعلنى أمسحها مباشرة. فلم يكن بها شىء لأسمعه".

سألها فروست: "هل رقم المتصل مألوف لك؟".

"وهل من المفترض ذلك؟".

قالت جان بحنق واضح فى صوتها: "هذا ما نسألك عنه".

تقابلت نظرات جان وأودونيل، ورأت جان فى هذه الأعين نظرة ازدراء. *كما لو كنت لا أستحق انتباهها.* وقالت أودونيل: "لا لم أتعرف على رقم الهاتف".

"أتعرفين هذا الاسم( لورى آن تاكر)؟".

"كلا، ما أمرها؟".

"تم قتلها فى منزلها ليلة أمس، وهذه المكالمة تمت من هاتف منزلها".

توقفت أودونيل وقالت بتعقل: "قد يكون رقمًا خاطئًا".

"لا أعتقد ذلك د. أودونيل، أعتقد أن تلك المكالمة كان يقصد بها الوصول إليك".

"لماذا تتصل بى ولا تقول شيئا؟ من المحتمل أن تكون قد سمعت التسجيل على آلة الرد بهاتفى، وأدركت أنها قد ارتكبت خطأ، فأنهت المكالمة ببساطة".

"لا أعتقد أن الضحية هى من اتصلت بك".

توقفت أودونيل للمرة الثانية لكن لمدة أطول هذه المرة وقالت: "فهمت". وتحركت ناحية كرسى ذى ذراعين وجلست عليه، لكن ليس بسبب الصدمة. جلست ويبدو عليها عدم الانزعاج، وأمسكت بذراعى الكرسى وقالت: "تعتقدين أن القاتل هو من اتصل بى".

"لا يبدو عليك القلق من هذا الاحتمال".

"لا أعلم أشياء كافية لأقلق حيالها، فأنا لا أعلم أى شىء عن هذه القضية. لذا لماذا لا تخبرينى بالمزيد عنها؟". وأشارت إلى الأريكة فى دعوة واضحة لزائريها بالجلوس. كانت هذه أول إشارة تظهرها تنم عن حسن الضيافة.

فكرت جان فى ذلك وقالت لنفسها: *فعلت ذلك لأننا نقدم الآن شيئا مشوقا لها. فقد قدمنا لها حديثا عن الدماء وذلك هو ما تلتمسه هذه السيدة بالضبط.*

كانت الأريكة بيضاء جدا، وتوقف فروست قبل الجلوس عليها، خائفا أن يلطخ القماش، لكن جان لم تتباطأ لحظة واحدة عن الجلوس، فجلست على الأريكة بسروالها المبلل بالثلج، فقد كان كل تركيزها على أودونيل.

قالت جان: "الضحية سيدة تبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً وتم قتلها ليلة الأمس فى منتصف الليل تقريباً".

"وفيمن تشكون؟".

"لم نلق القبض على أى فرد".

"إذن، فليس لديكم أية فكرة عن القاتل".

"أقول فقط إننا لم نلق القبض على أحد. ما نفعله هو تتبع الأدلة".

"وأنا أحد هذه الأدلة".

"لقد اتصل أحدهم من هاتف الضحية، فقد يكون هذا الدليل الأولى".

"ولماذا يريد – بافتراضنا أنه القاتل – التحدث معى؟".

مالت جان للأمام وقالت: "نحن الاثنين نعرف السبب أيتها الطبيبة. إنه ما تفعلينة لتكسبى عيشك. وقد يكون هناك ناد صغير لمؤيديك به كل القتلة الذين يعتبرونك صديقتهم. فأنت مشهورة بين القتلة، كما تعرفين، فأنت السيدة التى تتحدث إلى الوحوش".

"أنا أحاول فهمهم، ودراستهم. هذا كل ما فى الأمر".

"تدافعين عنهم".

"أنا طبيبة نفسية وعصبية، وأنا مؤهلة للشهادة فى المحكمة أكثر من أى فرد آخر، فليس كل قاتل يستحق السجن فبعضهم أشخاص محطمون بالفعل".

"نعم أنا أعلم نظريتك؛ يقوم أحدهم بضرب طفل على أم رأسه ويقطع أذنيه ويتم إخلاء مسئوليته من كل شىء يفعله،

# THE MEPHISTO CLUB

A Novel

# TESS GERRITSEN



يمكنه أن يقتل سيدة ويقطعها إربًا وتظلين تدافعين عنه فى المحكمة".

"هل هذا ما حدث لتلك الضحية؟". وظهرت على وجهها علامات الانتباه الحذر ولمعت عيناها وسألت: "هل تم تقطيع أوصالها؟".

"لماذا تسألين؟".

"أريد فقط أن أعرف".

"فضول المهنة؟".

اعتدلت أودونيل فى جلستها ثانية وقالت: "أيتها المحققة ريزولى، لقد تحدثت مع العديد من القتلة، وبمرور السنوات وضعت إحصاءات دقيقة لدوافعهم وأساليبهم وأنماطهم، إذن، فالأمر كذلك، إنه فضول المهنة". سكتت ثم استطردت: "إن تقطيع الأوصال ليس بالأمر غير الشائع، وخاصة لو كان الغرض منه عدم التعرف على الضحية".

"لم يكن ذلك السبب فى هذه القضية".

"أتعرفين هذا؟".

"ذلك واضح جدا".

"هل أظهر أجزاء الجسد بشكل مقصود؟ هل قطعها إلى أجزاء؟".

"لماذا؟ هل تصادف وكان أحد أصدقائك المرضى له نفس الفكر؟ هل هناك أسماء تريدين أن تخبرينا بها؟ هم يراسلونك، أليس كذلك؟ فاسمك مكتوب بالخارج. الطبيبة التى تحب سماع كل التفاصيل".

"إذا راسلونى فلا يكتبون أسماءهم، ولا يخبروننى بها".

قال فروست: "لكن تصلك منهم خطابات".

"أنا أسمع روايات الناس".

"القتلة".

"أو مخترعي القصص، سواء أخبروني الحقيقة أم لا، فلا يمكنني تحديد ذلك".

"تعتقدين أن بعضهم يشركونك في خيالاتهم".

"وقد لا ينفذونها أبداً، فقط يحتاجون إلى طريقة ليعبروا بها عن رغباتهم غير المقبولة، فجميعنا بداخله هذه الرغبات، والإنسان العادى يحلم أحلام يقظة مفاجئة عن أشياء يحلم بفعلها للنساء؛ أشياء مخزية جداً، فلا يجرؤ على إخبارها لأى شخص، وأنا أراهن أنك تستمتع بتلك الأفكار غير المقبولة، أيها المحقق فروست". وأبقت نظراتها موجهة عليه، نظرة هدفت منها إلا أن تجعله لا يشعر بالراحة. أما فروست فلم تجفل له عين.

وسألها: "هل كتب أى فرد عن أوهام تقطيع أوصال البشر؟".

"ليس مؤخراً".

"لكن أحدهم فعل ذلك؟".

"كما قلت مسبقاً، تقطيع الأوصال ليس شيئاً غير معتاد".

"كخيال أم كفعل حقيقي؟".

"الاثنان".

قالت جان: "من كتب لك عن أحلامه التخيلية، أيتها الطبيبة أودونيل؟".

تلاقت نظرات جان والطبيبة وقالت: "هذه المراسلات سرية، وهذا هو السبب الذى يجعلهم يشعرون بالأمان عند إخبارى بأسرارهم، ورغباتهم، وأحلام يقظتهم".

"هل سبق واتصل بك هؤلاء الأفراد؟".

"نادراً".

"وتتحدثين معهم؟".

"أنا لا أتجنبهم".

"هل تحتفظين بقائمة لهؤلاء المتصلين؟".

"لا يمكنك تسميتها قائمة، فأنا لا أتذكر متى حدث ذلك آخر مرة".

"حدث ذلك بالأمس".

"حسنا، لم أكن هناك لأرد عليها".

قال فروست: "لم تكونى بالمنزل فى الساعة الثانية صباحاً، أيضاً"

"فقد اتصلنا بك وسمعنا صوت آلة الرد الموجودة بهاتفك".

سألتها جان: "أين كنت الليلة الماضية؟".

هزت أودونيل كتفيها وقالت: "بالخارج".

"فى الثانية صباحا، ليلة عيد رأس السنة؟".

"لقد كنت مع بعض الأصدقاء".

"ما الوقت الذى وصلت فيه للمنزل؟".

"ربما حوالى الثانية والنصف".

"من المؤكد أنهم أصدقاء ظرفاء، أتمانعين لو أخبرتنا بأسمائهم؟".

"نعم، أمانع".

"لماذا؟".

"لماذا لا أريد أن تنتهك خصوصياتى؟ هل علىَّ أن أجيب عن السؤال بالفعل؟".

"هذا تحقيق فى قضية قتل، لقد ذُبحت سيدة بالأمس، وكان مسرح الجريمة من أكثر الأماكن التى سرت فيها وحشية".

"وأنت تريدين دليل نفى".

"أريد فقط أن أعرف لماذا لا تريدين إخبارنا".

"هل أنا متهمة؟ أم أنك تحاولين أن تخبرينى من هو المتهم؟".

"أنت لست متهمة حتى هذه اللحظة".

" إذن، فأنا لست مجبرة لأتحدث إليكما فى الأساس". وقامت أودونيل بفظاظة واتجهت ناحية الباب وقالت: "سأوصلكما إلى الخارج الآن".

وبدأ فروست فى النهوض لكنه رأى جان لا تتحرك فجلس ثانية.

قالت جان: "لو ألقيت نظرة واحدة لعينة على الضحية، لو رأيت ما الذى فعله بـ لورى آن تاكر -"

استدارت أودونيل لتواجهها قائلة: "لم لا تخبرينى؟ ما الذى حدث لها بالتحديد؟".

"تريدين التفاصيل، أليس كذلك؟".

"هذا مجال دراستى، أحتاج إلى أن أعرف التفاصيل". وتحركت ناحية جان قائلة: "فذلك يساعدنى على الفهم".

*أو أن ذلك الحديث جذب انتباهك، ولذلك أصبحت مهتمة بشكل مفاجئ بل ومتلهفة أيضا.*

قالت أودونيل: "لقد قلت إن الضحية مقطعة الأوصال، هل قطع القاتل رأسها؟".

"ريزولى" ناداها فروست بنبرة تحذيرية فى صوته.

لكن لم تكن جان فى حاجة لإظهار شىء؛ فقد وضعت أودونيل استنتاجاتها. "الرأس رمز قوى وشخصى جدا". فاقتربت منها أودونيل مثل الحيوان المفترس، مكملة: "هل أخذ الرأس معه، كرمز للانتصار؟ أو تذكار لجريمة القتل؟".

"أخبرينا أين كنت الليلة الماضية؟".

"أم ترك الرأس فى مسرح الجريمة؟ فى مكان يحدث صدمة كبيرة؟ مكان لا يمكن نسيانه؟ ربما يكون فى المطبخ؟ أو مكان بارز على الأرض؟".

"من كان معك بالأمس؟".

"فإظهار الراس والوجه رسالة قوية، فهى طريقة القاتل ليخبرنا أنه يسيطر على الأمر بشكل تام. إنه يظهر لكم مدى ضعفكم أيتها المحققة، ومدى قوته".

*" من كان معك؟"* . خروج الكلمات بتلك الطريقة السريعة جعل جان تدرك أنها قد أخطأت، فقد سمحت لـ أودونيل بأن تشعر بفقدان جان لأعصابها، وتلك هى علامة الضعف المطلق.

قالت أودونيل: "صداقاتى أمر خاص". وأضافت بابتسامة هادئة: "باستثناء الفرد الذي تعرفينه، معرفتنا المشتركة، أتعرفين، فهو لا يزال يسأل عنك، يريد أن يعرف ما وصلت إليه". لم يكن عليها أن تقول اسمه. فكلاهما يعرف أنها تتحدث عن وارن هويت.

فكرت جان وقالت لنفسها: *لا تستجيبى لها. لا تتيحى لها فرصة لترى إلى أى مدى غرست أنيابها داخلك.* ولكنها شعرت بوجهها يتوتر عندما رأت فروست ينظر لها باهتمام، فالجروح التى تركها هويت على يديها لم تكن أكثر الجروح وضوحا فحسب؛ بل كانت أعمق الجروح أيضاً. وحتى الآن، وبالرغم من مرور سنتين، فمازالت تتوتر عند ذكر اسمه.

قالت أودونيل: "إنه أحد مشجعيك، أيتها المحققة. ورغم أنه لن يسير ثانية بسببك فهو لا يُكن لك أية ضغينة".

"لا يهمنى رأيه".

"لقد ذهبت لزيارته الأسبوع الماضى، وأرانى مجموعته الإخبارية: *ملف جانى،* كما يسميه. وعندما وقعت فى حصار المستشفى، فى الصيف الماضى، ظل مبقيا على التلفاز مفتوحا طوال الليل ليشاهد كل ثانية من حصار المستشفى". توقفت عن الكلام ثم أضافت: "لقد أخبرنى أنك قد رزقت بطفلة صغيرة".

وأصبحت جان متوترة ثانية وقالت لنفسها: *لا تتركيها تفعل ذلك بك، لا تتركيها تغرس أنيابها بداخلك أكثر من ذلك.*

"أعتقد أن اسم طفلتك هو ريجينا، أليس كذلك؟".

وقفت جان، ورغم أنها أقصر من أودونيل، فهناك شيء في عينى جان جعل المرأة الأخرى تتراجع للخلف بشكل مفاجئ، ثم قالت: "سنتصل بك ثانية".

قالت أودونيل: "اتصلى بى كما تشائين، فليس هناك شىء آخر لأخبركم به".

قالت جان موجهة حديثها إلى فروست: "إنها تكذب".

وجذبت باب السيارة وجلست وراء عجلة القيادة تحدق فى المنظر الذى يصلح ككارت تهنئة بعيد رأس السنة، الشمس متلألئة على قطع الثلج، والمنازل المغطاة بالثلوج مزينة بالأكاليل وأغصان الشجر. ولا يوجد أى سانتا كلوز أو أيائل بهذا الشارع، وليس هناك أى أشياء استثنائية مثل الأشياء الموجودة فى ريفير، حيث نشأت. وفكرت فى منزل جونى سيلفا وهو منزل يوجد فى الشارع التالى لمنزل والديها، وفى خطوط السياح الطويلة الذين يطوفون شوارع المدينة، ليروا عرض الضوء الذى يقدمه آل سيلفا أمام منزلهم كل شهر ديسمبر. هناك يمكنك رؤية سانتا كلوز والحكماء الثلاثة ورسومات زجاجية للعديد من الحيوانات، كل تلك الأشياء تتداخل معا كالكرنفال، ويمكنك إضاءة دولة أفريقية صغيرة بالكهرباء التى يستعملها آل سيلفا طوال عيد رأس السنة.

لكن فى شارع براتل، لم يكن هناك أى من الاحتفالات السنوية، بل هناك فقط الأناقة المبالغ فيها، ولا يعيش هنا أى فرد من عائلة جونى سيلفا، وهى تفضل جونى المغفل هذا كجار لها عن تلك السيدة التى تعيش فى ذلك المنزل.

"إنها تعرف أشياء أكثر مما أخبرتنا بها".

سألها فروست: "كيف وضعت استنتاجاتك؟".

"بالغريزة".

"اعتقدت أنك لا تؤمنين بالغريزة، فذلك هو ما تخبريننى به دائما، فهى لا تعدو تخميناً صحيحاً".

"لكنى أعرف هذه السيدة، وأعلم ما الذى يجذب انتباهها".

ونظرت إلى فروست، الذى زاد ضوء الشمس الضعيف من شحوب وجهه، قائلة: "لقد حصلت على أكثر من مكالمة من القاتل فى الليلة الماضية".

"أنت تخمنين".

"فلماذا مسحت الرقم؟".

"ولماذا لا تمسحه، إذا لم يترك المتصل أية رسالة؟".

"تلك هى قصتها".

"يا رجل لقد نالت منك". وهز رأسة قائلا: "عرفت أنها ستنال منى".

"لكنها لم تنل منك بدرجة كافية".

"حقاً؟ عندما بدأت الحديث عن ريجينا ألم يثر ذلك أعصابك؟ إنها ماكرة. إنها تعرف كيف تؤثر فيك جيدا، لا يجب عليك التعامل معها".

"ومن عليه ذلك؟ أنت؟ أم وينى كاسوفيتز تلك؟".

"شخص ليس له علاقة سابقة بها، شخص لا تستطيع أن تلمس أوتاره الحساسة". ونظر إلى جان نظرة فاحصة جعلتها ترغب فى الابتعاد ببصرها عنه، فهما رفيقان منذ سنتين، ومع ذلك لم يكونا أقرب الأصدقاء، فهما يفهمان بعضهما بالطريقة التى يفهم الأصدقاء المقربون أو المحبون بعضهم بها، لأنهما قد مرا بنفس الأمور المرعبة معا، وخاضا نفس الحروب، ويعرف فروست تاريخها مع جويس أودونيل أكثر من أى فرد آخر، حتى زوجها جابريل.

وأيضا تاريخها مع القاتل المسمى بالجراح.

سألها بهدوء: "ما زالت تخيفك، أليس كذلك؟".

"كل ما تفعله يثير اشمئزازى".

"لأنها تعرف ما الذى يخيفك، ولا تتوقف عن تذكيرك به، ولا تنسى أبداً أن تذكرك باسمه".

"أيبدو أننى خائفة من رجل لا يستطيع السير على قدمية؟ ولا يستطيع التبول إلا بمساعدة إحدى الممرضات؟ أوه، نعم، فأنا خائفة حقا من وارن هويت".

"أما زالت تراودك الكوابيس؟".

جعلها سؤاله هذا تشعر بالقشعريرة تسرى فى جسدها، فهى لا تستطيع الكذب عليه؛ وهو يعلم ذلك، فلم تقل شيئاً، بل نظرت للأمام مباشرة، إلى الشارع المثالى بمنازله المثالية.

قال فروست: "كانت لتراودنى الكوابيس، لو حدث ذلك الأمر لى".

قالت لنفسها: *لكن ذلك لم يحدث لك، فأنا الوحيدة التى شعرت بنصل هويت على رقبتى، وترك مشرطه ندبات فى جسدى. وأنا الوحيدة التى مازالت تفكر بذلك الأمر، وتحلم به.* ومع أنها تعلم أنه لا يمكنه أن يؤذيها، إلا أن مجرد التفكير أنها كانت موضع رغباته يجعلها تشعر بقشعريرة فى جسدها.

قالت لـ فروست: "لماذا نتحدث عنه، كنا نتحدث عن أودونيل".

"لا يمكنك الفصل بين الاثنين".

"لست أنا من يستمر فى ذكر اسمه، فلننه هذا الموضوع، اتفقنا؟ جويس بى. أودونيل والسبب الذى جعل القاتل يتصل بها".

"نحن غير متأكدين إذا كان القاتل هو من اتصل بها".

"التحدث إلى أودونيل هاتفيا أشبه بالاتصال بمحترفى الدعارة عبر الهاتف. فيمكنهم إخبارها برغباتهم المريضة وهى

تسايرهم وتطلب منهم الحديث أكثر لتسجل ملاحظاتها. وذلك قد يكون السبب الذى جعله يتصل بها. فقد كان يرغب فى التحدث عن إنجازاته، فهو يريد أذناً مصغية، وأكثر الأشخاص ملاءمة ليجرى معه اتصال هى (د. قاتلة)". وبضغطة عصبية على مفتاح السيارة بدأت القيادة، وبدأ الهواء البارد فى الاندفاع من فتحات التدفئة بالسيارة وأكملت حديثها قائلة: "فقد اتصل بها ليتفاخر، وينعم باهتمامها".

"فلماذا تكذب بخصوص هذا الأمر؟".

"لماذا لم تخبرنا بمكانها ليلة أمس؟ فذلك يجعلك تتساءل عمن كانت معهم، وإذا كانت هذه المكالمة دعوة للمشاركة".

عبس فروست فى وجهها قائلا: "هل تقولين ما أعتقد أنك تقصدينه؟".

"فى وقت ما قبل منتصف الليل، قام القاتل بتشريح وتقطيع لورى آن تاكر. وبعد ذلك اتصل هاتفيا بالدكتورة أودونيل، وادعت أنها لم تكن بالمنزل — والدليل أن آلة الرد الموجودة بهاتفها هى التى أجابت. لكن ماذا لو كانت موجودة بالمنزل فى ذلك الوقت؟ ماذا لو تحدثا إلى بعضهما بالفعل؟".

"لقد اتصلنا بمنزلها فى الساعة الثانية صباحا ولم تكن موجودة لتجيب على الهاتف".

"لأنها لم تكن موجودة بالمنزل بعد ذلك. فقد قالت إنها خرجت مع بعض الأصدقاء". ونظرت إليه جان واستطردت قائلة: "ماذا لو كان الأصدقاء مجرد صديق واحد؟ صديق جديد لامع وذكى؟".

"أتعتقدين أنها تحمى هذا القاتل؟".

"لا يمكننى استبعاد أى شىء معها". ورفعت قدمها عن مكابح السيارة وقالت: "أى شىء".

# الخامس

قالت أنجيلا ريزولى وهى تنظر عبر زجاج الموقد إلى ابنتها: "لا توجد طريقة لقضاء عطلة عيد رأس السنة هذه". كان هناك أربع قدور تُطهى على المواقد، والبخار كان يتصاعد منها حول شعر أنجيلا المبلل بالعرق. وحملت قدرا ووضعت منه ملء طبق من الجنوتشى فى الماء المغلى. وأحدث ذلك صوتا عاليا، وذلك الرذاذ المتصاعد أعلن أن الغداء على وشك الانتهاء. ونظرت جان وهى بالمطبخ فيما حولها إلى ذلك العدد الكبير من أطباق الطعام. فقد كان أخوف ما تخاف أنجيلا ريزولى أن يترك أحدهم أفراد أسرتها جائعين يوماً ما.

واليوم لم يكن ذلك اليوم.

على مائدة الطعام كان هناك فخذ حمل مشوى، مضافًا إليه الثوم والبهارات، ومقلاة كبيرة من البطاطس المقلية مضافًا إليها بعض النبات المعطر. ورأت جان بعض الخبز وسلاطة من شرائح الطماطم والجبن. وكان الابتكار الوحيد الذى أدخلته هى وجابريل إلى المائدة هو سلاطة الفاصوليا الخضراء. وكانت القدور المغلية على الموقد تفوح منها رائحة الطعام، وبدأ الجنوتشى الرقيق فى إخراج الفقاعات وإحداث دوامات داخل القدر.

سألت جان: "ما الذى يمكننى فعله يا أمى؟".

"لا شىء، فقد عملت اليوم، اجلسى هنا".

"أتريديننى أن أقطع الجبن؟".

"لا، لا. أنت متعبة، فقد أخبرنى جابريل أنك كنت مستيقظة طوال الليل". قلبت جان القدر بسرعة مستعملة ملعقة خشبية وأكملت أمها الحديث: "لا أعلم لماذا تعملين اليوم أيضاً، فذلك أمر غير معقول".

"هذا ما عليَّ فعله".

"لكنه يوم عيد رأس السنة".

"قولى ذلك للمجرمين". وسحبت جان المبشرة من الدرج وبدأت فى تقطيع قطعة كبيرة من الجبن بنصل المبشرة. فهى لا يمكنها مجرد الجلوس فقط فى المطبخ. "كيف لا يساعدك مايك وفرانكى على أيه حال؟ من المؤكد أنك تطهين طوال الصباح".

"أوه، أنت تعرفين إخوتك".

"نعم". *للأسف*.

وفى الغرفة الأخرى كان يدوى صوت مباراة لكرة القدم عبر التلفاز كالعادة، واختلطت صيحات الرجال مع زئير الجماهير بالاستاد، جميعهم يحيون شخصاً ما لديه مؤخرة مشدودة ومعه كرة مصنوعة من جلد الحيوانات.

واستعجلت انجيلا لتلقى نظرة على سلاطة الفاصوليا الخضراء وقالت: "ياه، تبدو جيدة! ما هى التوابل المضافة إليها؟".

"لا أعلم، فجابريل هو من صنعها".

"أنت محظوظة جدا يا جان بزواجك من رجل يستطيع الطهى".

"وأنت ما عليك إلا أن تُجَوِّعى أبى لعدة أيام، وسيعرف كيف يطهو بدوره".

"لا، لن يتعلم، هو يكتفى بالجلوس على مائدة الطعام يضيع الوقت وينتظر أن يأتيه الطعام". ورفعت أنجيلا قدر

الماء المغلى وقلبته لينزل الجنوتشى المطهو داخل المصفاة. وعند زوال البخار رأت جان وجه أنجيلا المبلل بالعرق، المحدد بخصلات من شعرها المبلل حول وجهها. فى الخارج كانت الرياح تهب بالشوارع المغطاة بالثلج، لكن فى مطبخ والدتها، كانت السخونة تلفح وجهها وتكون بخار ماء على زجاج النوافذ.

"ها هى أمك". قالها جابريل وهو يحمل بين ذراعيه ريجينا المستيقظة للتو من نومها. "انظروا من استيقظ من نومه".

قالت جان: "لم تنم طويلا".

ضحك قائلا: "هل ذلك بسبب مباراة كرة القدم؟ فابنتنا مشجعة وطنية كان يجب أن تسمعى صياحها عندما أحرز فريق الدلافين أهدافاً".

"دعنى أحملها". وفتحت جان ذراعيها وضمت ريجينا المتلوية إلى صدرها وفكرت فى نفسها: *طفلتى عمرها أربعة أشهر فقط وتحاول الابتعاد عنى.* فريجينا الصغيرة العصبية قد أتت للعالم وهى توجه اللكمات فى الهواء، وكان وجهها أرجوانيا من الصراخ. تساءلت جان وهى تهدهد ابنتها: *هل أنت مستعجلة على النمو؟ لم لا تبقين طفلة لفترة لأحملك واستمتع بك قبل أن تجعلك السنوات تسيرين خارج باب منزلنا؟*

شدت ريجينا شعر جان بشكل مؤلم، وبقلق، انتزعت جان الأصابع العنيدة بصعوبة وحدقت فى يد طفلتها، وفكرت فجأه فى يد أخرى، باردة وليس بها حياة. ابنة أفراد آخرين ترقد مقطعة فى المشرحة. *ها هو يوم عيد رأس السنة، فكان يفترض بى ألا أفكر فى امرأة ميتة.* لكنها عندما قبلت شعر ريجينا الناعم، واستنشقت رائحة الصابون ومستحضر غسيل شعر الأطفال، لم تتمكن من منع ذاكرتها من التفكير فى مطبخ آخر وما حدقت إليه فى أرضية ذلك المطبخ.

"يا أمى إنه وقت الاستراحة فى المباراة. متى سنأكل؟".

نظرت جان إلى أخيها الأكبر فرانكى وهو يسير بتثاقل إلى داخل الغرفة، فقد مرت سنة على آخر مرة رأته فيها، عندما أتى بالطائرة من كاليفورنيا ليحضر عيد رأس السنة. ومنذ تلك الفترة تضخمت أكتافه وأصبحت أكبر، فبمرور كل عام، يبدو على فرانك أنه يزداد ضخامة، وذراعاه مليئتان بالعضلات ولا يستطيع السير بهما مفرودين بل عليه تقويسهما. وقالت لنفسها: *كل تلك الساعات فى حجرة الرياضة البدنية وما الذى وصل إليه؟ أكثر ضخامة لكن ليس أكثر وسامة.* وألقت نظرة خاطفة تنطوى على الإعجاب إلى جابريل، فهو أطول وأكثر نحافة من فرانكى ويبدو مثل فرس السباق وليس فرس سحب البضائع. وقالت لنفسها: *عندما يكون لديك العقل فمن سيحتاج عضلات وحش؟*

قالت أنجيلا: "سيكون الغذاء جاهزا خلال عشر دقائق".

قال فرانكى: "ذلك يعنى أننا سنأكل خلال الشوط الثالث".

قالت جان: "لماذا لا تغلقون التلفاز يا رفاق؟ فذلك عشاء عيد رأس السنة".

"نعم، وقد كنا سنأكل مبكرا لو وصلت فى ميعادك".

ردت أنجيلا بحدة: "فرانكى، عملت أختك طوال الليل. وانظر، فهى الآن تساعدنى، فلا تتحامل عليها!".

كان هناك هدوء مفاجئ داخل المطبخ على كل من الأخ والأخت وهما يحدقان فى أنجيلا بدهشة. *هل وقفت أمى فى صفى، لمرة واحدة؟*

قال فرانكى: "حسنا، إنه عيد عظيم". وسار خارج المطبخ.

أنزلت أنجيلا مصفاة الجنوتشى المجفف داخل سلطانية التقديم وغرفت من صلصة اللحم وقالت بتذمر: "لا يوجد تقدير لما تفعله المرأة".

ضحكت جان قائلة: "ألاحظت ذلك للتو؟".

"ألا نستحق بعض الاحترام؟". وحملت السكين وهجمت على كومة من البقدونس، وقطعتها بسرعة مثل البندقية الآلية وأكملت حديثها: "أنا ألوم نفسى فقد كان علىَّ تربيته بشكل أفضل، لكن فى الواقع، فالخطأ خطأ والدك، فهو يجلس مثله، ولا يقدرنى مهما فعلت".

ولمحت جان جابريل، الذى اختار تلك اللحظة ليهرب من الغرفة وقالت: "آه ... يا أمى؟ هل فعل أبى شيئاً أغضبك؟".

ونظرت أنجيلا من وراء كتفها إلى جان، وتحرك سكينها فوق البقدونس وقالت: "لا ينبغى أن تعرفى".

"بل ينبغى".

"يا جان، لا أريد الخوض فى هذا الموضوع. أعتقد أن كل والد يستحق احترام أبنائه بغض النظر عما فعله".

"إذن فقد فعل شيئاً".

"كما أخبرتك، لن أخوض فى ذلك ". جمعت أنجيلا البقدونس المقطع ورشته على طبق الجنوتشى. ووقفت على باب المطبخ وصاحت بصوت أعلى من صوت التلفاز: "العشاء! اجلسوا على المائدة".

ورغم أمر أنجيلا، فقد مرت عدة دقائق حتى استطاع فرانك ريزولى وولداه أن يقتلعوا أنفسهم من أمام التلفاز، فقد بدأت الاستراحة وظهرت الفتيات بملابسهن الذهبية على المسرح. وجلس رجال عائلة ريزولى الثلاثة وأعينهم مركزة على الشاشة. وكان جابريل فقط هو من قام ليساعد جان وأنجيلا فى نقل أطباق الطعام إلى غرفة الطعام. ورغم أنه لم يقل كلمة واحدة، إلا أن جان استطاعت أن تقرأ نظرات عينية التى تقول:

*منذ متى وعشاء عيد رأس السنة يتحول إلى صراع؟*

وضعت أنجيلا سلطانية البطاطس بعنف على المنضدة، واندفعت عبر حجرة المعيشة، وانتزعت جهاز التحكم عن بعد، وبضغطة واحدة أغلقت التلفاز.

تأوه فرانكى قائلا: "أوه، يا أمى، ستأتى جيسيكا سيمبسون فى عشرة ..." لكنه عندما رأى وجه أنجيلا لم ينطق كلمة واحدة.

كان مايك هو أول من قام من فوق الأريكة، وانطلق بدون كلمة واحدة إلى غرفة الطعام، تبعة أخوه فرانكى بسرعة أقل ثم فرانك الأكبر.

تم إعداد مائدة الطعام على نحو رائع وفخم، فالشموع مضاءة فى شمعدانات زجاجية، ووضعت أنجيلا مناديل المائدة المذهبة والخزف الصينى الذى اشترته للتو من سوق دانسك. وعندما جلست وألقت نظرة على الطعام، لم تكن نظرة فخر بل نظرة عدم رضا.

قال جابريل: "ذلك يبدو رائعا، سيدة ريزولى".

"لماذا، شكرا لك، أعلم أنك تقدر حجم الجهد المبذول فى وجبة مثل هذه، لأنك تعلم كيف تطهو".

"حسنا، لم يكن لدىَّ حرية الاختيار، فالعيش بمفردى لعدة سنوات جعلنى أتعلم". ومد يده من تحت المنضدة وأمسك يد جان قائلا: "أنا محظوظ لأننى وجدت فتاة تستطيع الطهى". وكان عليه أن يضيف: *عندما تأتى إلى المنزل.*

"لقد علمت جان كل شىء أعرفه".

نادى فرانكى: "أمى، هلا تمررين لى قطعة من لحم الحمل؟".

"عذرا؟".

"لحم الحمل".

"ما الذى حدث لكلمة "من فضلك؟" فأنا لن أعطيها لك إلا إذا قلتها".

تنهد والد جان وقال: "فليهدأ كل منكما، فهذا يوم عيد، هل يمكننا أن نطعم الفتى؟".

"أنا أطعم هذا الفتى لمدة ستة وثلاثين عاما، وهو لن يموت من الجوع لأننى أطلب منه بعض اللياقة".

"آم... أمى" تجرأ مايك وقال: "أيمكنك، أوه، أن تمررى إلىَّ تلك البطاطس، من فضلك؟". وبخجل، كررها ثانية: "من فضلك؟".

"نعم، يا مايكى". واعطته سلطانية البطاطس.

ولدقيقة لم يتحدث أحد. والصوت الوحيد كان هو صوت المضغ وارتطام المشغولات الفضية بالخزف، ونظرت جان إلى والدها، الجالس على أحد أطراف المنضدة، وإلى والدتها الجالسة على الطرف الآخر، ولم يكن هناك أى نوع من أنواع التواصل بينهما، وبديا كمن يأكلون فى حجرتين مختلفتين، بعيدتين عن بعضهما، فلم تقم جان من قبل بمراقبة والديها، لكنها اليوم شعرت أنها مجبرة على ذلك، وأحبطها ما رأته. متى أصبحا كبيرين فى السن بهذا الشكل؟ ومتى بدأ نظر والدتى فى الضعف، ومتى أصبح شعر والدى مجرد خصلات متناثرة؟

ومتى بدأ كل منهما فى كره الآخر؟

سألها والدها وهو يوجه نظراته إليها ويتجنب متعمدا النظر إلى أنجيلا: "إذن يا جان، أخبرينا ما الذى شغلك طوال الليلة الماضية".

"اممم، لا أعتقد أن أحداً يحب سماع أى شىء عن ذلك، يا أبى".

قال فرانكى: "أنا أريد ذلك".

"إنه يوم عيد رأس السنة وأعتقد أنه ربما -".

"من تم تقطيعة؟".

نظرت إلى أخيها الأكبر عبر المنضدة.

"امرأة شابة، لم يكن منظراً جميلاً".

قال فرانكى: "لا يضايقنى أى حديث عن هذا الموضوع".

الرقيب فرانكى، يتحداها ليحرجها.

"هذا الموضوع سيضايقك بالتأكيد كما يضايقنى".

"هل كانت حسنة المظهر؟".

"ما الذى ترمى إليه؟".

"مجرد تساؤل".

"ياله من سؤال تافه".

"لماذا؟ إذا كانت حسنة المظهر، فذلك سيساعدنا على تحديد دوافع القاتل".

"*ليقتلها*؟ فرانكى ماذا دهاك؟".

قال والدها: "جان. إنه يوم عيد رأس السنة".

قالت أنجيلا بحدة: "حسنا، جان لديها وجهة نظر".

نظر فرانك إلى زوجته بدهشة وقال: "ابنتك تنفعل على مائدة الطعام، وأنت تحملينني المسئولية؟".

"أتعتقد أن النساء الجميلات فقط هن من يستحققن القتل؟".

قال فرانكى: "أمى، لم أكن أقصد ذلك".

قال والده: "لم يقل ذلك".

"ولكنها طريقة تفكيركما أنتما الاثنين، فالنساء جميلات المظهر هن فقط الجديرات بالاهتمام، أحبهن أو اقتلهن، فالأمر ممتع فقط إذا كن جميلات".

"أوه، عذرا".

"عذرا على ماذا، فرانك؟ أنت تعلم أن ذلك صحيح، انظر إلى نفسك".

توجهت نظرات جان وإخوتها تجاه والدهم.

سألها مايك: "لماذا ينظر إلى نفسه، يا أمى؟".

قال فرانك: "أنجيلا، إننا يوم عيد".

"أعلم أنه عيد!". ونهضت أنجيلا وهى تبكى قائلة: "أنا أعرف". وسارت إلى خارج الحجرة ودخلت إلى المطبخ.

نظرت جان إلى والدها وقالت: "ما الذى يحدث؟".

هز فرانك كتفيه قائلا: "النساء فى هذا العمر تتغير حياتهن".

"هذا ليس تغيرا فى الحياة فقط، أنا ذاهبة لأرى ما يزعجها". ونهضت جان من مقعدها وتبعت والدتها إلى المطبخ.

"أمى؟".

لم يبد أن أنجيلا سمعتها، فقد كانت تقف وهى تخفق الكريمة فى قدر من الصلب غير القابل للصدأ، وأصدر المضرب صوتا، ونثر بعضاً من الكريمة على الأرضية.

"أمى، هل أنت بخير؟".

"إننى أجهز الحلوى، فقد نسيت تماما أن أخفق الكريمة".

"ما الأمر؟".

"كان علىَّ الانتهاء من ذلك قبل أن نجلس لتناول الطعام. فأنت تعلمين أن أخاك فرانكى يغضب إذا لم تقدم له الحلوى سريعا، فإذا تركناه جالسا بدون طعام لأكثر من خمس دقائق، فأول شىء سيفعله هو إعادة فتح التلفاز". حملت أنجيلا كيس السكر ووضعت ملء ملعقة من السكر فى القدر أثناء خفق المضرب للكريمة. "على الأقل فإن مايك يفعل ما بوسعه ليبدو لطيفا، رغم أن كل ما يراه أمثلة سيئة؛ كل ما يراه أمثلة سيئة".

"اسمعى، أنا أعرف أن هناك خطأ ما".

أوقفت أنجيلا الخافق، وأرخت كتفيها وهى تحدق فى الكريمة، فالآن أصبحت الكريمة كثيفة وأصبحت متماسكة تقريبا وقالت: "هذه ليست مشكلتك، جان".

"إذا كانت مشكلتك، فهى مشكلتى".

استدارت والدتها لتواجهها ونظرت إليها قائلة: "الزواج أصعب مما تتخيلين".

"ما الذى فعله والدى؟".

وقامت أنجيلا بفك مريلة المطبخ وعلقتها وقالت لـ جان: "أتستطيعين عمل الكعكة من أجلى؟ فأنا مصابة بالصداع، وسأصعد إلى الأعلى لأستريح قليلا".

"أمى، فلنتحدث بخصوص هذا الأمر".

"لن أقول أى شىء آخر، فأنا لست من ذلك النوع من الأمهات. فلم أجبر أولادى أبدا على التحيز لى أو لوالدهم". وسارت أنجيلا إلى خارج المطبخ وصعدت إلى حجرة نومها.

رجعت جان مذهوله إلى حجرة الطعام. وكان فرانكى مشغولا جدا بتناول الجزء الثانى من لحم الحمل لدرجة لم تمكنه من النظر إليها. لكن كان على وجه مايك نظرة قلقة. قد يكون فرانكى أحمق مثل لوح الخشب، أما مايك فقد فهم بوضوح أن هناك شيئاً خطأ فى هذه الليلة. ونظرت إلى والدها الذى كان يفرغ الماء فى كوبه.

"أبى، أتريد أن تخبرنى ما الأمر؟".

أخذ والدها رشفة من الكوب وقال: "لا".

"إنها منزعجة بالفعل".

"وذلك الأمر بينى وبينها، اتفقنا؟". ووقف وربت على كتف فرانكى قائلا: "تعال، أعتقد أنه يمكننا اللحاق بالشوط الثالث".

قالت جان لزوجها وهم فى طريقهم للمنزل: "كان هذا أسوأ عيد مررنا به". وكانت ريجينا قد نامت فى مقعدها بالسيارة، ولأول مرة تمكن جان وجابريل من الحديث طوال الليل بدون مقاطعة. "الأمر عادة لا يسير هكذا. أقصد، فجميعنا نتشاجر، لكن عادة ما تصالحنا أمنا فى النهاية". ونظرت إلى

زوجها، وكانت لا تستطيع قراءة تعبيرات وجهه في السيارة لأن الإضاءة لم تكن واضحة، وقالت: "أنا آسفة".

"على ماذا؟".

"لم يكن لديك فكرة أنك قد تزوجت فتاة خارجة من بيت المجانين، فلعلك الآن تتساءل ما تلك الزيجة التى ورطت نفسك فيها".

"نعم، فأنا أعتقد أنه الوقت المناسب لأبيع زوجتى".

"حسنا، أنت تفكر في ذلك الأمر قليلا، أليس كذلك؟".

"جان، لا تكونى سخيفة".

"تأتى علىَّ فترات أكون راغبة فيها فى الهروب من أسرتى".

"لكن بالتأكيد لا أريد الهروب منك". وتحول ببصره إلى الطريق ثانية، حيث بدأ الثلج الذى تحركه الرياح يتحرك فى دوامات خفيفة أمام مصابيح سيارتهما الأمامية. وقادا السيارة بدون حديث لمدة دقيقة، وبعد ذلك قال جابريل: "أتعلمين، لم أسمع والدىَّ يتشاجران أبدا، ولا مرة واحدة طوال سنوات تربيتى".

"استمر فى توبيخى، فأنا أعلم أن أسرتى مجموعة من الأصوات العالية".

"أنت من عائلة تعبر عن مشاعرها، وهذا كل ما فى الأمر، فهم يضربون الأبواب بعنف، ويصرخون، ويضحكون مثل الضباع".

"أوه، الأمر يتحسن أكثر فأكثر".

"كنت أتمنى لو كنت قد تربيت فى عائلة مثل عائلتك".

ضحكت قائلة: "صحيح؟".

"والداى لم يصرخا أبدا فى بعضهما، ولم يضربا الأبواب بعنف، ولم يضحكا كثيرا أيضا. كلا، فعائلة الكولونيل دين

# مدح روايات تيس جريتسين

***نادي مفيستو***

"لا يمكن أن نلوم القراء إذا وجدوا أنفسهم فى منتصف الليل فجأة وفى الصفحة الخمسين من هذه الرواية - فـ جريتسين بارعة فيما تقدمه لنا".

*ـــ ذا تامبا ترابون*

"ستجعل تلك الرواية القراء يقلبون صفحاتها بحماس شديد".

*ـــ نيوزداى*

"قصة مشوقة ... تحفل بالأسرار الغامضة".

*ـــ شيكاغو صن تايمز*

كانت تفرض النظام بشكل لا يسمح لهم بالتعبير حتى عن مشاعرهم. فأنا لا أتذكر مثلاً أنه قال: "أنا أحبك" لى أو لأمى. فكان علىّ أن أتعلم كيفية قولها. ومازلت أتعلم". ثم نظر إليها وقال: "لقد علمتنى كيف أقولها".

ولمست فخذه، فخذ حبيبها اللطيف الحنون، فقد تبقت القليل من الأشياء لتعلمه إياها.

"إذن فلا تعتذرى عنهم، فهم الأشخاص الذين كانوا السبب فى مجيئك إلى الحياة".

"فى بعض الأحيان أتساءل، وأنظر إلى فرانكى وأقول لنفسى، يا إلهى اجعلنى الطفل الرضيع الذى وجدوه على عتبة الباب".

وضحك قائلا، "لقد كان هناك الكثير من التوتر اليوم، ما هى الحكاية بأية حال؟".

"لا أعرف"، وغاصت فى مقعدها، ثم استطردت: "لكننا سنعرف إن عاجلا أو آجلا".

# السادس

أبعدت جان الأغطية الورقية من فوق حذائها، وارتدت عباءة طبية نسائية، وربطتها من وراء خصرها ونظرت عبر الحاجز الزجاجي إلى داخل معمل التشريح، وقالت لنفسها: *أنا حقا لا أريد الدخول.* لكن كان فروست داخل الغرفة بالفعل يرتدي عباءة التشريح ويضع كمامة تغطي وجهه بالكامل ولا يظهر من وجهة إلا تكشيرة عينيه. وقام يوشيما، مساعد مورا، بسحب نتائج أشعة إكس من أحد المظاريف وعلقها على صندوق العرض. وكان جسد مورا يمنع جان من رؤية منضدة التشريح، ويخفى شيئا لديها رغبة ضعيفة في مواجهته. فمنذ ساعة واحدة فقط، كانت تجلس على منضدة مطبخها وريجينا في حضنها تلاعبها أثناء إعداد جابريل الطعام. أما الآن فإن البيض المخفوق يتحرك بعنف في معدتها وترغب في أن تخلع هذه العباءة وتندفع خارج هذا المبنى إلى الثلج النقي.

ولكن بدلا من ذلك دفعت الباب ودخلت حجرة التشريح.

نظرت إليها مورا، التي لم يبد على وجهها أي شعور بالغثيان بسبب هذه الإجراءات، فهي مجرد محترفة مثل أي محترفين آخرين، توشك على القيام بعملها. ورغم أنها هي ومورا تعاملتا مع الموت، إلا أن مورا كانت أكثر قبولا له، وتشعر براحة أكثر عندما تنظر في وجه الموتى.

قالت مورا: "نحن على وشك البدء".

قالت جان: "لقد علقت فى المرور، فالطرق تعج بالفوضى هذا الصباح". وربطت جان كمامتها عند اقترابها من المنضدة، وتجنبت النظر إلى بقايا الجثة، وركزت عوضا عن ذلك على صندوق عرض أشعة إكس.

فتح يوشيما الجهاز الذى بدأ فى إصدار وميض، وأضاء وراء صفين من الصور؛ صور للجمجمة بأشعة إكس، لكنها لم تكن مثل أى صورة لجمجمة بأشعة إكس رأتها جان من قبل، فالمكان الذى يفترض وجود شوكة العنق فيه، رأت مجرد فقرات، وبعد ذلك ... لم يكن هناك شىء آخر يربطها بباقى الجسد. مجرد الخيال الممزق للأنسجة الرقيقة فى المكان الذى قطعت فيه الرقبة. وتخيلت وضعية يوشيما وهو يهيئ الرأس ليصوره بأشعة إكس، هل تدحرج الرأس مثل الكرة الشاطئية عند قيامه بتصويره، بعدما قام بتحديد زوايا جهاز إرسال الأشعة؟ وتحولت بنظرها عن الصندوق الضوئى.

ووجدت نفسها تحدق فى المنضدة، فى البقايا الموضوعة بوضعية التشريح، فالجذع كان فى المؤخرة، والأجزاء المقطوعة تم وضعها فى مكانها تقريبا. وظهرت لعبة ترتيب العظام واللحم، فالقطع تنتظر التجميع. ورغم أنها لم تكن تريد النظر إليها، ولكنها هنا: الرأس، الذى وضع على الأذن اليسرى، وكأن الضحية تتحول ببصرها لتنظر على الأجناب.

قالت مورا: "أريد الاقتراب من هذا الجرح، أيمكنك مساعدتى فى إمساك الجمجمة وتثبيتها على هذا الوضع؟". توقفت عن الحديث ثم قالت: "جان؟".

قالت جان مذعورة: "ماذا؟" وتلاقت نظراتها مع نظرات مورا.

"يوشيما سيأخذ الصور، وأحتاج إلى إلقاء نظرة بالعدسة المكبرة". شدت مورا الجمجمة بيديها المغطاة بالقفازات وأدارت

الرأس، محاولة أن توفق بين حدود الجروح وقالت: "هنا، أمسكى بها فقط بهذا الوضع. البسى بعض القفازات وتعالى إلى هنا".

ونظرت جان إلى فروست وكانت عيناه تقولان *أنت أفضل منى.* وتوجهت إلى مقدمة المنضدة، وتوقفت لتلبس القفازات، ووصلت لتمسك بالرأس، فوجدت نفسها تحدق فى عينى الضحية، كانت القرنية باهته كالشمع، فيوم ونصف يوم فى الثلاجة كفيل بتجميد اللحم البشرى، وعندما نظرت إلى وجهها تذكرت ركن اللحوم بالسوبر ماركت، خاصة الدجاج المجمد المحفوظ فى أكياس بلاستيكية، فجميعنا فى النهاية مجرد لحم.

مالت مورا تجاه الجرح، تتفحصه من خلال العدسة المكبرة وقالت: "يبدو أن هناك كشطة واحدة بالناحية الأمامية ناتجة عن نصل حاد جدا، والشق الوحيد الذى أراه فى مؤخرة رأسها تحت الأذنين، والجرح تم عمله بسكين الخبز".

"سكين الخبز ليس حاداً تماما" قالها فروست وقد بدا صوته بعيدا جدا. نظرت جان أمامها ووجدته قد تراجع مبتعدا عن المنضدة ويداه تغطيان القناع الذى يضعه على وجهه.

قالت مورا: "ليس ما أقصده بسكين الخبز هو النصل، بل الجرح بشكل متكرر، شرائح مكررة تصبح أعمق وأعمق على نفس السطح المستوى. فما نراه هنا الآن هو جرح عميق من الدرجة الأولى، قطع فى الغضروف الدرقى، حتى العمود الفقرى، وبعد ذلك فصل سريع بين فقرة العنق الثانية والثالثة. ربما استغرق قطع الرأس أقل من دقيقة".

تحرك يوشيما حاملا الكاميرا الرقمية، وهو يلتقط صوراً للجرح المقرب بوضع أمامى، وجانبى، فالرعب يظهر من كل الزوايا.

قالت مورا: "حسناً، جان، فلنلق نظرة على سطح الجرح". وشدت مورا الرأس وقلبته على جانبه لأسفل قائلة: "أمسكيه من هنا".

لمحت جان اللحم المقطوع والقصبة الهوائية المفتوحة، وتجنبت النظر بشكل لاإرادى، فهى تمسك الرأس ولا تراه.

ومرة ثانية، تحركت مورا بالعدسة المكبرة لتفحص سطح الجرح وقالت: "أرى خدوشاً فى الغضروف الدرقى. أعتقد أن النصل كان مسننا. التقط بعض الصور لذلك".

ومرة ثانية، صدر صوت الكاميرا حيث كان يوشيما يلتقط بعض الصور. وفكرت جان قائلة: *يدى ستكون فى هذه الصور، فهذه الصورة ستحفظ فى ملف الأدلة، رأسها ويدى.*

قال فروست: "لقد قلت... قلت إنه كان هناك رذاذ شرايين على الحائط".

أومأت مورا قائلة: "فى حجرة النوم".

"هل كانت حية؟".

"نعم".

"وعملية قطع الرأس تلك استغرقت ثوانى فقط؟".

"بسكين حاد، ويد ماهرة سيتمكن القاتل من فعل ذلك فى الوقت المحدد، العمود الفقرى فقط هو ما قد يعطله".

"إذن فقد عرفت، أليس كذلك؟ من المؤكد أنها قد شعرت بذلك".

"أشك فى ذلك بشدة".

"إذا قطع شخص ما رأسك، ستكونين واعية لعدة دقائق على الأقل، هذا ما سمعته فى عرض *آرت بيل*، فقد كان معه بعض الأطباء يتحدثون عن شىء مثل الإعدام بالمقصلة. فمن المحتمل أن تبقى واعية برأسك وهو يسقط. وتشعرين وكأنك تسقطين بالكامل".

"قد يكون ذلك صحيحا، لكن -"

"قال الطبيب إن مارى ملكة الاسكتلنديين ظلت تحاول الحديث، حتى بعد أن قطعوا رأسها. فقد ظلت شفتاها تتحركان".

قالت جان: "بحق الله يا فروست، وكأننى أحتاج من يزيد من توترى؟".

"ذلك أمر محتمل، أليس كذلك؟ أن تكون تلك الضحية قد شعرت برأسها مقطوعًا؟".

قالت مورا: "لا يبدو ذلك محتملا بشكل كبير، وأنا لا أقول ذلك لأريح أعصابك". قلبت الرأس على جانبه قائلة: "تحسس الجمجمة، هنا مباشرة".

حدق فروست فيها برعب وقال: "لا، الأمر جيد. لا أحتاج إلى ذلك".

"تعال، البس قفازا ومرر أصابعك على عظمة الصدغ. هناك تمزق بفروة الرأس، ولم أره إلا بعد أن غسلنا الدماء، تحسس الرأس من هنا وأخبرنى ما الذى تشعر به".

كان من الواضح أن ذلك آخر شىء يريد فروست فعله، لكنه لبس قفازا ووضع أصابعه بتردد على الجمجمة وقال: "هناك، أوه، كسر عميق فى العظم".

"كسر بالجمجمة، يمكنك رؤيته بأشعة إكس". وسارت لورا إلى الصندوق الضوئى وأشارت إلى الجمجمة وقالت: "فى الصور الجانبية، ترى بعض التمزقات مركزها تلك النقطة، ويتموج أثرها مثل نسيج العنكبوت عبر عظمة الصدغ. فى الواقع، هذا الكسر هو تماما ما نسميه نموذج الفسيفساء أو نسيج العنكبوت. إن الإصابة فى موضع حاسم وخطير، لأن الشريان المغذى للفص الأوسط من المخ يمر بذلك الموضع بالضبط. وإذا قطعت ذلك الشريان، ينزف المريض فى تجويف الجمجمة. وعندما نفتح الجمجمة سنرى إن كان ذلك قد حدث أم لا". ونظرت إلى فروست قائلة: "كانت تلك ضربة واضحة

للرأس، وأنا أعتقد أن الضحية لم تكن واعية عندما بدأ في قطع رقبتها".

"لكنها كانت لا تزال حية".

"نعم، كانت حية بالتأكيد ".

"لكن لا تعرفين إذا كانت واعية أم لا".

"لا توجد أى جروح ناتجة عن الدفاع عن النفس، ولا دليل جسدى على مقاومتها. فالمرء لا يترك قاتله يقطع رقبته بدون مقاومة، أعتقد أنها غابت عن الوعى بتلك الضربة، ولا أعتقد أنها شعرت بالنصل". توقفت مورا عن الحديث ثم أردفت: "على الأقل، آمل ذلك". وتحولت إلى الجانب الأيمن من الجثة، وأمسكت بالذراع المبتورة، ورفعت الجانب المبتور إلى العدسة المكبرة وقالت: "لدينا علامات أكثر لأداة على سطح الغضروف المبتور، حيث قام بفصل المرفق، وهى مثل نفس النصل المستعمل سابقا نصل حاد جدا ومسنن". ووضعت الذراع المفصولة بالمرفق، كما لو كانت تركب تمثالاً لعرض الملابس ولاحظت التشابه. لم يكن هناك أى تعبير عن الرعب على وجهها، كل ما فى وجهها هو التركيز كما لو كانت تدرس أجزاء آلة أو محتويات دائرة وليس لحم ميت، وليس طرف امرأة رفعته فى إحدى المرات لتسرح شعرها أو لتلوح لشخص آخر. كيف تفعل مورا ذلك؟ كيف تسير كل يوم إلى ذلك المبنى وهى تعرف ما ينتظرها بالداخل؟ يومًا بعد يوم تحمل معها المشرط وتحلل الأحداث المأساوية التى أودت بحياة بعض الأشخاص؟ *لقد تعاملت مع هذه المآسى أيضا، لكن ليس علىَّ أن أرى الجماجم المفتوحة أو أدخل يدى فى صدور الموتى.*

ودارت مورا إلى جانب الجثة الأيسر، وبدون لحظة تردد حملت اليد المقطوعة، التى تجلطت عليها الدماء، وبدت هذه اليد مثل الشمع وليس كلحم بشرى، وتلك فكرة فيلم جيدة عن شكل اليد الحقيقية. وضعت مورا العدسة المكبرة على اليد

وفحصت السطح المقطوع، لدقيقة لم تقل شيئا، لكن وضح العبوس على وجهها، ووضعت اليد وحملت الذراع اليسرى لترى ما تبقى من المعصم المقطوع، فازداد عبوسها، وحملت اليد ثانية وقارنت بين الجرحين، محاولة تكملة الأجزاء المبتورة، اليد إلى المعصم، بشرة شمعية إلى بشرة شمعية.

ووضعت أجزاء الجثة بشكل مفاجئ وقالت لـ يوشيما: "أتستطيع أن تعطيني صور المعصم واليد؟".

"هل انتهيت من كل صور أشعة إكس تلك؟".

"سأعود لتلك الصور فيما بعد، أريد الآن رؤية اليد اليسرى والمعصم الأيسر".

رفع يوشيما المجموعة الأولى من صور أشعة إكس ووضع مجموعة جديدة. ومن ضوء صندوق العرض ظهرت عظام اليد والأصابع، صفوف من عظام أصابع اليد مثل أعواد البامبو الرفيعة. خلعت مورا قفازها واقتربت من الصندوق، وثبتت نظراتها على الصور. ولم تقل شيئا؛ فصمتها أخبر جان بوجود شيء خاطئ.

تحولت مورا ونظرت إليها قائلة: "هل بحثت في منزل الضحية بالكامل؟".

"نعم، بالطبع".

"المنزل كاملا، كل خزانة وكل درج؟".

"لم يكن هناك الكثير لأبحث عنه، فقد انتقلت الضحية إلى ذلك المنزل منذ شهور قليلة".

"والثلاجة؟ والمجمد؟".

"وحدات مسح مسرح الجريمة تولت ذلك. لماذا تسألين هذه الأسئلة؟".

"تعالى وانظري إلى أشعة إكس هذه".

نزعت جان قفازها الملوث وذهبت إلى الصندوق لترى الصور، ولم تر شيئاً يبرر لهجة مورا الملحة، لا شيء يماثل ما رأوه على المنضدة، فقالت: "ما المفترض أن أنظر إليه؟".

"أترين صورة هذه اليد؟ هذه العظام الصغيرة تسمى عظام الرسغ، وهى تكوّن قاعدة اليد، قبل أن تنقسم عظام الأصابع". وأمسكت مورا بيد جان لتشرح لها، وتقلب راحة يدها، وأظهرت الجروح التى ستذكر جان إلى الأبد بما فعله بها قاتل آخر؛ سجل للعنف حفره وارين هويت فى لحمها، لكن لم تعلق مورا على الجروح؛ بل أشارت إلى قاعدة مليئة باللحم فى راحة يد جان، بجوار معصمها.

"عظام الرسغ هنا، وتبدو هذه العظام فى أشعة إكس مثل ثمانية أحجار صغيرة، فهى مجرد قطع غليظة من العظام، مربوطة ببعضها عن طريق أربطة وعضلات وأنسجة ضامة، وذلك ما يمنح أيدينا المرونة، وتسمح لنا بعمل مجموعة من المهام المذهلة، بداية من النحت وحتى العزف على البيانو".

"حسنا، إذن؟".

"هذه العظمة هنالك، الموجودة فى الصف المتقارب". وأشارت مورا إلى صورة أشعة إكس - إلى عظمة بجوار المعصم - وقالت: "هذه العظمة تسمى عظمة سكافويد (العظمة الأكبر فى جانب الإبهام من المعصم). وستلاحظين أن هناك مكاناً فارغاً لأحد الأوصال تحتها، وفى هذه الصور هناك كسر واضح فى عظمة أخرى. وعندما قطع القاتل هذه اليد، أخذ أيضا شظية من عظمة الذراع".

"ما زلت لم أفهم ما تقصدينه".

"الآن انظرى إلى صورة أشعة إكس لما بقى من الذراع". وأشارت مورا إلى صورة أخرى. "ترين النهاية الفاصلة لعظمتى الذراع؛ العظمة الأرفع هى عظمة الزند - العظمة الظريفة، والعظمة الغليظة فى جانب إبهام اليد هى عظمة الكعبرة، فتلك هى عملية العظام التى تحدثت عنها فيما سبق. أفهمت ما أحاول الوصول إليه؟".

عبست جان وقالت: "إنها سليمة، من الواضح فى صورة أشعة إكس لهذه الذراع أن كل العظام موجودة".

"صحيح، وهى ليست سليمة فقط، فمازال مربوطًا بها قطعة من العظمة التالية لها، شظية من عظمة السكافويد".

وشعرت جان بأن وجهها قد تخدر فى تلك الحجرة الباردة وقالت بهدوء: "يا رجل، يبدو أن الأمر بدأ يسوء".

"إنه سيئ بالفعل".

استدارت جان وسارت إلى المنضدة، ونظرت إلى اليد المقطوعة، الموضوعة بجوار ما اعتقدت - وما اعتقدوا جميعا - أنه الذراع التى كانت مرتبطة بها.

قالت مورا: "أسطح الجروح لا تتوافق ولا حتى مع صور أشعة إكس".

قال فروست "أتقولين إن تلك اليد لا تخص الضحية؟".

"سنحتاج إلى تحليل دى.إن.إيه لنؤكد ذلك. لكننى أعتقد أن الدليل هنا بالفعل، فى صندوق الضوء". واستدارت قائلة لجان: "هناك ضحية أخرى لم تجديها بعد، ولدينا راحة يدها اليسرى".

## *Vanish*

"قصة فاتنة .... لا يمكننا إنكار براعة جريتسين فى سرد القصص. *Vanish* هى أفضل مثال لرواية مثيرة تحقق أفضل المبيعات: مليئة بالحركة، وممتعة، وتجبرك على قراءتها".

*ـــ شيكاغو صن تايمز*

"تقدم للقارئات بطلة شجاعة ليتمسكن بها ويقلدنها".

*ـــ كتاب العالم الخاص بالواشنطن بوست*

"قصة مثيرة وتشد انتباه القارئ من البداية ولا تتركه".

*ـــ بوك ليست*

"قصة مفعمة بالحيوية ............وواقعية".

*ـــ پابليشرز ويكلى*

"مميزة وواضحة".

*ـــ ليبرارى جورنال*

# السابع

الأربعاء ١٥ يوليو، طريق القمر جديد.

هذه عادات عائلة سول.

فى الواحدة ظهرا وصل العم بيتر إلى المنزل قادما من عيادته فى استراحة منتصف اليوم، وارتدى بنطال جينز وفانلة وتوجه إلى حديقة خضراواته، حيث بدأت ثمار الطماطم والخيار فى إثقال الأشجار والأغصان.

وفى الثانية ظهرا وصل تيدى الصغير قادما من البحيرة، حاملا حوض الصيد الخاص به، لكنه لم يصطد شيئا، فلم أره عائدا إلى المنزل ومعه سمكة واحدة حتى الآن.

فى الثانية والربع، أتت صديقتنا ليلى من التل، تحملان ملابس الاستحمام ومناشف الشاطئ، والفتاة الطويلة - أعتقد أن اسمها سارة - أحضرت معها جهاز راديو، وموسيقاه الغربية والضخمة تسبب الإزعاج فى فترة ما بعد الظهيرة، وفرشن مناشفهن على المرج، واستلقت الفتيات الثلاث تحت ضوء الشمس مثل القطط الغادرة، وجلدهن يلمع بكريم مضاد للشمس، واعتدلت ليلى فى جلستها وأمسكت بزجاجة المياه الخاصة بها، وعندما رفعت الزجاجة لشفتيها، تسمرت فى مكانها، ومازالت تحدق فى نافذتى، فقد رأتنى وأنا أراقبها.

وتلك ليست المرة الأولى.

فوضعت الزجاجة ببطء وقالت شيئا ما لصديقتيها، فقامت الفتاتان الأخريان ونظرتا تجاهى، ولمدة دقيقة حدقن فى، لأننى أحدق فيهن، وأغلقت سارة الراديو، ووقفن جميعا، ونفضن مناشفهن ودخلن إلى المنزل.

وبعد دقيقة، ضربت ليلى الباب بعنف، ولم تنتظر ردى، بل دخلت إلى حجرتى مباشرة بدون دعوة منى.

وقالت: " لماذا تراقبنا؟" .

" لقد كنت أنظر من النافذة فقط" .

" كنت تنظر إلينا" .

" لأنه تصادف وجودكن بالخارج" .

ووقع بصرها على مكتبى، وكان عليه كتاب مفتوح أعطته لى أمى عندما بلغت العاشرة من عمرى، يعرف بكتاب الموتى عند قدماء المصريين، فهو مجموعة من نصوص الدفن القديمة التى تشتمل على عبارات السحر والتعاويذ التى يحتاجها الفرد ليبحر إلى الحياة الأخرى، واقتربت من الكتاب، ولكنها ترددت فى لمسه، معتقدة أن الصفحات قد تحرق أصابعها.

سألتها: " هل أنت مهتمة بطقوس الموت المصرية؟" .

" إنها مجرد خرافات" .

" كيف تعرفين ذلك إلا إذا كنت جربتها؟" .

" أيمكنك حقا قراءة هذه الرموز الهيروغليفية؟" .

" لقد علمتنى أمى، لكن هذه مجرد تعاويذ ثانوية غير مهمة وليست التعاويذ القوية" .

" وما الذى يمكن للتعويذة القوية فعله؟" . ونظرت إلىّ، نظرة مباشرة وقوية جعلتنى أتساءل هل هى أكبر وأذكى مما يبدو عليها، وهل لم أقدرها حق قدرها.

قلت لها: " أقوى التعاويذ، يمكنها أن تعيد الميت إلى الحياة مرة ثانية" .

ضحكت وقالت: " أتعنى كما فى فيلم المومياء؟" .

وسمعت قهقهات تأتى من خلفى واستدرت لأرى صديقتيها تقفان على باب الحجرة، فقد كانتا تختلسان السمع، ونظرتا إلىّ باحتقار، من الواضح أننى أكثر الأولاد الذين قابلنهم من قبل غرابة، ولم يكن لديهن أدنى فكرة عن مدى اختلافى.

أغلقت ليلى كتاب الموتى، وقالت: " فلنذهب للسباحة يا فتياتا" ، وسارت إلى خارج الحجرة تاركة خلفها الرائحة الجميلة للكريم المضاد للشمس.

ومن نافذتى، رأيتهن يهبطن التل متجهات إلى البحيرة، وأصبح المنزل هادئا الآن.

ذهبت إلى حجرة ليلى، وسحبت خصلات طويلة بنية الشعر من فرشاة الشعر الخاصة بها ووضعت الشعر فى جيبى، وأفرغت الكريمات والمستحضرات الموجودة لديها واستنشقتها؛ فكل رائحة تجلب معها ومضة من الذاكرة: ليلى وهى جالسة على مائدة الإفطار، ليلى وهى جالسة بجوارى فى السيارة. فتحت خزانة ملابسها ولمست ملابسها، الملابس التى قد ترتديها أية مراهقة أمريكية، فهى مجرد فتاة رغم كل شىء، ليس أكثر، لكنها تحتاج للمراقبة.

وذلك ما أفعله على أكمل وجه.

# الثامن

**سينا، إيطاليا، أغسطس.**

**استيقظت ليلى سول من نومها العميق وظلت تلهث على الملاءة المثنية، وتوهج ضوء الغروب الضارب إلى الحمرة من خلال شق بين المصاريع الخشبية، وكانت هناك ناموسة تطن فى الظلام فوق سريرها وتدور منتظرة تذوق طعم لحمها الطرى، ومن خوفها اعتدلت فى جلستها على الفراش الصغير، ودفعت شعرها المتشابك للخلف، ودلكت رأسها لتهدأ نبضات قلبها، وسال العرق من تحت إبطيها، وتشربت فانلتها الكثير منه، فقد استطاعت النوم فى أسوأ درجات الحرارة بعد الظهر، لكن الغرفة ما زالت خانقة، فالهواء ثقيل بدرجة كافية ليخنقها، وقالت لنفسها: لن أستطيع أن أعيش هكذا إلى الأبد وإلا سأصاب بالجنون.**

***ربما أكون مجنونة بالفعل.***

**نهضت من السرير وسارت إلى النافذة، حتى السيراميك تحت قدميها يبعث الحرارة، وفتحت المصاريع ونظرت عبر الساحة الصغيرة على المبانى الساخنة مثل الأفران الحجرية تحت ضوء الشمس، هناك قباب مغطاة بأوراق النباتات الذهبية وأسطح المبانى ذات اللون البنى، فحرارة الصيف دفعت سكان سينا مرهفى الإحساس إلى الجلوس فى منازلهم؛ فالسياح فقط هم من بالخارج الآن، يسيرون فى الأزقة الضيقة بأعين**

مفتوحة على آخرها، ينفخون ويعرقون فى طريقهم إلى المبنى الرومانى القديم، أو يقفون ليلتقطوا صورا فوتوغرافية لـ بيازا ديل كامبو، وأحذيتهم رثة تغلى بسبب المشى على الصخور اللاذعة؛ نفس أفعال السياح المعتادة التى فعلتها بنفسها عندما وصلت إلى سينا للمرة الأولى، قبل استقرارها مع السكان المحليين، قبل أن تزيد حرارة شهر أغسطس بالمدينة القديمة التى يعود تاريخها إلى العصور الوسطى.

وتحت نافذتها، فى الساحة، لم تكن هناك حركة واحدة، لكن عند استدارتها، لمحت حركة مفاجئة فى ظل أحد الأبواب، وتجمدت فى مكانها، مركزة نظراتها على تلك البقعة قائلة: *لا أستطيع رؤيته، هل يستطيع رؤيتى؟* وبعد ذلك ظهر الشىء المحتمى بتلك البوابة من مكانه الذى يختبئ فيه، وهرول عبر الساحة ثم اختفى.

مجرد كلب.

وابتعدت عن النافذة ضاحكة، فليس كل ظل يخفى وحشا، *لكن بعض الظلال تخفى وحوشا، وبعض الظلال تتبعك وتهددك أينما ذهبت.*

وفى حمامها الصغير رشت بعض الماء الفاتر على وجهها، وجمعت شعرها للخلف فى ضفيرة، ولم تضيع وقتا لتجميل مظهرها؛ فخلال السنة الفائتة، تخلصت من أى عادة تتسبب فى تأخيرها، فقد عاشت وهى تمتلك حقيبة ملابس واحدة بالإضافة إلى حقيبة ظهر، ولديها زوجان من الأحذية، الخف وحذاؤها الخفيف. أما الجينز والفانلات والسترات فترتديها لتقيها برودة الشتاء. وعندما تفهم ذلك، ستعرف أن البقاء ما هو إلا أمر متعلق بترتيب الأشياء، سواء كانت فى الملابس أو وسائل الدفاع العاطفية. احتفظ بالمكونات بدون أى ربط بينها.

وابق سالما.

وحملت حقيبة ظهرها وسارت خارج الحجرة إلى الطرقة الكئيبة وهناك توقفت، كالعادة، وأدخلت قطعة من أوراق علب الكبريت عند حافة الباب ثم أغلقته، وذلك القفل البدائى، مثل المبنى الذى ربما يرجع إلى قرون مضت، لن يمنع أى فرد من الدخول.

وبعدما أعدت نفسها لتواجه الحرارة، سارت خارج المنزل إلى الساحة، وتوقفت لتفحص المكان الخالى، فالوقت مازال مبكرا لخروج السكان المحليين، لكن فى غضون ساعة أو أكثر سينهضون من قيلولة ما بعد الطعام وسيعودون ثانية إلى محالهم، ومكاتبهم، ومازال أمام ليلى بعض الوقت قبل ميعاد عودتها إلى العمل عند جورجيو، وقد كانت تلك فرصة للسير وإزالة خيوط العنكبوت، لتزور أماكنها المفضلة فى مدينتها المفضلة، فهى فى سينا منذ ثلاثة أشهر، وتشعر أنها تفتقد المدينة بالفعل، فقريبا سيكون عليها الرحيل عنها، كما رحلت عن كل مكان آخر أحبته.

*لقد مكثت هنا فترة طويلة بالفعل.*

سارت عبر الساحة وسارت بطول الممشى المؤدى إلى (فيا دى فونتيبراندا)، وأخذها الطريق تجاه بيت النافورة القديم، الواقع خلف مبان سكن فيها يوما ما فنانو العصور الوسطى وتحولت بعد ذلك إلى مذبح، والفونتبراندا كان من العلامات المميزة فى سينا منذ أن ذكرها دانتى فى أشعاره، ومازالت مياهها نقية، تدعو وتشجع على الزيارة، بعد مرور القرون، وقد سارت هنا مرة تحت ضوء القمر المكتمل، ووفقا للأسطورة، فذلك كان الوقت الذى يأتى فيه المستذئبون ليستحموا فى المياه، قبل أن يتحولوا مباشرة إلى هيئتهم البشرية، وفى تلك الليلة، لم تلمح أيا من المستذئبين، بل مجرد سياح سكارى، ربما كانوا سائحا واحدا فكلهم متشابهون.

وعند صعودها التل، انزلق خفها القوى على الأحجار الساخنة، ومرت بجوار حرم ومنزل سانت كاثرين، التى تقول الخرافات إنها عاشت لفترات طويلة على القربان وليس على الطعام، وأنها رأت الجحيم والأعراف والجنة، واشتاقت للاستشهاد، ولكنها ماتت بشكل طبيعى خيب آمالها، بعد صراع طويل مع المرض، وعندما صعدت ليلى التل فكرت قائلة: *لقد رأيت الجحيم، أيضا، لكنى لا أريد الشهادة، أريد أن أحيا، وسأفعل أى شىء لأعيش.*

وعند صعودها إلى مبنى سان دومينيكو كانت فانلتها قد تشربت بالعرق، ووقفت ترسم على قمة التل، وهى تحدق للأسفل تجاه المدينة، وأسطح المبانى المبنية بالقرميد غير واضحة فى هذا الصيف المرهق، وذلك المنظر جعلها تشعر بالألم فى قلبها، لأنها تعرف أن عليها مغادرة المدينة، لقد اعتادت على سينا أكثر مما ينبغى، وتستطيع أن تشعر الآن بالشر الذى أوشك على اللحاق بها، ويمكنها أن تشم رائحته، رائحة كريهة تحملها الرياح، ومن حولها كان هناك العديد من السياح يتسلقون قمة التل، لكنها وقفت فى عزلة صامتة، كشبح بين الأحياء، وقالت لنفسها: *أنا ميتة بالفعل، وليس ذلك بالنسبة لى إلا وقتا مقترضا.*

"عذرا، يا آنسة؟ أتتحدثين الإنجليزية؟".

نظرت مفزوعة، فرأت رجلاً وامرأة فى منتصف العمر يرتديان فانلات U Penn متماثلة وشورت واسعًا، وكان الرجل يمسك فى يده كاميرا معقدة.

سألته ليلى: "أتريدان أن ألتقط صورة لكما؟".

"سيكون ذلك أمرا رائعا! شكرا لك".

أمسكت ليلى الكاميرا وقالت: "هل هناك طريقة معينة لاستعمال هذه الكاميرا؟".

"لا، كل ما عليك فعله هو الضغط على الزر".

وضع كل من الزوجين ذراعه على ذراع الآخر ووقفا فى وضع تصوير يظهر من خلفهما مدينة سينا كصورة من العصور الوسطى، وذلك تذكارهما الخاص بتسلق صعب فى يوم حار.

سألت المرأة ليلى وهى تعطيهما الكاميرا: "أنت أمريكية، أليس كذلك؟ إذن فمن أين أنت فى أمريكا؟"، كان هذا مجرد سؤال ودى، شىء يسأله العديد من السياح إلى بعضهم، كطريقة للتواصل مع رفاقهم المسافرين بعيدا عن ديارهم، ووضع ذلك السؤال ليلى فى وضع دفاعى، *من الواضح أن فضولهم برىء جدا، لكن أنا لا أعرف هؤلاء الأشخاص، فلا يمكننى التأكد.* كذبت عليهما وقالت: "أوريجون".

"حقا؟ ابننا يعيش هناك! فى أى مدينة تعيشين؟".

"بورتلاند".

"ياله من عالم صغير؟ إنه يعيش بشارع نورث ويست إيرفنج، هل هذا الشارع قريب من محل إقامتك؟".

"كلا"، وتراجعت ليلى بالفعل إلى الخلف، بعيدا عن هذين الشخصين اللذين لا يطاقان، فقد يصران بعد ذلك على أن تشاركهما شرب القهوة، ويسألانها أسئلة أكثر، باحثين عن تفاصيل لا تريد إطلاعهما عليها، فقالت لهما: "أتمنى لكما زيارة ممتعة!".

"انتظرى، كنا نحب أن -".

"علىَّ مقابلة شخص ما"، لوحت لهما وانطلقت بعيدا، ولاحت من بعيد أبواب مبنى سان دومينيكو، فقد توافر لها الملاذ، وتوقفت بالداخل، فى الهدوء اللطيف، وتنهدت تنهيدة راحة، وكان المكان خالياً تقريبا؛ باستثناء القليل من السياح يتجولون فى الفراغ الواسع، ويمكن سماع صدى صوتهم. سارت تجاه القوس القوطى، حيث يلمع الشمع عبر الزجاج

الملون فتبدو كشرائح من الجواهر، مرورا بمقابر نبلاء مدينة سينا المصطفة بجوار الجدران، وتحولت إلى المحراب، وتوقفت أمام المذبح الرخامى ونظرت إلى مكان حفظ الأجساد الذى يحتوى على رأس سانت كاترين، وتم توزيع بقاياها كرفات: جسدها فى روما، وقدماها فى فينيسيا، هل عرفت سانت كاترين أن ذلك سيكون مصيرها؟ أن رأسها سيتم نزعه من جذعها المتحلل، وأن وجهها المحنط سيعرض لأعداد لا حصر لها من السياح المتصببين عرقا، وأطفال المدارس العابثين؟

وحدقت تجاويف عين سانت كاترين فيها عبر الزجاج. *"هذا شكل الموت، لكنك تعرفين ذلك بالفعل، أليس كذلك يا ليلى سول؟"*.

ارتجفت ليلى وتركت المبنى والمحراب وأسرعت إلى باب الخروج، وعندما خرجت ثانية، كانت تدين بالفضل للحرارة وليس السياح، فهناك العديد من الغرباء يحملون الكاميرات وقد تجد أى واحد منهم يصورها خلسة.

بدأت فى النزول من فوق التل، عبر ساحة سالمبينى، مرورا ببالازو تولومى. وتشابك الشوارع الضيقة عادة ما يربك السياح، لكن ليلى تعرف طريقها عبر تلك المتاهات، فسارت مسرعة وهى عازمة على الوصول إلى وجهتها، وكانت متأخرة جدا الآن فقد تأخرت كثيرا فى التل، ومن المؤكد أن جورجيو سيوبخها، وهذا التوقع لم يسبب أى قلق لها، فدمدمة جورجيو لم ينتج عنها أى نتائج ذات أهمية.

لذلك، فعند وصولها للعمل متأخرة خمس عشرة دقيقة، لم تشعر بأى خوف. رن الجرس الصغير المعلق على الباب، معلنا دخولها إلى المحل، واستنشقت روائح الكتب المليئة بالغبار ودخان السجائر والكافور، وقد انحنى كل من جورجيو وابنه باولو على مكتب قرب نهاية المتجر، واضعين

عدسات مكبرة على وجهيهما، وعندما نظر إليها باولو، وجدت ليلى عيناً ضخمة جدا تحدق فيها كعين العملاق ذى العين الواحدة.

ناداها بالإيطالية: "يجب أن ترى هذا! لقد وصلت للتو، فقد أرسلها لنا أحد هواة جمع الأشياء القديمة من فلسطين".

وكانا منهمكين جدا، فلم يلاحظا أنها وصلت متأخرة، وضعت حقيبة ظهرها أسفل مقعدها ونظرت عبر الطاولة العتيقة والرف المصنوع من خشب البلوط. ووراء التابوت الرومانى الحجرى، الذى يستعمل الآن كخزانة لتخزين الملفات، وقفت على قفص خشبى مفتوح الأمر الذى أسقط قطعًا صغيرة من نشارة الخشب على الأرضية، ونظرت إلى الشىء الموضوع على مكتب جورجيو، كان عبارة عن قالب من الرخام المنحوت، ربما كان جزءا من أحد المبانى، ونظرت إلى اللون القديم الذى يغطى السطحين المجاورين للقطعة الرخامية، يا لها من طبقة لها وميض لطيف تكون عبر قرون من التعرض للرياح والمطر والشمس، فقد كان ذلك الشىء حجر زاوية.

وقام باولو الشاب بسحب عدسته المكبرة، ووقف شعره الأسمر، وابتسم لها ولاحظت خصلات شعره التى تغطى أذنه، فبدا كواحد من مستذئبى سينا الأسطوريين، ولكنه مستذئب ساحر جدا وغير مؤذ، وباولو مثل أبية ليس لديه ولو مقدار ضئيل من القسوة، ولو لم تكن ترغب فى تحطيم فؤاده، لاتخذته حبيبا لها.

قال بابلو: "أعتقد أنك ستحبين هذه القطعة". وأعطاها عدسته ثم أردف قائلاً: "هذه القطعة تحديدا من النوع الذى تهتمين به".

## *Body Double*

"قصة مثيرة ومشوقة، لقد تركت جريتسين القارئ متقطع الأنفاس فى النهاية".

*ـــ فيلادفيا إينكوارير*

" رواية بوليسية معقدة مليئة بالمفاجآت والإثارة".

*ـــ سان جوسى ميركورى نيوز*

"قامت جريتسين بعمل بارع فى تقديم الإثارة بشكل تدريجى".

*ـــ بانجور ديلى نيوز*

"سلسلة مثيرة من الحيل المروعة، فإظهار الدوافع العملية المخيفة، وخاتمة أكل الإصبع تجعل من تلك القصة أفضل قصص جريتسين حتى الآن".

*ـــ بابليشرز ويكلى*

وانحنت تجاه حجر الزاوية وفحصت الشكل البشرى المنحوت عليه، كان يقف معتدلا، مرتديا تنوره حول وسطه وأساور وخلاخيل للزينة، لكن الرأس لم يكن رأس إنسان، وقربت العدسة من وجهها وانحنت لتكون أقرب للحجر، وعندما اتضحت تفاصيل الوجه عبر العدسات شعرت برعشة مفاجئة تجتاح جسدها، فقد رأت أسنان وحش بارزة وأصابع بها مخالب، ورأت قرونًا أيضاً.

اعتدلت ليلى، وكان حلقها جافا، وخرج صوتها بعيدا بشكل غريب، قائلة: "أتقول إن هذا الهاوى من فلسطين؟".

أومأ جورجيو وخلع عدسته، وأظهر لها نسخة أقدم وأكثر وضوحا من نسخة باولو قائلاً: "هذا الهاوى جديد علينا، لذلك فنحن غير واثقين منه أو من مصادره".

"كيف تصادف وأرسل لنا هذه القطعة؟".

هز جورجيو كتفيه قائلاً: "وصلت فى هذا الصندوق الخشبى اليوم، وهذا كل ما أعرفه".

"أيريدك أن تبيعها له؟".

"إنه يطلب تثمينها فقط، ما رأيك؟".

حكت أصابعها على الطبقة القديمة، وشعرت بالقشعريرة ثانية تتسرب من قطعة الحجر إلى جسدها وقالت: "من أين قال إنه حصل عليها؟".

ذهب جورجيو إلى حزمة من الأوراق، ثم قال: "يقول إنه حصل عليها منذ ثمانى سنوات، بطهران، أعتقد أن هذه القطعة مهربة"، وهز كتفيه ثانية وغمز بعينه مستطرداً: "لكن ما الذى نعرفه، إيبه؟".

غمغمت قائلة: "فارسى ... إنه أهريمان".

سألها باولو: "وما هو أهريمان؟".

"لا تطرح السؤال مستخدماً أداة الاستفهام (ما) بل (من)، فأهريمان فى بلاد فارس القديمة يرمز للشيطان ... روح

الدمار". وضعت العدسة المكبرة على المكتب وأخذت نفسا عميقا قائلة: "إنه تجسيد الشر عن الفرس القدماء".

ضحك جورجيو وهز يديه بمرح قائلاً: "أترى، يا باولو؟ فقد أخبرتك أنها تعرف ذلك، فهى تعرف جميع الشياطين والأرواح، وفى كل وقت، تجد لديها الإجابة".

نظر باولو إليها، قائلاً: "لماذ؟ لم أفهم أبدا سبب اهتمامك بأمور الشر".

كيف يمكنها الإجابة عن هذا السؤال؟ كيف يمكنها إخباره أنها نظرت فى عين الوحش، ونظر إليها الوحش؟ فهل رآها؟ هذا ما يشغل بالها منذ ذلك الحين.

سألها جورجيو: "إذن، فحجر الزاوية هذا أصلى؟".

"نعم، أعتقد ذلك".

"إذن، فعلىَّ الكتابة إلى ذلك الهاوى فى الحال، صديقنا الجديد بالقدس، لأخبره أنه قد أرسلها إلى الموزع الصحيح، الذى يقدر قيمتها"، وبعناية فائقة، قام بوضع قطعة الحجر ثانية فى الصندوق الخشبى وقال: "لشىء مميز مثل هذا، سنجد مشتريًا بالتأكيد".

فكرت ليلى: *من يريد هذا الشىء الرهيب فى منزله؟ من يريد أن يرى الشر يحدق فيه من فوق حائط منزله؟*

قال جورجيو: "لقد نسيت تقريبا، هل أخبرتك أن هناك شخصاً معجباً بك؟".

نظرت إليه ليلى قائلة: "ماذا؟".

"رجل، أتى للمتجر فى موعد الغداء، وسألنى إذا ما كانت هناك فتاة أمريكية تعمل هنا".

بدا عليها الوجوم وسألته: "وماذا أخبرته؟".

قال باولو: "لقد منعت أبى من قول أى شىء، فقد ندخل فى مشاكل طالما ليس معك تصريح عمل".

وقال جورجيو وهو يغمز بعينه: "لكن الآن فكرت فى الأمر بشكل أفضل، واعتقدت أنه مجرد رجل معجب بك، ولهذا فقد سأل عنك".

ازدردت لعابها وسألت: "هل قال اسمه؟".

ربت جورجيو على ذراع ابنه مداعبا وقال موبخا: "أترى؟ أنت تتحرك ببطء يا فتى، والآن هناك رجل آخر سيأتى ويأخذها منا".

سألت ليلى مرة ثانية: "ما اسمه؟"، وأصبح صوتها أكثر حدة، لكن لم يلاحظ الأب أو الابن ذلك فقد كانا مشغولين بمضايقة بعضهما.

قال جورجيو: "لم يترك اسمه، أعتقد أنه يريد لعب لعبة الأسماء المستعارة ليجعلك تخمنين".

"أكان شابا؟ كيف يبدو؟".

"أوه، يبدو عليك الاهتمام".

"هل كان هناك أى شىء" ـ سكتت عن الكلام للحظة ثم أضافت: "مميز فيه؟".

"ما الذى تعنينه بكلمة مميز؟".

ما أرادت قولة: *ليس بشريًا*.

قال باولو بابتهاج: "لديه عينان زرقاوان جدا، غريبتان ولامعتان مثل عينى الملاك".

*عكس عينى الملاك بالضبط*.

استدارت وذهبت إلى النافذة، ناظرة عبر الزجاج المترب إلى عابرى السبيل، وقالت لنفسها: *إنه هنا، وقد عثر علىّ فى سينا*.

قال جورجيو: "سيرجع ثانية إلى هنا، كونى صبورة".

*وعندما يأتى ينبغى ألا أكون متواجدة هنا*.

حملت حقيبة ظهرها قائلة: "آسفة، لا أشعر بأننى على ما يرام".

"ما الخطب؟".

"أعتقد أنه لم يكن علىَّ أكل هذا السمك بالأمس، فهو يجعلنى أشعر بالتعب، كل ما أحتاج إليه هو الذهاب إلى المنزل".

"سيصحبك باولو إلى المنزل".

"لا!لا!". وذهبت لتفتح الباب وهى تطفئ صوت الجرس المزعج قائلة: "سأكون بخير"، وخرجت مسرعة من المتجر ولم تنظر للخلف، خوفا من أن يصر باولو على اللحاق بها ويؤدى دور المرافق النبيل، فهى لن تتحمل أن يبطئها، فالسرعة هى أهم شىء بالنسبة لها الآن.

سلكت طرقاً جانبية فى طريقها للمنزل، وتجنبت الساحات المزدحمة والشوارع الرئيسية، وسارت فى الأزقة الضيقة بدلا من ذلك، وصعدت السلالم الضيقة بين الجدران القديمة التى ترجع إلى العصور الوسطى، ولفت حول النافورة المجاورة لمنزلها، سيستغرق الأمر خمس دقائق لتحزم أمتعتها، فقد تعلمت أن تكون رحالة، تتحرك عند ملاحظة أى شىء غريب، فكل ما عليها فعله هو جمع ملابسها ووضع مناديل فى حقيبة ملابسها وإخراج حفنة النقود بعملة اليورو من المكان السرى خلف خزانة الملابس، ففى الأشهر الثلاثة الماضية دفع لها جورجيو أموالاً سائلة فى السر، وهو يعلم تماما أنها لا تملك تصريح عمل، وادخرت بعض المال لتنفق منه أثناء تنقلها بين الوظائف، وتكفى أيضا حتى تستقر فى مدينة جديدة، كل ما عليها أن تمسك بالأموال وحقيبة ملابسها وترحل مباشرة إلى محطة الأتوبيس.

كلا، فبعد تفكير لمدة ثانية، رأت أن التاكسى سيكون أفضل، فهو مكلف، لكن إذا استعملته فقط للخروج من المدينة، إلى مدينة سان جيميجنانو، فيمكنها أن تستقل القطار إلى فلورنس، وهناك يمكنها الاختفاء وسط الحشود الكبيرة.

لم تدخل إلى المبنى عبر الساحة؛ بل دخلت عبر الشارع الجانبي المظلل، مرورا بصناديق القمامة والدراجات المركونة، ثم صعدت السلالم، كانت هناك موسيقى تدوي في إحدى الشقق مفتوحة الأبواب على الردهة، إنه ذلك المراهق العنيد تيتو، المقيم بالشقة المجاورة، وجهاز تسجيله اللعين، ولمحت الفتى ممددًا على الأريكة مثل شخص ميت، وأكملت طريقها إلى شقتها، وكانت ستخرج مفاتيحها من حقيبتها إلا أنها لمحت ورقة علبة الكبريت ملقاة على الأرض فتجمدت مكانها.

لم تعد مثبتة بالباب؛ بل سقطت على الأرض.

دق قلبها بعنف عند تراجعها إلى الخلف، وعند مرورها بباب شقة تيتو، نظر إليها الفتى من فوق أريكته ولوح إليها، وتلك كانت من المرات القليلة جدا التي بدا فيها ودودا، وتَرجّته داخل نفسها: *لا تقل كلمة واحدة لي، لا تتجرأ وتقل كلمة واحدة.*

ناداها بالايطالية: "ألم تذهبي إلى العمل اليوم؟".

استدارت ونزلت السلالم جريا، وأخذت تسقط على الدراجات أثناء هروبها مسرعة من الزقاق، وقالت لنفسها أثناء اندفاعها تجاه الركن وهي تقفز من فوق السلالم: *لقد تأخرت كثيرًا*. غاصت وسط حديقة نباتات طويلة، وانحنت وراء حائط منهار وثبتت مكانها، غير قادرة على أخذ أنفاسها إلا بصعوبة، وبعد خمس دقائق، أو عشر، لم تسمع أصوات خطوات أقدام، ولا أصوات مطاردة.

*ربما سقطت ورقة علبة الكبريت من تلقاء نفسها، ربما مازال بإمكاني العودة وأخذ حقيبة ملابسي وأموالي.*

وخاطرت ونظرت من فوق الحائط، وحدقت في الزقاق لكن لم تر أحداً.

*هل أستغل الفرصة؟ هل أتجرأ؟*

وسارت فى الزقاق ثانية، وأخذت طريقها بين سلسلة من الشوارع الضيقة حتى وصلت إلى ضواحى الساحة، لكنها لم تسر فى الشارع المفتوح؛ وسارت بدلا من ذلك تحت جوانب أحد المبانى ونظرت للأعلى تجاه نافذة شقتها، فقد كانت المصاريع الخشبية مفتوحة، كما تركتها، وفى ضوء الشفق المتجمع، رأت شيئا يتحرك فى تلك النافذة لعدة ثوان، صورة ظلية يحيط بها إطار النافذة.

ورجعت مرة أخرى وراء المبنى وقالت: اللعنة، *اللعنة*.

فتحت حقيبة ظهرها وبحثت فى محفظة نقودها، ووجدت ثمانية وأربعين يورو، تكفى لقليل من الوجبات والبسكويت، وربما تكفى لتستقل تاكسى إلى سان جيميجنانو، ولكن ليس أكثر من ذلك، كان معها بطاقة ائتمانية، ولكنها لا تجرؤ على استعمالها إلا فى المدن الكبرى، حيث يمكنها الاختفاء بسهولة بين الزحام، وقد استعملتها آخر مرة فى فلورنسا، مساء أحد أيام السبت، والشوارع مزدحمة.

قالت لنفسها: ليس هنا، *ليس فى سينا*.

وتركت الساحة وسارت فى الأزقة الخلفية لفونتيبراندا، فهنا تقع الأماكن التى تعرفها جيدا؛ وتستطيع خداع أى فرد، ثم ذهبت إلى مقهى صغير اكتشفته منذ عدة أسابيع، لا يذهب إليه إلا السكان المحليون، كان المقهى كئيبا بالداخل ككهف، وكان الهواء مثقلاً بدخان السجائر، فجلست على طاولة بأحد الأركان، وطلبت شطيرة جبن وطماطم وقهوة مركزة، وطلبت كوب قهوة آخر، وآخر، فهى لن تنام فى هذه الليلة بل ويمكنها السير إلى فلورنسا، فالمسافة مجرد - ماذا؟ عشرين، خمسة وعشرين ميلا! فقد نامت فى الحقول من قبل، وسرقت الثمار والعنب من فوق أشجار الحدائق فى الظلام، فيمكنها فعل ذلك ثانية.

التهمت الشطيرة، ومضغت آخر كسرة خبز فى فمها، فهى لا تعلم متى ستأكل ثانية، وعند خروجها من المقهى كان الليل قد أرخى سدوله، وبذلك يمكنها التنقل فى الشوارع المظلمة بقدر أقل من الخوف من أن يتعرف أحدهم عليها. لم يكن لديها خيار آخر، فالأمر ينطوى على مخاطرة، لكنه سينقذها من نزهة على الأقدام لمسافة خمسة وعشرين ميلا.

وسيفعل جورجيو ذلك من أجلها، سيقلها بسيارته إلى فلورنسا.

سارت وسارت بالشوارع الجانبية، وعندما وصلت إلى محل إقامة جورجيو، كانت ساقاها تؤلمانها، وقدماها متعبتين من الحصى الذى لا يمكن تحمله. توقفت فى الظلام تنظر إلى النافذة، فقد توفيت زوجة جورجيو منذ سنوات مضت، والأب والابن يتقاسمان الشقة الآن، وكانت الأضواء مضاءة، لكن لم يكن هناك أية حركة في الدور الأول.

ولم تكن متهورة لتلك الدرجة التى تجعلها تقرع الباب الأمامى، بل دارت حول الحديقة الصغيرة الخلفية بدلا عن ذلك، وتسللت عبر البوابة، وتسللت بخفة وراء نبات السعتر والخزامى لتنقر على باب المطبخ.

لم يجب أحد.

فاسترقت السمع لتتعرف إذا ما كان التلفاز مفتوحا، معتقدة أنهما لا يستطيعان سماعها بسببه، لكن كل ما سمعته هو صوت حركة المرور من الشارع.

حاولت دفع الباب؛ وتأرجح الباب مفتوحا.

استغرق الأمر نظرة واحدة، نظرة واحدة على الدماء، والأذرع المقطوعة والأوجه المشوهة، فقد رأت جورجيو وباولو متشابكين معا فى العناق الأخير.

تراجعت للخلف، واضعة يديها على فمها، غير قادرة على الرؤية بوضوح بسبب الدموع، وقالت لنفسها: *إنه خطئي، الأمر كله خطئي، لقد قتلا بسببي.*

تعثرت وهي خارجة بنبات الخزامى، واصطدمت بالبوابة الخشبية، فأعادتها تلك الصدمة إلى صوابها.

*اذهبي، اجري.*

واندفعت مذعورة خارج الحديقة، غير مهتمة بإغلاق البوابة، وانطلقت عبر الشارع، وخفها يحدث صوتا عندما ينزلق على الحصى الصغير.

ولم تهدئ من سرعتها حتى وصلت إلى ضواحي سينا.

# التاسع

تساءل الملازم ماركويتى: "هل نحن متأكدون تماما من وجود ضحية ثانية؟ فلم يصل تأكيد تحليل الـ دى. إن. إيه. بعد".

قالت جان: "لكن لدينا فصيلتين مختلفتين من الدماء، واليد المبتورة تنتمى لشخص فصيلة دمه (O) موجب، وفصيلة دم لورى آن تاكر (A) موجب، لذلك فالطبيبة آيسلز كانت محقة بكل تأكيد".

ساد هدوء طويل فى حجرة الاجتماعات ثم قال د. زوكر بهدوء: "ذلك الأمر مشوق جدا".

ونظرت جان إليه وهو جالس على المنضدة، فمغزى نظرة عالم النفس الجنائى، د. لاورنس زوكر، عادة لا تشعرها بالراحة، وهو ينظر إليها الآن باعتبارها المركز الوحيد لفضوله، وتشعر تقريبا أن نظرته تشق طريقها لتصل إلى ما فى عقلها، فهما يعملان معا فى التحقيق الجراحى منذ عامين ونصف العام، وهو يعرف ما الذى يراودها بعد كل جريمة، فهو يعرف كوابيسها، والنوبات المرعبة التى تتعرض إليها، ويرى الطريقة التى تحاول أن تخفى بها الندبات الموجودة فى جسدها، كطريقة تتبعها لتمحو الذكريات السيئة، ومنذ أن فعلت ذلك تلاشت كوابيس وارين هويت، لكن عندما نظر زوكر إليها بتلك الطريقة شعرت بأنه كشفها لأنه يعرف أنها كانت

تعرضت لهجوم مماثل من قبل، وطلبت مساعدته للتخلص من آثاره.

توقفت عن النظر إليه وركزت على المحققين الآخرين، بارى فروست وإيفا كاسوفيتز، وهى ترى أن إدخال كاسوفيتز إلى فريقهم خطأ كبير، فتقيؤها على الملأ أعطى فكرة سيئة عن فريق العمل، وقد توقعت جان المزاح العملى الذى سيتبع ذلك، ففى اليوم التالى لعيد رأس السنة، وصل كيس بلاستيكى ضخم عليه اسم كاسوفيتز وظهر بشكل غامض على مكتب الاستقبال الخاص بالوحدة، وكان المفترض على المرأة أن تضحك، أو ربما لا تعير الأمر اهتماما، لكنها بدلا ذلك بدت كمن ضُرب بعصا غليظة على رأسه، وجلست ساكنة على مقعدها منهارة جدا لا تقدر على قول أى شيء، فبهذا الشكل لن تبقى كاسوفيتز فى نادى الأولاد هذا إذا لم تتعلم أن ترد الضربة.

قال زوكر: "إذن، فنحن لدينا قاتل لا يفصل أعضاء ضحاياه فقط، لكنه ينقل أعضاءهم بين مسارح جرائمه، هل لديكم صورة لليد؟".

قالت جان: "لدينا الكثير من الصور"، ومررت ملف التشريح إلى زوكر قائلة: "من شكلها الخارجى، نحن متأكدون أن اليد يد أنثى".

وكانت الصور رهيبة جدا لتصيب أى فرد بالغثيان، لكن لم يبد على وجه زوكر أى صدمة أو اشمئزاز وهو يقلب الصور، كل ما بدا على وجهه هو الفضول الشديد فقط، أم تراها نظرة لهفة تلك التى رأتها فى عينيه؟ هل يستمتع برؤية الفظاعة الموجودة بجسد امرأة شابة؟

وتوقف أمام صورة اليد قائلا: "لم تلمع أظافرها لكن من المؤكد أن أظافر الأصابع تم تلميعها. وأوافقكم الرأى، فتلك اليد تبدو مثل يد أنثى". نظر إلى جان، وعيناه الشاحبتان

سأل ماركويتى: "وماذا لو لم يكن قاتلا جنسيا؟".

قال زوكر: "إذن فسأكون غير واثق مما يمثله ذلك، لكن عملية التقطيع، وعرض أجزاء الجسد، والشموع ودائرة الطباشير"، ونظر للجميع حول المنضدة، ثم أضاف: "أنا متأكد من أننا جميعا نفكر بنفس الشيء، طقوس شيطانية".

قال ماركويتى: "لقد كانت ليلة عيد رأس السنة، فكيف يفعل شيئاً كهذا؟".

وقال زوكر: "وقاتلنا ليس هنا ليحتفل بأمير السلام، بل كان يحاول استدعاء أمير الظلام".

قالت جان وهى تشير إلى حزمة الصور التى لم يرها زوكر بعد: "وهناك صورة واحدة عليك أن تنظر إليها، فهناك بعض الكتابات على الحائط، مكتوبة بدم الضحية".

ووجد زوكر الصورة وقال: "هذه الصلبان الثلاثة المقلوبة، قد تنطوى على معان شيطانية، لكن ما هى تلك الرموز الموجودة بين الصلبان؟".

"إنها كلمة".

"لا أراها".

"إنها صورة معكوسة، يمكنك قراءتها إذا وضعتها أمام مرآة".

ارتفع حاجبا زوكر وقال: "أنت تعرفين دلالة الكتابة بالمرآة، أليس كذلك؟".

"عندما يتفق الشيطان معك على شراء روحك، يتم كتابة الميثاق وتوقيعه بكتابته على المرآة".

قطب جبينه عند سماعه كلامها وقال: "إذن، ما الذى تعنيه هذه الكلمة".

" *(بيكافى)*، وهى كلمة لاتينية تعنى: لقد ارتكبتُ خطيئة".

اقترح ماركويتى، قائلاً: "اعتراف".

قال زوكر: "أو تباه، بإعلانها للشيطان (لقد نفذت أوامرك يا سيدى)"، ونظر إلى كل الصور الموضوعة على المنضدة ثم استطرد: "أحب أن أجد هذا القاتل فى حجرة الاستجواب، فهناك العديد من الأشياء الرمزية هنا: لماذا رتب أجزاء الجسد بتلك الطريقة؟ وما معنى اليد الموضوعة على الطبق؟ ووضع أربعة أطباق على طاولة الطعام؟".

قالت المحققة كاسوفيتز برقة: "الفرسان الأربعة"، وكانت تلك من المرات النادرة التى تحدثت فيها خلال الاجتماع.

سألها زوكر: "لماذا تقترحين ذلك؟".

"نحن نتحدث عن الشيطان، وعن الخطيئة". وتنحنحت لتنقى صوتها، ويبدو أنها تحاول ضبط صوتها بجلوسها معتدلة: "فتلك مواضيع دينية".

قالت جان: "والأربعة أماكن قد تعنى أيضا أن لديه ثلاثة أصدقاء غير مرئيين سيشاركونه فى وجبة منتصف الليل الخفيفة".

قال زوكر: "أنا لا أقتنع بفكرة القتل بدوافع دينية؟".

قالت جان: "أنا أعلم أن الأمر يبدو كعبادة الشيطان، لكنى أعنى أن كل الأشياء لدينا – الدائرة والشموع، وكتابات المرآة والصلبان المقلوبة، يبدو أنه من المفترض علينا أن نصل إلى ذلك الاستنتاج".

"ربما ليغطى السبب الرئيسى وراء قتل لورى آن تاكر".

"ما الدوافع وراء قتلها؟ هل لديها مشاكل عاطفية؟".

"إنها مطلقة، لكن زوجها السابق يعيش فى نيو ميكسيكو، ومن الواضح أن العلاقات بينهما ودية، وقد انتقلت إلى بوسطن منذ ثلاثة أشهر، ولا يبدو أن لديها أى حبيب".

"هل لديها عمل؟".

قالت إيفا كاسوفيتز: "لقد التقيت بمشرفها بمتحف العلوم، فهى تعمل فى محل الهدايا الملحق بالمتحف ولا يعلم أحد شيئاً عن أى صراعات أو مشاكل لها مع أى شخص".

تساءل زوكر: "هل نحن متأكدون من ذلك بالفعل؟". موجها سؤاله إلى جان وليس إلى كاسوفيتز، وكان ذلك كالصدمة فاحمر وجه كاسوفيتز، فقد كان بمثابة ضربة أخرى موجهة إلى تقديرها لذاتها المنخفض أصلاً.

قالت جان لتساند زميلتها: "لقد أخبرتك المحققة كاسوفيتز بما نعرفه للتو".

قال زوكر: "حسنا، فلماذا قتلت هذه السيدة؟ ولماذا يبدو الأمر كعبادة الشيطان إذا لم يكن كذلك؟".

"ليجعل الأمر مشوقاً، وليجذب الانتباه".

ضحك زوكر وقال: " كما لو كان الأمر لا يشد انتباهنا؟".

"ليس نحن، بل اهتمام شخص أكثر أهمية للقاتل منا بكثير".

"تتحدثين عن د. أودونيل، أليس كذلك؟".

"نعرف أن القاتل اتصل بالدكتورة أودونيل، لكنها تدعى أنها لم تكن بالمنزل".

"ألا تصدقينها؟".

"لا يمكننا تأكيد ذلك، فقد محت كل الرسائل الهاتفية، وقالت إنها كانت مكالمة صامتة وأن المتصل قد أنهى المكالمة سريعا".

"ما الذى يجعلك تعتقدين أن تلك ليست الحقيقة؟".

"أنت تعلم من هى، أليس كذلك؟".

نظر إلى جان للحظة وقال: "أعلم أن علاقتكما ليست ودية، وأن صداقتها مع وارن هويت تزعجك".

"الأمر ليس بينى وبين أودونيل -"

"لكنه كذلك، فهى تحافظ على صداقة الرجل الذى كاد يقتلك، رجل أقصى خيالاته أن ينهى تلك المهمة ويقتلك".

مالت للأمام، وتوترت كل عضلة فى جسدها وقالت بهدوء: "لا تتحدث فى هذا الأمر، د. زوكر".

نظر إليها، ورأى شيئاً فى عينيها جعله يميل للخلف فى مقعده، قائلاً: "أنت تعتبرين أودونيل مشتبهاً بها؟".

"أنا لا أثق فيها، فهى تحشو البندقية للمجرمين، ادفع لها ما يرضيها، وستذهب إلى المحكمة وتدافع عن أى قاتل، وستدعى أن أعصابه منهارة وغير مسئول عن أفعاله، وأن مكانه المستشفى وليس السجن".

أضاف ماركويتى: "وهى ليست محبوبة فى دوائر تنفيذ القوانين يا د. زوكر".

قالت جان: "انظر، حتى لو أحببناها، مازلنا لم نجب عن السؤال، لماذا اتصل بها القاتل من مسرح الجريمة؟ ولماذا لم تكن فى المنزل؟ ولماذا لم تخبرنا بمكان وجودها ليلة الحادث؟".

"لأنها تعرف أنك تكنين لها العداء بالفعل".

*ليس لديها أى فكرة عن مدى العدائية التى قد أصل إليها.*

"أيتها المحققة ريزولى، أتشيرين إلى أن د. أودونيل لها دخل فى هذه الجريمة؟".

"كلا، لكن لها دخل بذلك الأمر، فقد دعمتها، وسواء قصدت أم لا، فقد ألهمت القاتل".

"كيف؟".

"أنت تعرفين كيف يمكن لقطة أليفة أن تقتل فأرا وتعود به إلى منزل صاحبها كنوع من التقرب إليه؟ كأحد نماذج التأثير؟".

"تعتقدين أن قاتلنا يحاول أن يؤثر فى أودونيل".

"وذلك سبب اتصاله بها، وسبب تجهيزه مشهد الموت المحكم هذا. ولكى يشد انتباهها، وليتأكد من أن عمله سيكون محط الأنظار، اتصل برقم النجدة، وبعد ساعات قليلة، عند وقوفنا فى المطبخ، اتصل بمنزل الضحية من هاتف خارجي، ليتأكد من وجودنا هناك، فهذا القاتل يربكنا جميعا؛ القانون وأودونيل".

قال ماركويتى: "هل تدركين مقدار الخطر الذى يحيط بها كونها محور انتباه القاتل؟".

"لم يبد عليها التأثر".

"ما الشىء الذى يخيف هذه المرأة؟".

"ربما عندما أرسل إليها القاتل القربان الصغير، الذى يضاهى فأراً ميتاً"، وتوقفت جان عن الحديث برهة، ثم أضافت: "لكى لا ننسى، فإن يد لورى آن تاكر مازالت مفقودة".

# العاشر

**لم** تستطع جان التوقف عن التفكير فى اليد وهى واقفة فى مطبخها أثناء تقطيعها دجاجة باردة لوجبة العشاء الخفيفة. ثم حملتها إلى المنضدة؛ حيث اعتاد زوجها المحب الحنون الجلوس، مشمرا ذراعيه، ويرتدى مريلة أطفال على صدره. هل هناك شىء أكثر إثارة من رجل يساعد صغيرته على التجشؤ؟ تجشأت ريجينا بقوة وضحك جابريل. يا لها من لحظة حلوة وممتعة! فجميعهم سعداء وبصحة جيدة.

نظرت إلى الدجاجة المقطعة إلى شرائح وفكرت فيما تم وضعه فى طبق طعام آخر، على مائدة طعام امرأة أخرى، فدفعت الطبق جانبا.

*نحن مجرد لحم، مثل الدجاج، ومثل البقر.*

قال جابريل: "اعتقدت أنك جائعة؟".

"أعتقد أننى غيرت رأيى، فقد بدا لى أنه غير شهى فجأة".

"هل هذا كل ما فى الأمر؟".

"أتمنى لو توقفت عن التفكير فى هذا الأمر".

"لقد رأيت الملفات التى أحضرتها معك للمنزل الليلة، فهى لا تساعد على النظر إليها، كما أننى كنت مشغولا أيضا".

هزت جان رأسها وقالت: "من المفترض أن أكون فى عطلة، فما الذى أفعله الآن؟ أبحث فى صور معمل التشريح؟".

أجلس ريجينا فى عربة الأطفال وقال: "لقد كانت الملفات موجودة على المنضدة، أتريدين الحديث عن الأمر؟ شاركينى همومك إذا رغبت فى ذلك، وإذا اعتقدت أن ذلك سيساعدك".

نظرت إلى ريجينا التى كانت تراقبهما بعينين منتبهتين ثم ضحكت فجأة. وقال جابريل: "تخيلى، عندما تكبر لدرجة كافية لتفهم حوارنا، سيكون ذلك بالفعل حديثاً عائلياً مناسباً. *لذلك يا حبيبتى، كم عدد الجثث مقطوعة الرؤوس التى رأيتها اليوم؟*".

"لا يمكنها فهمنا، لذلك تحدثى إلىّ".

نهضت جان إلى الثلاجة وأمسكت زجاجة ماء وانتزعت الغطاء.

"جان؟".

"أتريد حقا سماع التفاصيل؟".

"أريد أن أعرف ما الذى يضايقك إلى تلك الدرجة".

"لقد رأيت الصور، وتعرف ما يضايقنى". وجلست ثانية وأخذت شربة من الماء وأضافت: "أحيانا" وتحدثت بهدوء وهى تنظر للأسفل إلى الزجاجة التى تكاثف عليها البخار: "أعتقد أنه من الجنون أن يكون لدى المرء أطفال، إذ إننا نحبهم ونربيهم ثم نراهم يسيرون فى عالم لا يتعرضون فيه إلا للجراح، عندما يقابلون أشخاصا مثل ..." *مثل وارن هويت*، هذا ما كانت تفكر فى قولة، لكنها لم تنطق اسمه: فهى لا تتفوه باسمه تقريبا. فقد كانت تعتبر أن نطق اسمه كاستدعاء الشيطان نفسه.

وقد جعلها الرنين المفاجئ لنظام الاتصال الداخلى تنتصب واقفة. نظرت إلى ساعة الحائط ، وقالت: "إنها العاشرة والنصف".

"دعينى أر من يكون الطارق". وسار جابريل إلى حجرة المعيشة وضغط على زر جهاز الاتصال.

"نعم". وصدر عبر مكبر الصوت صوت غير متوقع؛ حيث قالت والدة جان. "إنها أنا".

قال جابريل: "تفضلى سيدة روزيلى" وأدخلها إلى المنزل، وألقى إلى جان نظرة مفاجئة.

"الوقت متأخر جدا، ما الذى تفعله هنا؟".

"لا أستطيع سؤالها".

سمعا صوت أقدام أنجيلا على السلالم، أبطأ وأثقل من المعتاد ويصاحب ذلك صوت أنفاسها الثقيلة، كما لو كانت تحمل شيئا على ظهرها، واستطاعا رؤية ذلك عندما وصلت إلى الطابق الثانى.

حقيبة ملابس.

قالت جان: "أمى؟". ورغم أنها قالتها إلا أنها لا يمكنها تصديق أن تلك المرأة ذات الشعر الأشعث والعيون التائهة هى أمها. وكان معطفها غير مزرر، وملابسها كانت مبتلة حتى ركبتيها، وكأنها مرت بعاصفة من الثلج حتى تصل إلى منزلهم. حملت حقيبة الملابس بكلتا يديها وبدت جاهزة لتسلمها إلى شخص ما، أى شخص.

وبدت خطيرة.

قالت أنجيلا: "أحتاج إلى المكوث عندكم الليلة".

"ماذا؟".

"حسنا، أيمكننى الدخول أم لا؟".

"بالطبع يا أمى".

قال جابريل وهو يأخذ حقيبة الملابس: "دعينى أحمل هذه عنك".

قالت أنجيلا وهى تشير إلى جابريل: "أترين؟ تلك الطريقة التى يفترض على الرجل التصرف بها! فهو يرى أن سيدة تحتاج إلى المساعدة، فيسير إلى مساعدتها. هذا ما يفترض على الرجل النبيل فعله".

"أمى، ماذا حدث؟".

"ماذا حدث؟ ماذا حدث؟ لا أعلم من أين أبدأ كلامى!".

أخذت ريجينا تبكى، اعتراضاً على تجاهلها لفترة طويلة.

وفى لحظة واحدة، انطلقت أنجيلا مسرعة إلى المطبخ وحملت حفيدتها من مقعد الأطفال وقالت: "أوه، يا صغيرتى، يا لك من فتاة صغيرة مسكينة! فليس لديك أية فكرة عما سيؤول إليه حالك عندما تكبرين". وجلست أمام المنضدة، وصدمت الطفلة، وهى تحتضنها بشدة مما جعل ريجينا تتلوى، محاولة أن تحرر نفسها من هذه المرأة المجنونة التى تخنقها".

تنهدت جان وقالت: "حسنا يا أمى، ما الذى فعله أبى؟".

"لن تسمعى ذلك منى".

"إذن فمن سأسمع منه؟".

"لن أسمم أفكار أولادى تجاه أبيهم، فلا يصح أن يقول الآباء أشياء سيئة عن بعضهم".

"لم أعد طفلة، أريد أن أعرف ما الذى يحدث".

لكن لم تقدم أنجيلا أى شرح، واستمرت فى خبط الطفلة الصغيرة، وهى تحتضنها، وبدا على ريجينا اليأس من الهروب.

"امم .... ما المدة التى تعتقدين أنك ستمكثينها معنا يا أمى؟".

"لا أعرف".

نظرت جان إلى جابريل، الذى كان حكيما جدا عندما لم يشارك فى المحادثة، ورأت نفس نظرة الرعب فى عينيه.

قالت أنجيلا: "ربما علىَّ إيجاد مكان جديد لأعيش فيه، شقتى الخاصة".

"انتظرى يا أمى، أنت لا تعنين أنك لن تعودى ثانية لبيت العائلة".

"هذا ما أعنيه بالضبط، فأنا سأصنع حياة جديدة،جان". ونظرت إلى ابنتها، فقد تدلى فكها من فرط الدهشة، وأكملت كلامها: "نساء أخريات يفعلن ذلك: يتركن أزواجهن وتسير أمورهن على ما يرام، فنحن لا نحتاجهم ويمكننا العيش معتمدات على أنفسنا".

"أمى، ليس لديك عمل".

"ما الذى تظنين أننى فعلته طوال السبع والثلاثين عاما الماضية؟ أطبخ وأنظف لهذا الرجل؟ وتعتقدين أنه قدر ذلك ولو لمرة واحدة؟ إنه يأتى إلى المنزل ويتجرع ما أضعه أمامه، ولا يبدى اهتماماً بشكرى على الطعم والنكهة المميزين اللذين أضفيهما على الطعام، أتعرفين كم عدد الأشخاص الذين أخبرونى أن على افتتاح مطعم؟".

فكرت جان، فى الواقع سيكون مطعما عظيما، لكنها لن تقول أى شىء يشجع ذلك الجنون.

"لذلك لا تقولى لى ثانية: ليس لديك عمل. فوظيفتى كانت الاعتناء بهذا الرجل، ولا أحصل على شىء مقابل هذا العمل، فربما أؤدى نفس العمل وأحصل على نقود". وهدهدت ريجينا بقوة مجدداً وأصدرت الطفلة صرخة لتعبر عن احتجاجها. "سأظل معكم لفترة قصيرة، وسأنام فى حجرة الطفلة على الأرض فذلك يناسبنى تماما، وسأرعاها عندما تذهبان إلى العمل".

قالت جان: "حسنا يا أمى"، وسارت إلى الهاتف مضيفة: "إن لم تخبرينى بما يحدث فربما سيخبرنى والدى".

"ما الذى تفعلينه؟".

"أتصل به، أراهن أنه جاهز للاعتذار". *أراهن أنه جائع ويريد أن تعود طاهيته الشخصية*. ورفعت السماعة واتصلت به.

قالت أنجيلا: "إنه لا يهتم".

رن جرس الهاتف مرة، والثانية.

"لقد أخبرتك، لن يجيب، فهو حتى ليس بالمنزل".

سألتها جان: "أين هو إذن؟".

"بمنزلها".

وتجمدت جان فى مكانها، فالجرس يرن بمنزل والديها وليس هناك إجابة. وضعت السماعة ببطء واستدارت لتواجه والدتها، مستفهمة: "منزل من؟".

"منزلها، منزل الساقطة".

"أماه، بحق الله".

"هذه هى الحقيقة". وشهقت أنجيلا شهقة مفاجئة وبدأت تتنهد. وهزت نفسها للأمام وتشبثت ريجينا بصدرها.

"أيواعد أبى امرأة أخرى؟".

أومأت أنجيلا بدون أن تنبس بكلمة، وأخفت وجهها بيديها.

"من؟ من التى يقابلها؟". جلست جان فى مواجهة والدتها وأضافت: "أمى، من هى؟".

همست أنجيلا: "فى العمل".

"لكنه يعمل مع مجموعة من الأشخاص كبار السن".

"إنها جديدة. هى - هى" - وانكسر صوت أنجيلا فجأة - *"أصغر منه سناً"*.

ورن جرس الهاتف.

رفعت أنجيلا رأسها بحدة قائلة: "لن أتحدث إليه، أخبريه بذلك".

نظرت جان إلى الرقم على شاشة الهاتف الرقمية، لكنها لم تتعرف عليه، ربما كان والدها هو المتصل، وربما يتصل من هاتفها: هاتف الساقطة.

تحدثت جان بحدة قائلة: "المحققة ريزولى".

صمت المتحدث للحظة وقال: "أتمرين بأوقات عصيبة؟".

وتحول الأمر للأسوأ فقد تعرفت على صوت المحقق دارين كرو.

سألته: "ما الأمر؟".

"أخبار سيئة، فنحن على قمة تل بيكون، سترغبين أنت وفروست فى الحضور إلى هنا، أكره أن أكون الفرد الذى يخبركم بذلك، لكن -"

"أليست تلك ليلتك؟".

"تلك الليلة تخصنا جميعا، ريزولى". وبدا كرو أكثر تهجما، بعيدا عن سخريته المعهودة. وقال بهدوء: "إنها إحدى ليالينا".

*إحدى ليالينا*. شرطى.

سألته: "من؟".

"إنها إيفا كاسوفيتز".

لم تقدر جان على التحدث، بل وقفت وأصابعها مخدرة وهى ممسكة بالهاتف، وهى تقول لنفسها: *لقد رأيتها منذ ساعات قليلة مضت.*

"ريزولى؟".

تنحنحت جان قائلة: "أعطنى العنوان".

وعندما وضعت السماعة وجدت جابريل قد حمل ريجينا إلى الغرفة الأخرى، وكانت أنجيلا تجلس مسترخية الأكتاف، وذراعها خال. قالت جان: "آسفة يا أمى، علىَّ الذهاب".

هزت أنجيلا كتفيها بإحباط، قائلة: "بالطبع، يمكنك الذهاب".

"سنتحدث عندما أعود". ومالت لتقبل والدتها وتظرت عن قرب إلى بشرتها الشاحبة، وعينيها المرهقتين وقالت لنفسها: *متى تقدمت أمى فى العمر؟*

وثبتت سلاحها وسحبت معطفها من الخزانة، وعند استعدادها للخروج سمعت جابريل يقول: "إنه توقيت سيئ جداً".

واستدارت ناظرة إلية وهى تقول لنفسها: *ماذا سيحدث عندما أصبح عجوزا، مثل أمى؟ هل ستتركنى من أجل سيدة أصغر منى، أيضا؟* وقالت لـ جابريل: "سأخرج لبعض الوقت، ولا تنتظرنى".

# الحادى عشر

خرجت مورا من سيارتها وأصدر حذاؤها صوت طحن طبقات الثلج الصغيرة على الرصيف كالزجاج الرقيق، فالثلج الذى ذاب أثناء ضوء النهار الدافئ، تجمد ثانية بفعل الرياح شديدة البرودة التى هبت بحلول الليل، وومض سطح كل الأشياء المحيطة وبدت خطيرة ومصقولة فى الأضواء المتعددة لسيارات الشرطة، ورأت شرطياً يتزلج بجوار المشى، ويضع ذراعيه جانبا ليحقق التوازن، ورأت شاحنة وحدات مسح مسرح الجريمة تشد المكابح وتركن على جانب الطريق، وكانت على وشك الاصطدام بمصد إحدى سيارات الشرطة.

وصاح أحد رجال الدورية عبر الشارع: "انتبهى لخطواتك يا دكتورة، فقد سقط أحد الضباط على الثلج بالفعل هذا المساء، وأعتقد أنه كسر معصمه".

"يجب على أحدهم أن يمهد ذلك الطريق".

زفر قائلا: "نعم، يجب على أحدهم، طالما أن المدينة لا تهتم بالشوارع الليلة".

"أين المحقق كرو؟".

وأشار الضابط بيديه المغطاة بالقفازات إلى صف من المنازل الأنيقة قائلاً: "رقم واحد وأربعين، هناك القليل من المنازل بامتداد الشارع، أستطيع أن أوصلك إلى هناك".

"لا أنا بخير، أشكرك".

ودارت سيارة شرطة وركنت بسرعة، وعدّت جان حوالى ثمانى سيارات شرطة مصفوفة بالفعل تسد الشارع الضيق.

قالت مورا: "نحن نحتاج إلى مساحة لتعبر سيارة المشرحة، هل ينبغى على كل سيارات الشرطة هذه أن تكون هنا؟".

قال الشرطى: "نعم، ينبغى"، وجعلتها نغمة صوته تستدير لتنظر إليه، ورأت وجهه مغطى بالظلال الكئيبة فى ضوء سيارات الشرطة، فأضاف: "علينا جميعا التواجد هنا، فنحن ندين لها بذلك".

وفكرت مورا فى مشهد الموت بعشية عيد رأس السنة، عندما وقفت إيفا كاسوفيتز منحنية فى الشارع، تتقيأ على الجليد، وتذكرت أيضا كيف سخر رجال الدورية من المحققة كاسوفيتز، والآن قد ماتت هذه المحققة، وتوقفت همهمات السخرية وحل محلها الاحترام اللازم تقديمه لأى ضابط شرطة ميت.

تنفس الضابط بعصبية قائلا: "وصديقها، إنه ضابط أيضا".

"ضابط شرطة آخر؟".

"نعم، فلتساعدينا فى القبض على ذلك القاتل يا دكتورة".

أومأت قائلة: "سنفعل"، وسارت على الرصيف، وهى منتبهة، وفجأة انتبهت كل الأعين لسيرها، فكل الضباط لاحظوا وصولها بالتأكيد، وعرفوا سيارتها؛ ويعرفون جميعا من تكون، ورأت إيماءات التحية بين الأوجه المظللة التى تجمعت معا، وتتبخر أنفاسهم، مثل المدخنين المجتمعين حول السجائر المسروقة، فهم يعرفون غرض زيارتها، كما يعرفون أن أى فرد سيئ الحظ منهم قد يكون موضع انتباهها.

وأثارت الرياح فجأة سحابة ثلجية صغيرة، وحولت بصرها وهى تحنى رأسها عكس اتجاه الرياح، وعندما رفعت رأسها ثانية وجدت نفسها تحدق فى شخص لم تكن تتوقع رؤيته هنا،

ففى الشارع كان يقف السيد دانيال بروفى، يتحدث بهدوء إلى ضابط شرطة شاب يستند على عربة شرطة كما لو كان لا يقوى على الوقوف، ووضع بروفى ذراعه حول كتف الضابط ليهدئه، وانهار الضابط أمامه وهو يتنهد عندما وضع بروفى ذراعيه حوله، ووقف ضباط آخرون فى صمت وهم يجرون أقدامه وينظرون إلى الأرض، لا يشعرون بالراحة وهم يشاهدون تلك الفاجعة الشديدة، ورغم أن مورا لا تسمع الكلمات التى يهمهم بها بروفى إلى الضابط الشاب، فقد وجدت الضابط يومئ برأسه وسمعته يقوم باستجابة دامعة لكلام السيد بروفى.

وفكرت فى نفسها: *لا يمكننى فعل ما يفعله دانيال،* فمن الأسهل تشريح لحم الموتى ونخر العظام عن مواجهة آلام الأحياء. رفع دانيال رأسه فجأة ولاحظ مورا، وحدقا فى بعضهما طوال دقيقة كاملة، وبعد ذلك استدارت وأكملت سيرها تجاه المنزل، حيث وجدت شريط وحدات مسح مسرح الجريمة يحيط بالسياج الحديدى، فهو لديه عمله وهى لديها عملها، لقد كان ذلك وقت التركيز، ولكن عندما نظرت إلى المشى الجانبى أمامها كان عقلها ما زال يفكر فى دانيال، هل سيبقى في المكان حتى تنتهى من مهمتها، وإذا وجدته، فما الذى سيحدث بعد ذلك؟ هل تدعوه لشرب كوب من القهوة؟ هل سيجعلها ذلك تبدو مشتاقة ومحتاجة إليه؟ أم تقول له مساء الخير ثم تذهب إلى حال سبيلها كالعادة؟

*ما الذى أريد أن يحدث؟*

وصلت إلى المبنى وتوقفت عند المشى الجانبى ونظرت إلى المنزل الأنيق المكون من ثلاثة طوابق، وكانت كل الأضواء مضاءة بالداخل، والسلالم الحجرية تؤدى إلى باب أمامى ضخم، حيث كان مقبض الباب النحاسى يلمع تحت ضوء المصابيح النحاسية، ورغم العيد لم تكن هناك أية زينة على الشرفة، فقد كان ذلك الباب الوحيد الذى لا توجد عليه

أكاليل، وعبر النوافذ الواسعة المقوسة رأت وميض نار تشتعل فى المدفأة، وليس وميض أنوار شجرة عيد رأس السنة.

"د. آيسلز؟".

سمعت صوت مفصلات حديدية ونظرت للمحقق الذى فتح للتو البوابة الحديدية إلى داخل المنزل، وكان رونالد تريب، وهو واحد من أكبر رجال الشرطة فى وحدة جرائم القتل واليوم كان يبدو عليه سنه بالفعل. وقف بين أضواء مصابيح الغاز التى أضاءت جلده باللون الأصفر، وتوضح عينيه الكبيرتين وجفونه المتثاقلة، ورغم سترته الضخمة الثقيلة، فقد بدا عليه الشعور بالبرد، وتحدث بفك مرتعش كمن يحاول السيطرة على طقطقة أسنانه.

قال رونالد وهو مازال فاتحا البوابة ليسمح لها بالدخول: "الضحية هنا بالخلف".

ودخلت مورا وأحدثت البوابة صوتا عند إغلاقها، وقادها إلى فناء جانبى ضيق، وكان ضوء المصباح اليدوى يضىء لهما الطريق، وقد تم تجريف الطريق منذ العاصفة الأخيرة، ويوجد على الكتل الحجرية غبار من الثلج الخفيف الذى حملته الرياح. توقفا ووجه ضوء مصباحه على كومة منخفضة من الثلج على جانب الممشى على بقعة حمراء.

"هذا هو ما أقلق كبير الخدم، رؤيته للدماء".

"أيوجد كبير خدم هنا؟".

"أوه، بالطبع، فنحن نتحدث عن نوعية على قدر كبير من الثراء".

"وما وظيفة مالك هذا البيت؟".

"قال إنه بروفيسير متقاعد فى التاريخ، تلقى تعليمه فى جامعة بوسطن".

"ليس لدىَّ فكرة إذا ما كان بروفيسير تاريخ يجيد فعل ذلك".

"ربما عليك إلقاء نظرة بالداخل، فذلك ليس بمنزل بروفيسير جامعى، فلابد أن ذلك الشخص لديه مصدر آخر للدخل"، ووجه مصباحه تجاه باب جانبى قائلاً: "لقد خرج من ذلك الباب وهو يحمل حقيبة نفايات، ونظر إلى سلال المهملات عندما لاحظ أن البوابة مفتوحة، وأثار ذلك فى نفسه شعورا بأن هناك شيئاً ليس طبيعياً، لذلك عاد للخلف حتى وصل إلى جانب المشى ونظر فيما حوله، ووجد بقع الدماء وأدرك بالفعل أن هناك شيئاً ليس طبيعياً، ولاحظ بقع دماء أكثر بطول المشى المغطى بالقطع الحجرية تجاه مؤخرة المنزل".

وحدقت مورا فى الأرض، قائلة: "تم جر الضحية بطول المشى".

"سأريك"، وأكمل المحقق تريب سيره تجاه مؤخرة المنزل، إلى الفناء الخلفى الصغير، ومر ضوء مصباحه على أحجار مغطاة بالثلج وأحواض أزهار مغطاة الآن بأغصان وفروع أشجار الصنوبر ، وفى منتصف الفناء الخلفى كانت هناك تعريشة صغيرة، ومن المؤكد أن تلك التعريشة ستكون مكاناً جيداً للاحتماء من الشمس، مكان مظلل للجلوس وشرب القهوة واستنشاق رحيق الحديقة.

لكن مكان التعريشة لم يكن يساعد على الاستنشاق أساسا.

خلعت مورا قفازها الصوفى وارتدت قفازات بلاستيكية لم تكن تحميها من الرياح الباردة التى نفذت إلى لحمها مباشرة، وانحنت للأسفل وجذبت الورقة البلاستيكية التى غطت الجسد المنهار.

وكانت المحققة إيفا كاسوفيتز ملقاة ممددة على ظهرها، واضعة ذراعيها بجوار بعضهما، وشعرها الأشقر متلبد بالدماء، وكانت ترتدى ملابس سوداء - بنطال صوفى، وسترة

صغيرة، وحذاء أسود، وكانت السترة غير مزررة، ومرفوعة حتى منتصف جسدها لتكشف عن جلدها المغطى بالدماء، وكانت ترتدى جراب المسدس والسلاح ما زال فى مكانه، لكن مورا نظرت إلى وجه الجثة، وما رأته جعلها تتراجع للخلف فى رعب، فقد تم اقتلاع مقلتى العينين، وترك القاتل عينيها مفتوحتين بنظرة أبدية، وجفت قطرات من الدماء فى تجويف العينين فبدتا مثل النجوم الحمراء.

قالت مورا: "لقد رأيتها منذ ستة أيام مضت، فى مسرح جريمة آخر". ونظرت إلى تريب، الذى غطى الظل وجهه وكل ما رأته كان الطيف الضخم المظلل من فوقها، قائلة: "جثة إيست بوستون".

وأومأ برأسة قائلا: "لقد انضمت إلينا إيفا منذ أسابيع قليلة من قسم مكافحة المخدرات و الآداب ".

"هل تسكن بالجوار؟".

"لا، يا سيدتى، فشقتها فى ماتابان".

"إذن فما الذى تفعله فى بيكون هيل؟".

"حتى صديقها لا يعرف، لكن لدينا بعض الافتراضات".

وفكرت مورا فى الشرطى الشاب التى رأته يبكى للتو بين ذراعى دانيال: "أذلك الضابط الموجود مع السيد بروفى هو صديقها؟".

"إن بن يعانى بشدة بسبب ذلك، ويا لها من طريقة صعبة لتسمع نبأ مثل ذلك، فقد كان فى دورية عندما سمع الخبر فى الراديو".

"وليس لديه فكرة عما كانت تفعله فى الجوار؟ وهى متشحة بالسواد وتحمل سلاحها معها؟".

تردد تريب فى الإجابة لفترة طويلة تكفى أن تلاحظها مورا.

فقالت: "أيها المحقق تريب؟".

تنهد قائلا: "لقد جعلناها تمر بنوع من الأوقات العصيبة، فأنت تعرفين ما حدث ليلة عيد رأس السنة فربما ضايقناها بشكل مبالغ فيه".

"هل يتعلق الأمر بشعورها بالمرض في مسرح الجريمة؟".

"نعم، أنا أعلم أنها مازالت صغيرة ومبتدئة وذلك شيء نفعله لبعضنا في الوحدة، فنحن نمزح ونحرج بعضنا، لكني أخشى أن تكون إيفا أخذت الأمر على نحو شخصي".

"لكن لم يتضح حتى الآن ما الذي كانت تفعله في بيكون هيل".

"يقول بن إنه بعد كل ما تعرضت له من مضايقات كانت تشعر بالحاجة الملحة لإثبات نفسها، ونعتقد أنها كانت هناك تبحث في أمر متعلق بالقضية، وإذا كان ذلك صحيحا فهي لم تهتم بإخبار أي فرد في فريقها بذلك". نظرت مورا للأسفل إلى وجه إيفا كاسوفيتز، إلى عينيها المحدقتين، ثم قامت، مرتدية قفازات في يديها، بسحب خصلات من شعر إيفا الملطخة بالدماء لترى الكسر الموجود تحت فروة رأسها لكنها لم تجد أي تمزق، ووجدت أن الضربة التي شجت رأسها ليست خطيرة لتتسبب في الوفاة، وركزت أكثر على الجذع، ورفعت السترة برفق كاشفة عن القفص الصدري المحطم لتنظر إلى الصدر الملطخ بالدماء، والطعنة التي اخترقت الجلد لتصل إلى ما تحت عظام القفص الصدري مباشرة، وقد جفت الدماء بالفعل ووجدت قشرة متجمدة من الدماء قد غطت حدود الجرح.

"متى عثرتم عليها؟".

"حوالي العاشرة مساءً، فقد خرج باتلر مبكرا الساعة السادسة مساء تقريبا ليلقي بحقيبة المخلفات ولم يرها في ذلك الوقت".

"هل أخرج المهملات مرتين اليوم؟".

"كانت هناك مأدبة لخمسة أشخاص بالمنزل، فكان هناك الكثير من الطهى، والكثير من النفايات".

"إذن فتوقيت الوفاة كان بين السادسة والعاشرة مساء".

"صحيح".

"ومتى كانت آخر مرة رآها فيها صديقها؟".

"حوالى الثالثة بعد ظهر هذا اليوم، قبل أن يذهب لدوريته".

"إذن فهو خارج الشبهات".

"بالتأكيد، فقد كان معه رفيقه فى الدورية طوال الليل"، وتوقف تريب ثم أكمل: " أتريدين أخذ درجة حرارة الجسم أو شىء من هذا القبيل؟ لأننا لدينا درجة الحرارة بالمكان إذا كنت تحتاجينها، إنها اثنتا عشرة درجة مئوية".

نظرت مورا إلى ملابس الجثة الثقيلة، قائلة: "لا أريد أن أفحص جسدها هنا، فلا أريد أن أعريها فى الظلام، وأنت تقول إن شاهدك حدد وقت الوفاة تقريبا ولنفترض أن مواعيده صحيحة".

تنحنح تريب، قائلاً: "هى صحيحة غالباً، عليك أن تقابلى هذا الشاهد المدعو جيريمى، فأنا الآن أعرف معنى الاحتباس الشرجى".

وأضاء ضوء فى الظلام، ونظرت مورا لترى ظل أحد الأشخاص يقترب، فقد كان ضوء مصباح اليد يضىء الساحة الخلفية.

قالت جان: "مرحبا يا دكتورة، لم أكن أعلم أنك هنا بالفعل".

"لقد وصلت للتو" ونهضت مورا، وفى الظلام لم تتمكن من رؤية وجه جان بل مجرد الشكل الخارجى لشعرها، فاستطردت: "لم أتوقع رؤيتك هنا يا جان، فكرو هو من اتصل بى".

"لقد اتصل بى أيضا".

"أين هو الآن؟".

"إنه بالداخل يتحدث مع صاحب المنزل".

زفر تريب قائلاً: "بالطبع، فالجو دافئ بالداخل وأنا الوحيد الذى تجمد هنا".

قالت جان: "أوه، تريب، يبدو أنك تحب كرو كما أحبه تماما".

"نعم ياله من رجل مدهش، لا عجب من قيام شريكه القديم بتسوية معاشة"، ونفخ البخار فى الظلام قائلاً: "أعتقد أننا يجب أن نمرر كرو على الوحدة بكاملها، وننشر المعاناة قليلا بحيث يمكننا جميعا التعامل مع الفتى الجميل بالدور".

قالت جان: "صدقنى، أنا متوافقة معه أكثر من أى فترة مضت". وركزت بصرها على إيفا كاسوفيتز وتحدثت برقة: "لقد تصرف بحماقة معها، كانت تلك فكرة كرو أليس كذلك؟ كيس القيء الضخم على المكتب؟".

قال تريب معترفاً: "نعم، لكننا جميعا مسئولون بشكل ما، ربما لم يكن عليها التواجد هنا إذا ..." وتنهد ثم أكمل حديثه: "أنت محقة، فجميعنا تافهون".

قالت مورا: "قلت إنها كانت تعمل فى القضية، هل كان يوجد هنا أية أدلة؟".

قالت جان: "لقد كانت أودونيل من المدعوين على العشاء الليلة".

"أوكانت كاسوفيتز تتبعها؟".

"لقد ناقشنا مسألة المراقبة باختصار، وكانت تلك مجرد فكرة ولم تخبرنى مطلقا أنها ستنفذها".

"أكانت أودونيل هنا، فى هذا المنزل؟".

رجعت جان بنظراتها على الجسد الممدد، قائلة: "ما زالت بالداخل، ويتم استجوابها الآن، أنا أعتقد أن وحش أودونيل المخلص قدم لها عرضاً آخر".

"أتعتقدين أن ذلك هو نفس القاتل".

"أنا متأكدة من ذلك".

"أمامنا اقتلاع للعين هنا، وليس قطع أطراف ولا يوجد هنا رموز طقوسية كما وجدنا فى إيست بوستون".

نظرت جان إلى تريب: "ألم ترها بعد؟".

"لقد كنت على وشك القيام بذلك".

رفعت مصباحها اليدوى ووجهته على باب المنزل الخلفى، وما رأته مورا جعلها تشعر بالبرودة تسرى فى عمودها الفقرى، فعلى الباب كان هناك ثلاثة صلبان مقلوبة وهناك عين واحدة مفتوحة مرسومة تحت الصلبان بالطباشير الحمراء.

قالت جان: "سأقول إن هذا عمل صاحبنا".

"قد يكون ذلك تقليدا، فهناك العديد من الأفراد رأوا هذه الرموز بحجرة نوم لورى آن تاكر وتحدث رجال الشرطة عن ذلك".

"إذا كنت لا تزالين تريدين شيئاً مقنعاً ...". ووجهت جان مصباحها اليدوى إلى أسفل الباب، فعلى آخر درجة رخامية تؤدى إلى المنزل كان هناك شىء مغطى بقطعة قماش وقالت: "لقد أزلناها بشكل كاف لنتمكن من النظر لما داخلها، أعتقد أننا وجدنا يد لورى آن تاكر اليسرى".

وهبت رياح مفاجئة بالفناء الخلفى، ونتج عنها رذاذ من الثلج الذى ضرب عينى مورا وجمد وجنتيها، وأحدثت أوراق الأشجار المتساقطة أصواتا بالفناء، واهتزت التعريشة وأصدرت صريرا من فوقهم.

قالت مورا بهدوء: "هل وضعت فى اعتبارك هذا الاحتمال، وهو أن قاتل اليوم ليس له أية علاقة بـ جويس أودونيل؟".

"بالطبع له علاقة، فقد تتبعت كاسوفيتز أودونيل إلى هنا، ورآها القاتل واختارها لتكون ضحيته التالية، فالأمر ما زال مرتبطا بـ أودونيل".

"أو أنه رأى كاسوفيتز عشية عيد الميلاد فى مسرح الجريمة، فربما كان يراقب منزل لورى آن تاكر".

قال تريب: "أتقصدين، أنه يستمتع بعمله كاملا؟".

"نعم، يستمتع بحقيقة أن كل تلك الإثـارة وكل رجال الشرطة هؤلاء هنا بسببه، بسبب ما فعلة للتو، يا له من إحساس بالقوة!".

قـال تـريـب: "وتتبع كاسوفيتز إلى هنـا، لأنهـا جذبت انتباهه هذه الليلة؟ إن ذلك يضع أفكارًا جديدة مختلفة حول القضية".

ونظرت جان إلى مورا، قائلة: "وذلك يعنى أنه قد راقب أى فرد فينا، وهو يعرف وجوهنا جميعا".

وانحنت مورا وسحبت الورقة التى تغطى الجثة، وكانت أصابعها باردة وغير متزنة عندما خلعت قفازها البلاستيكى وارتدت قفازها الصوفى وقالت: "أكاد أتجمد، لا يمكننى عمل شىء بالخارج، علينا أن ننقلها إلى المشرحة، وأحتاج إلى تدفئة يدى".

"هل اتصلت بعربة المشرحة؟".

"هم فى طريقهم إلينا، سأنتظرهم فى سيارتى إذا كنتم لا تمانعون، فأنا أريد الخروج من هذه الرياح".

قال تريب: "أعتقد أنه يجب علينا جميعا الخروج من هذه الرياح".

وساروا عائدين بطول المشى الجانبى حتى عبروا البوابة الحديدية تحت ضوء مصباح الجاز، ورأوا مجموعة من الظلال عبر أضواء سيارات الشرطة لرجال شرطة متجمعين فى الشارع، ووقف دانيال بينهم، أطول منهم جميعا ويضع يده فى جيوب معطفه.

قالت جان: "يمكنك الدخول معنا والانتظار".

قالت مورا: "لا" ونظرت إلى دانيال مكملة: "سأجلس فى سيارتى".

وصمتت جان لدقيقة فقد لاحظت دانيال وربما أمكنها الآن تخمين سبب تخلف مورا بالخارج.

قالت جان: "إذا كنت تبحثين عن الدفء، فلن تجديه بالخارج، لكننى أخمن أن ذلك خيارك". وربتت على كتف تريب وهى تحدثه، قائلة: "هيا بنا نرجع إلى داخل المنزل لنرى ما الذى يفعله الأولاد"، وصعدا السلالم إلى المنزل.

توقفت مورا على الممشى الجانبى ونظراتها موجهة إلى دانيال، ولم يبد عليه أنه يلاحظ وجودها فقد كان مرتبكا مع هذا العدد الكبير من رجال الشرطة المحيطين به، لكن ما الأمر الذى قد يحرجه؟ فهى هنا لتقوم بعملها وهو يقوم بعمله أيضاً، فمن أكثر الأشياء طبيعية بين اثنين من المعارف هو أن يحييا بعضهما.

وعبرت الشارع تجاه دائرة رجال الشرطة، ورآها دانيال ورجال الشرطة الآخرون، فصمتوا جميعا عندما اقتربت، ورغم أنها تتعامل مع ضباط الشرطة كل يوم وتراهم فى كل مسرح جريمة إلا أنها لم تشعر أبدا بالراحة الكاملة معهم ولم يشعروا هم بذلك معها أيضا، ولم يكن عدم الراحة المتبادلة أكثر وضوحا من هذه اللحظة عندما شعرت بنظراتهم إليها، وتمكنت من تخمين ما يعتقدونه الآن: الطبيبة آيسلز المتجمدة، لكن لم تكن هناك ضحكات، ربما كانوا خائفين منها؛ وربما وظيفتها هى التى أبعدتهم عنها وجعلت منها شيئا لا يمكن الاقتراب منه.

*وربما كان ذلك بسببى أنا، ربما يكونون خائفين منى.*

وقالت وهى تفتح حوارًا فى العمل: "شاحنة المشرحة ستصل فى أية لحظة، ربما يمكنكم توفير مساحة لدخولها".

"شيء أكيد يا دكتورة"، قالها أحد رجال الشرطة وسعل.

ساد الهدوء مرة أخرى ونظر رجال الشرطة فى اتجاهات أخرى، فى أى مكان إلا ناحيتها، وتحركت أقدامهم على الرصيف البارد.

وقالت: "حسنا، أشكركم، سأنتظر فى سيارتى"، ولم تنظر نظرة واحدة إلى دانيال، لكنها استدارت وسارت بعيدا بكل بساطة.

"مورا؟".

نظرت للخلف إلى مصدر الصوت ورأت أن رجال الشرطة مازالوا يرونهما، فقالت لنفسها: *دائماً ما يكون هناك جمهور، فلم نكن أنا ودانيال بمفردنا أبدا.*

وسألها دانيال: "ما الذى تعرفينه حتى الآن؟".

ترددت وهى مدركة لكل تلك العيون الموجهة عليهما: "لا شيء أكثر من أى فرد آخر، حتى هذه اللحظة".

"هل يمكننا التحدث عن هذا الموضوع؟ ربما يساعدنى ذلك فى تهدئة الضابط (ليال) إذا عرفت أشياء عن كيفية حدوث ذلك".

"ذلك أمر مربك، أنا لست متأكدة ...".

"ليس عليك إخبارى بأى شيء لا يشعرك كشفه بالراحة".

وترددت ثم قالت: "لنجلس فى سيارتى، إنها فى أول الشارع".

وسارا معا واضعين أيديهما فى جيوبهما ويحنيان رأسيهما لاتقاء الرياح المحملة بالثلوج، وفكرت فى إيفا كاسوفيتز الممددة بمفردها فى الفناء الخلفى، وتجمدت جثتها بالكامل وتجمد الدم فى عروقها، فى تلك الليلة، وفى تلك الرياح، لم يكن هناك شخص يريد مرافقة الموتى. وصلا إلى سيارتها واندسا داخلها، وشغلت المحرك لتعمل المدفأة، لكن الهواء القادم من المدفأة لم يوفر أى دفء.

وسألته: "أكان الضابط (ليال) صديقها؟".

"إنه محطم تماما، لا أعتقد أننى كنت قادرا على تهدئته بالشكل الكافى".

"أنا لا أقوم بعملك، يا دانيال، فأنا لا أجيد التعامل مع الأحزان".

"لكنك تتعاملين معها، يجب عليك ذلك".

"ليس بنفس مستواك، والفاجعة مازالت شديدة وجديدة، فأنا الإنسانة التى يتوقعون كل الإجابات منها، ولست من يتصلون به ليريح بعض الأشخاص". ونظرت إليه وقد كان مثل الظل فى سيارتها المظلمة، وقالت: "آخر رجل دين لـ بوسطن استمر فى منصبه لمدة عامين، وأنا متأكدة من أن الضغط كان سبب رحيله".

"أنت تعرفين أن السيد روى *كان* عمره خمسة وستين عاما".

"ويبدا كشاب فى الثامنة عشرة فى آخر مرة رأيته فيها".

تبخرت أنفاسه على زجاج نافذة السيارة، واعترف قائلاً: "حسناً، فتلقى استدعاءات ليلية ليس بالأمر السهل، ولكنه ليس سهلا على رجال الشرطة أيضا، أو على الأطباء أو رجال المطافئ، لكنه ليس أمرا سيئا تماما". وأكمل بضحكة هادئة: "منذ ذهابى إلى مسارح الجريمة تلك المرة الأولى التى أراك فيها".

ورغم أنها لم تتمكن من قراءة عينيه فقد شعرت بنظرته إلى وجهها وكانت ممتنة للظلام.

وقال: "لقد اعتدت على زيارتى فلماذا توقفت؟".

"لقد أتيت فى عشية عيد رأس السنة، أليس كذلك؟".

وضحك ضحكة كئيبة قائلاً: "الجميع يظهرون فى عيد رأس السنة حتى الذين لا يحتفلون بها".

"لكننى كنت هناك، ولم أكن أتجنبك".

"وهل كنت تحاولين تجنبى ياموراﻫ".

لم تقل شيئاً، ولدقيقة ظلا ينظران لبعضهما فى ظلام السيارة، وقد دفأها الهواء القادم من المدفأة، ومع ذلك فمازالت لا تشعر بأصابعها لكنها تشعر بالدفء فى وجنتيها.

قال بهدوء: "أنا أعلم ما الذى يحدث".

"ليس لديك أية فكرة".

"أنا إنسان مثلك يا مورا".

وضحكت فجأة فقد تحدث بمرارة: "حسنا، ياله من موقف مكرر".

"لا تحولى الأمر إلى مزاح".

"لكنه موقف مكرر وربما قد حدث آلاف المرات من قبل، هل تلك مرتك الأولى يا دانيالﻫ لأنه من الواضح أن تلك هى مرتى الأولى"، وشعرت بالخجل فجأة لأنها صبت غضبها عليه ونظرت بعيدا عنه، *ما الذى فعلة باستثناء أن عرض عليها صداقته واهتمامهﻫ*

*أنا المصممة الهندسية لبؤسى.*

قال بهدوء: "إذا كان ذلك سيشعرك بتحسن، فلست وحدك من يشعر بالبؤس.

وثبتت مكانها والهواء يدخل عبر المدفأة، وأبقت على نظراتها للأمام مباشرة، على زجاج السيارة المغطى بالبخار، لكن كانت كل حواسها الأخرى مركزة عليه بألم، حتى لو كانت عمياء وصماء لعرفت أنه مازال هنا، وكانت حواسها تتناغم مع كل جوانب وجوده، وتتناغم أيضا مع قلبها الخافق وقسوة عصبيتها، وقد شعرت برعشة عند تصريحه بعدم سعادته، فعلى الأقل لم تكن الوحيدة التى تعانى، وليست الوحيدة التى تستلقى لا تستطيع النوم ليلا، وفيما يتعلق بقلبها، فبؤسها يتشوق إلى رفيق.

وكان هناك طرق عنيف على زجاج نافذتها، وتحولت لترى ظلاً غامضاً عبر الزجاج المكسو بالضباب، ففتحت زجاج نافذتها ونظرت إلى وجه أحد رجال شرطة بوسطن.

"د. آيسلز، لقد وصلت شاحنة المشرحة للتو".

"أشكرك، سأكون هناك حالاً"، وأغلقت نافذة سيارتها وهناك خطوط من المياه عليها، وأوقفت محركات السيارة ونظرت إلى دانيال، وقالت: "لدينا خيار، نستطيع أن نكون بائسين، أو يمكننا الاستمرار بحياتنا، أنا أختار الاستمرار". نزلت من السيارة وأغلقت الباب، واستنشقت نفسا من الهواء البارد لدرجة كادت تسبب فى جرح حنجرتها، ولكنها محت أيضا أى تردد من عقلها، وتركته أكثر وضوحا وتركيزا على ما تنوى فعلة بعد ذلك، وتركت سيارتها ولم تنظر للخلف، وسارت على المشى مرة ثانية تتنقل بين بحيرات الضوء أثناء سيرها بين عواميد الإضاءة، كان دانيال خلفها الآن: ينتظر امرأة ميتة، وما الذى ينتظره كل هؤلاء الضباط بالخارج؟ كل تلك الإجابات التى قد لا تكون قادرة على تقديمها.

ربطت معطفها بشدة متخيلة أن ذلك سيحميها من نظراتهم وهى تفكر فى عشية عيد رأس السنة ومناظر الموت الأخرى، وفى إيفا كاسوفيتز التى وقفت فى الشارع تلك الليلة وهى تفرغ ما فى معدتها على الثلج، وهل فكرت كاسوفيتز فى احتمال أنها قد تكون محل انتباه مورا التالى؟

وتجمع الضباط فى هدوء بجوار المنزل أثناء قيام فريق المشرحة بنقل إيفا كاسوفيتز على المشى الجانبى، وعندما قامت النقالة بحمل الجثة المغطاة عبر البوابة الحديدية، وقفوا برءوس مكشوفة فى الرياح المجمدة احتراماً وتشريفاً لواحدة منهم، وحتى بعد اختفاء النقالة داخل المركبة وإغلاق أبوابها لم يتحرك الصف، وقد ارتدوا قبعاتهم بعدما تلاشت الأضواء الخلفية فى الظلام، وبدءوا فى العودة إلى سياراتهم.

وكانت مورا أيضا على وشك العودة إلى سيارتها عندما فتح باب المنزل الأمامى، ورأت عبر ضوء خفيف قادم من الداخل ظل رجل يقف هناك وينظر إليها.

وسألها: "معذرة، هل أنت الدكتورة آيسلز؟".

"نعم؟".

"يرغب السيد سانسون فى دعوتك إلى المنزل، فهناك مدفأة ممتازة بالداخل وقد أعددت قهوة طازجة".

وترددت وهى على درجات السلم، وتنظر إلى ضوء الموقد الذى يحدد هيئة الخادم، وقد وقف منتصبا ينظر إليها بثبات مخيف مما جعلها تفكر فى تماثيل الحجم الطبيعى التى رأتها يوما ما فى متجر الخدع، تمثال بشكل خادم يحمل صينية من المشروبات، ونظرت عبر الشارع على سيارتها فقد رحل دانيال بالفعل ولم يعد أمامها شىء تنتظره إلا قيادتها للسيارة وحيدة ومنزل فارغ لا أحد به سواها.

"أشكرك"، قالتها وهى تصعد درجات السلم، ثم أضافت: "يمكننى تناول كوب من القهوة".

# الثانى عشر

دخلت مورا إلى الردهة الأمامية الدافئة، ومازالت لا تشعر بوجهها بفعل الرياح الباردة، ولم تشعر بالإحساس يعود إلى وجنتيها إلا عندما وقفت أمام المدفأة منتظرة أن ينبه الخادم السيد سانسون؛ وشعرت برجفة ممتعة أعادت الحياة إلى خلاياها العصبية مما جعل جلدها يتورد، ويمكنها سماع همهمة محادثة فى غرفة أخرى - صوت المحقق كرو يوجه أسئلة ويجيب عنها بإجابات رقيقة تسمع بصعوبة، صوت أنثوى، وفى المدفأة تطاير الشرر وتصاعد الدخان وأدركت وجود قطع خشبية تحترق بالمدفأة، فلم تكن المدفأة مدفأة غازية كما ظنت، وربما تكون اللوحة الزيتية المرسومة بطراز العصور الوسطى أصلية أيضاً، فقد كانت صورة رجل يرتدى ثوبا مخمليا أحمر اللون، وتشع عيناه شبابا وحيوية، وفى الضوء الخافت لتلك الغرفة بدت هاتان العينان كعيون الأحياء.

ارتعشت وتحولت ببصرها، فقد أصابها الفزع من نظرات رجل مات منذ فترة طويلة تقريبا والذى كان يحدق إليها بغرابة، فالغرفة بها العديد من الأشياء المشوقة؛ كنز آخر ليتم فحصه، ورأت مقاعد مزودة بخطوط من الحرير، ومزهرية من الصين تلمع رغم مرور قرون، ومنضدة من خشب الورد عليها صندوق سيجار وإناء بلورى. ونظرت إلى السجادة التى تقف عليها والقطعة البالية فى منتصفها التى تدل على عمرها

والأقدام العديدة التى داست عليها، لكن الحدود الخارجية السليمة تظهر جودة الصوف السميك العالية ومدى مهارة الصانع، ونظرت تحت قدميها على النسيج المرسوم على شكل نبات العنب ليشكل حيوان وحيد القرن يستلقى تحت الأشجار، وشعرت بالذنب فجأة لأنها تقف على تلك التحفة الرائعة، فابتعدت منها ووقفت على الأرضية الخشبية بجوار المدفأة.

ومرة ثانية وجدت نفسها أمام الصورة الموجودة فوق المدفأة، والتقت نظراتها بعينى الرجل الثاقب، اللتين بدتا وكأنهما تحدقان فيها.

"إنها ملك للعائلة من عدة أجيال، إنها رائعة وألوانها مازالت مشرقة، أليس كذلك؟ حتى بعد كل هذه القرون".

استدارت مورا لتواجه الرجل الذى دخل الغرفة للتو، ودخل بهدوء شديد، مما جعلها تعتقد أنه تم استحضاره من خلفها وكانت متفاجئة لدرجة لم تعرف بها ما تقوله لهذا الرجل، كان يرتدى كنزة ذات ياقة ضيقة أبرزت شعره الفضى اللون، ويبدو من وجهه أن عمره تحت الخمسين، هل قابلته فى الشارع من قبل؟ حدقت فى وجهه بسبب ملامحه الجذابة والمألوفة جدا، فقد رأت مقدمة رأس نبيلة وعالية مما يدل على الأصل الأرستقراطى، ولمعت عيناه السوداوان فى ضوء نار المدفأة، وقد تحدث عن الصورة كما لو كانت جزءاً من تراث عائلته ولاحظت التشابه بين الصورة والرجل الواقف أمامها، فقد كانت أعينهما واحدة.

ومد يده مصافحا: "مرحبا د. آيسلز، أنا أنتونى سانسون"، وركز على وجهها كثيرا مما جعلها تتساءل عما إذا كانا قد تقابلا من قبل.

*كلا، من المؤكد أننى كنت سأتذكر رجلاً بتلك الجاذبية.*

وقال وهو يصافحها: "أنا سعيد لأننى تعرفت عليك أخيرا، فقد سمعت عنك من قبل".

"ممن؟".

"د. أودونيل".

شعرت مورا بيدها تصبح باردة فى قبضته، فسحبتها منه قائلة: "لا أتخيل سببا يجعلنى موضوع محادثة بينك وبينها".

"صدقينى، كانت تقول أشياء جيدة عنك".

"إنها مفاجأة".

"لماذا؟".

"لأننى لا أستطيع قول شىء جيد عنها".

أومأ برأسه ليدل على معرفته بالأمر، قائلاً: "قد تبدو غير ودودة، حتى تتاح لك فرصة لتعرفيها وتقدرى نفاذ بصيرتها".

وانفتح الباب بهدوء شديد حتى أن مورا لم تسمعه، لكن الصوت الرقيق للآنية الخزفية نبهها إلى أن الخادم دخل الغرفة وهو يحمل صينية بها أكواب وابريق القهوة. وضعها على المنضدة، ونظر إلى سانسون نظرة استفهامية وبعد ذلك خرج من الغرفة، لم يتبادلا كلمة واحدة؛ فوسيلة تواصلهم الوحيدة كانت تلك النظرة والإيماءة التى أجاب بها سانسون على الخادم — فرجلان يعرفان بعضهما جيدا لا يحتاجان إلى كلمات للتفاهم بها.

أشار إليها سانسون بالجلوس، فجلست مورا على المقعد الإمبراطورى المزود بشرائط حريرية.

قال سانسون: "أعتذر على تركك بالردهة الأمامية، لكن يبدو أن رجال شرطة بوسطن قد احتلوا الغرف الأخرى أثناء قيامهم بالاستجوابات". صب كوبا من القهوة وقدمه إليها قائلاً: "لقد لاحظت أنك قد فحصت الضحية".

"لقد ألقيت نظرة عليها".

"ما رأيك؟".

"أنت تعلم أنه لا يمكننى التعليق".

مال للخلف فى مقعده، ونظر إلى القماش المطرز باللونين الأزرق والذهبى قائلاً: "أنا لا أتحدث عن الجسد نفسه، فأنا أفهم جيدا سبب عدم تصريحك بما لديك من معلومات، وإنما أتحدث عن مسرح الجريمة ذاته، مكوناته".

"عليك سؤال كبير المحققين، المحققة ريزولى".

"أنا مهتم أكثر بانطباعاتك".

"أنا طبيبة، ولست محققة".

"لكننى أعتقد أن لديك نظرة خاصة لما حدث فى حديقة منزلى بالأمس". ومال للأمام وثبت عينيه السوداوين عليها قائلاً: "أرأيت الرموز المرسومة على باب منزلى الخلفى؟".

"لا يمكننى التحدث عن -".

"د. آيسلز، أنت لا تصرحين بأى شىء، فقد رأيت الجثة وكذلك د. أودونيل، فعندما وجد جيرمى الجثة جاء مباشرة إلى المنزل ليخبرنا".

"وبعد ذلك سرت أنت وأودونيل إلى الخارج كالسياح لتلقيا نظرة؟".

"نحن أبعد ما نكون عن السياح".

"ألم تتوقف لتفكر فى آثار الأقدام التى قد تكونان قد محوتماها؟ الدليل الذى أفسدتماه؟".

"نحن نفهم بالضبط ما كنا نفعله، كان علينا رؤية مسرح الجريمة".

"كان عليكم؟".

"هذا المنزل ليس مجرد مقر إقامتى، بل هو مكان لاجتماع الزملاء من جميع أنحاء العالم، فحقيقة أن العنف أصبح منتشرًا جدًا يقلقنا جميعا".

"من المقلق لأى شخص أن يجد جثة فى حديقة منزله، لكن معظم الأفراد لا يخرجون مع ضيوفهم ليلقوا نظرة عليها".

"أردنا أن نعرف هل كان هذا مجرد فعل عدوانى عشوائى".

"لماذا؟".

"بسبب تحذير موجه إلينا شخصيا". ووضع كوب القهوة الخاص به وركز اهتمامه عليها مما جعلها تشعر بأنها مربوطة بالمقعد المزود بشرائط حريرية قائلاً: "ألم ترى الرموز الطباشيرية على الباب؟ والعين، والصلبان الثلاثة المقلوبة؟".

"نعم".

"أنا أفهم، فقد كانت هناك جريمة قتل أخرى عشية عيد رأس السنة لامرأة أخرى، مسرح جريمة آخر بصلبان مقلوبة مرسومة فى حجرة النوم".

لم يكن عليها تأكيد ذلك، فمن المؤكد أن ذلك الرجل قد قرأ الإجابة على وجهها، وشعرت بنظرته تخترقها بعمق وترى الكثير مما يدور فى عقلها.

قال: "يمكننا أيضا الحديث عن ذلك الأمر، فأنا أعرف التفاصيل بالفعل".

"كيف عرفت؟ ومن أخبرك؟".

"أشخاص أثق بهم".

وضحكت ضحكة تدل على عدم تصديقها كلامه، قائلة: "وهل د. أودونيل واحدة منهم؟".

"سواء أحببتها أم لا فهى بارعة فى مجال عملها، انظرى لعملها مع السفاحين فهى تفهم هذه المخلوقات".

"البعض يقول إنها تماثلهم".

"من جانب ما سيكون عليك قول ذلك، فهى تحاول الدخول إلى عقولهم وتفحص كل شق فيه".

بنفس الشكل الذى شعرت مورا أن سانسون قد فحصها بنظراته منذ دقائق مضت.

قالت مورا: "الأمر يتطلب وحشا ليتعرف على أحد هؤلاء القتلة".

"أتعتقدين ذلك حقا؟".

"إذا كان الأمر يتعلق بـ أودونيل، فأنا أصدق هذا".

مال أكثر تجاهها وتحول صوته إلى مثل همهمة الأصدقاء المقربين وقال: "هل يمكن لكرهك لـ أودونيل أن يكون أمراً شخصياً؟".

"شخصى؟".

"لأنها تعرف أشياء كثيرة عنك؟ وعن عائلتك؟".

وتجمدت نظرات مورا، وصمتت من هول المفاجأة.

قال: "لقد أخبرتنا عن أمالثيا".

"ليس لديها الحق فى ذلك".

"حبس والدتك يعرفه الجميع، فجميعنا نعلم ما فعلته أمالثيا".

"إنها حياتى الخاصة -".

"نعم، وهى واحدة من شياطينك الشخصية التى تقلقك، وأنا أتفهم ذلك".

"لماذا يمثل ذلك الأمر أى أهمية لك؟".

"لأنك نفسك مصدر أهمية، فقد رأيت الشر فى العين، ورأيته فى وجه والدتك، فأنت تعرفين أنه هنا فى دمك وعائلتك، وذلك هو ما يدهشنى د. آيسلز - فأنت من سلالة عنيفة ومع ذلك فأنت تقفين فى صف الملائكة".

"أنا أقف فى صف العلم والمنطق يا سيد سانسون، والملائكة ليس لها علاقة بذلك".

"حسنا، لكن ألا تؤمنين بأعدائهم؟".

"أتقصد الشياطين؟". وضحكت مضيفة: "بالطبع لا".

ورمقها بنظرة تدل على خيبة أمله لمدة دقيقة وقال: "بما أنك تؤمنين بالعلم والمنطق كما ذكرت، فكيف يشرح العلم ما

حدث فى حديقتى الليلة؟ وما حدث لتلك المرأة عشية عيد رأس السنة؟".

"أنت تطلب منى شرح الشر".

"نعم".

"لا يمكننى ذلك ولا العلم أيضا، فالشر هو الشر فقط".

وأومأ قائلاً: "ذلك صحيح تماما، فالشر هو الشر فقط، وهو معنا دائما، كيان حقيقى يعيش بيننا وينتشر فى صمت، ينتظر فرصته ليتغذى، ومعظم الأشخاص غير واعين به ولا يعرفونه حتى عندما يقف ضدهم أو يمرون به فى الشارع"، وانخفض صوته فأصبح كالهمس، وفى السكون اللحظى سمعت صوت طقطقة الشرر فى المدفأة، وهمهمة أصوات فى الحجرة الأخرى وقال: "لكنك تعرفينه، ورأيته بعينيك".

"لم أر إلا ما يراه كل شرطى فى قسم جرائم القتل".

"أنا لا أتحدث عن الجرائم اليومية: أزواج يقتلون بعضهم أو تجار مخدرات يقتلون منافسيهم، وإنما أتحدث عما رأيته فى عينى والدتك، الوميض".

وسحب المنفضة وأزال الرماد من حاجز المدفأة الحديدى، فارتعشت النيران، وبدأت فى التناقص كأنها أمام شخص غير مرئى داخل الغرفة، وأصبحت الغرفة باردة فجأة كما لو كانت كل الحرارة وكل الأنوار قد انسحبت منها.

وقال: "أنا أفهم تماما لماذا لا تريدين الحديث عن أماليثيا، فهذه سلسلة دموية رهيبة ومن الظلم أن ترثيها".

قالت مورا: "ليس لها علاقة بما أصبحت عليه، فهى لم تربنى، ولم أعلم بوجودها إلا منذ أشهر قليلة مضت".

"أنت حساسة جدا بخصوص هذا الموضوع".

تلاقت نظراتهما، فقالت: "فى الواقع، الأمر لا يهمنى".

"أجد عدم اهتمامك أمرا غريبا".

"نحن لا نرث ذنوب آبائنا أو فضائلهم".

"هناك أجزاء من التراث يصعب تجاهلها"، وأشار إلى اللوحة الموضوعة فوق المدفأة قائلاً: "هناك ستة عشر جيلا تفصلنى عن هذا الرجل، ولا يمكننى الهروب من تراثه، ولن أتمكن من التبرؤ مما فعله".

حملقت مورا فى الصورة، وقد اندهشت للمرة الثانية للتشابه الكبير بين الرجل الحى الجالس بجوارها والوجه الموجود على اللوحة الزيتية وقالت: "لقد قلت إن هذه الصورة جزء من الميراث العائلى".

"ليس بالشخص الذى يسعدنى أن أرثه".

"من كان ؟".

"مونسانيور أنطونينو سانسون، لقد تم رسم هذه اللوحة فى فينسيا عام ١٥٦١، فى قمة مجده وقوته أو يمكنك القول فى قمة فساده".

"أنطونينو سانسون؟ اسمك؟".

"أنا سليله المباشر".

وحملقت فى الصورة، قائلة: "لكنه -".

"كان رجل دين، ذلك ما كنت ستقولينه، أليس كذلك؟".

"نعم".

"إخبارك قصته سيستغرق الليل بأكمله، ربما أفعل ذلك فى وقت آخر، فلنقل فقط إن أنطونينو لم يكن رجلاً صالحاً، لقد فعل أشياء ستجعلك تتساءلين عن معنى –" وسكت ثم أضاف: "هو ليس الجد الذى أفخر به".

"ومع ذلك تضع صورته فى منزلك".

"كتذكار".

"تذكار لماذا؟".

"د. آيسلز، انظرى إليه إنه يشبهنى، ألا تعتقدين ذلك؟".

"اعتقدت ذلك منذ أن رأيتك".

"فى الواقع، قد نكون إخوة، وذلك سبب تعليق صورته، ليذكرنى أن الشر له وجه بشرى، وقد تمرين بذلك الرجل وترينه يبتسم فى وجهك ولا يمكنك أبدا تخيل ما يفكر فيه، يمكنك دراسة وجه كل من ترغبين فيه، لكنك لن تعرفى أبدا ما الذى يقبع خلف القناع"، ومال ناحيتها وبدا شعره وهو يعكس ضوء المدفأة كخوذة فضية، وقال بهدوء: "إنهم يبدون مثلنا تماما د. آيسلز".

"هم، لقد جعلتهم يبدون كما لو كانوا نوعاً آخر وليسوا بشرا".

"ربما كانوا كذلك. إنهم يعودون إلى أحد العصور القديمة، وكل ما أعرفه عنهم أنهم ليسوا مثلنا، والطريقة الوحيدة لتتعرفى عليهم أن تتبعى ما يفعلونه، اتبعى أثر الدماء واستمعى إلى الصرخات، ابحثى عن الأشياء التى ينشغل عن ملاحظتها معظم أفراد أقسام الشرطة: الأنماط، فنحن نبحث فيما وراء خلفية كل مسرح جريمة وإراقة الدماء كالمعتاد، لنرى البقع الساخنة، إننا نبحث عن آثار أقدام الوحوش".

"من تعنى بقولك نحن؟".

"الأشخاص الذين كانوا هنا الليلة".

"ضيوفك على العشاء".

"نحن نؤمن بأن الشر ليس مجرد مفهوم مجرد، بل شىء حقيقى ولديه وجود جسدى، لديه وجه"، وسكت هنيهة ثم استطرد: "فى فترة ما من حياتنا رأيناه جميعا فى لحم ودم".

ارتفع حاجبا مورا وقالت: "الشيطان؟".

هز كتفيه قائلاً: "مهما كان الاسم الذى ترغبين فى استعماله، فهناك العديد من الأسماء ترجع تاريخها للقدماء: لوسيفر، أبيجور، ساமايل، ماستيما، فكل حضارة لها اسمها المميز للشر، وبحثت أنا وزملائى عن ذلك بشكل شخصى، ورأينا قوة هذه الأسماء وسأعترف بذلك يا د. آيسلز، فنحن

خائفون".. قابلت نظراته نظراتها وأكمل حديثه: "اليوم، أكثر من أى مرة أخرى".

"أتعتقد أن جريمة القتل فى حديقتك -".

"الأمر يتعلق بنا، وبما نفعله هنا".

"وما الذى تفعلونه؟".

"نحن نراقب أعمال الوحوش فى البلاد وفى العالم كله".

"نادى المحققين الجالسين على الكراسى المريحة؟ أنا أرى الأمر يبدو كذلك"، ونظرت مرة أخرى إلى لوحة أنطونينو سانسون التى كانت تساوى ثروة بلا شك، فبنظرة واحدة إلى تلك الغرفة أدركت مورا أن هذا الرجل لديه نقود يرغب فى إنفاقها ولديه وقت يرغب فى تضييعه فى اهتمامات غريبة.

"لماذا قُتلت تلك المرأة فى حديقتى د. آيسلز؟ ولماذا اختار منزلى فى تلك الليلة المحددة؟".

"أنت تعتقد أن الأمر بأكمله يتعلق بك وبناديك؟".

"لقد رأيت الرسوم الطباشيرية على بابى، والرسوم الموجودة بجريمة القتل التى ارتكبت عشية عيد الميلاد".

"ليس لدىّ أى فكرة عما تعنيه أى من هذه الرسوم".

"الصلبان المقلوبة رموز شيطانية شائعة، لكن ما يثيرنى هو الدائرة الطباشيرية بمنزل لورى آن تاكر، الدائرة المرسومة على أرضية مطبخها".

لا داعى لإنكار هذه الحقيقة؛ فهذا الرجل يعرف التفاصيل، فقالت مورا: "إذن فما الذى تعنيه الدائرة؟".

"قد تكون حلقة للحماية، وذلك رمز آخر مأخوذ من الطقوس الشيطانية، فبرسم تلك الدائرة كانت لورى آن تحاول حماية نفسها وربما كانت تحاول السيطرة على القوى الرهيبة التى تنادى فى الظلام".

"انتظر، أتعتقد أن الضحية هى من رسمتها لتمنع الشيطان؟". وبدا من نغمة صوتها رأيها بنظريته: *محض هراء*.

"إذا كانت هى من رسمتها، إذن فلم يكن لديها أية فكرة عما كانت تحضره".

وارتعشت النار فجأة وعلت النيران كمخلب مضىء، واستدارت مورا لأن الباب الداخلى قد انفتح ودخلت منه د. جويس أودونيل، ووقفت وهى مذهولة عند رؤيتها لـ مورا، وبعد ذلك تحول انتباهها إلى سانسون.

"يالى من محظوظة، فبعد ساعتين من الاستجواب قرر محققو بوسطن أن يتركونى أذهب إلى منزلى، لقد دعوتنا لحفلة عشاء من الجحيم يا أنتونى، ليلة لن يمكنك أن تقدم أفضل منها".

قال سانسون: "فلنأمل ألا أفعلها ثانية، دعينى أحضر لك معطفك"، ونهض ودفع لوحاً خشبياً فأظهر خزانة مخفية، وأمسك معطف أودونيل المزين بالفرو وأدخلت ذراعيها فى أكمام المعطف بكياسة شديدة وانسدل شعرها الأشقر بين يديه، ولاحظت مورا الألفة الموجودة بينهما، رقصة مريحة بين شخصين يعرفان بعضهما بشكل جيد.

ربما بشكل جيد جدا.

وأثناء تزريرها لمعطفها، كانت نظرات أودونيل مركزة على مورا، وقالت: "لقد مر وقت منذ آخر مرة رأيتك فيها د. آيسلز، كيف حال والدتك؟".

*إنها تصيب إصابات مباشرة دائما، فلا تدعيها ترى أنها قد أراقت دمك.*

قالت مورا: "لا أعلم".

"ألم تعودى لرؤيتها ثانية؟".

"كلا، ولكن ربما تعرفين ذلك بالفعل".

"آوه، فقد أنهيت حديثي مع أمالثيا منذ حوالى شهر، ولم أرها منذ تلك الفترة". ارتدت أودونيل قفازها الصوفى على أصابعها الطويلة الأنيقة وأضافت: "كانت تسير بشكل جيد فى آخر مرة رأيتها، إذا كان ذلك يهمك".

"لا يهمنى".

"إنها تعمل بمكتبة السجن الآن، فقد أصبحت مهتمة بمطالعة الكتب وتقرأ أى كتاب تجده عن علم النفس". توقفت أودونيل عن الحديث لتثبت قفازها وأكملت قائلة: "لو أتيحت لها الفرصة لتدخل الجامعة، لأصبحت الآن من نجوم المجتمع".

*وبدلا من ذلك، اختارت أمى طريقا آخر، مفترسة، جزارة.* لا يهم مدى المعاناة التي مرت بها مورا لتبعد نفسها عنها، ولا يهم إلى أى عمق دفنت أفكارها عن أمالثيا، فلا يمكنها النظر إلى نفسها فى المرآة بدون رؤية عين أمها، وفم أمها، فالوحش يطل من المرآة.

قالت أودونيل: "تاريخ حالتها سيأخذ فصلا كاملا فى كتابى الجديد، وإذا كنت تودين الجلوس والتحدث معى فإن ذلك سيسهم بنسبة كبيرة فى تحديد تاريخ حالتها".

"ليس لدىَّ شىء لأضيفه بالتأكيد".

ابتسمت أودونيل ببساطة فقد كانت تتوقع هذا الإحباط. "الأمر يستحق السؤال دائما" ثم نظرت إلى سانسون وترددت وكأنها تريد قول شىء ما لكن لا يمكنها قوله فى وجود مورا، فقالت: "تصبح على خير، أنتونى".

"أيمكننى أن أرسل جيرمى ليرافقك، فقط لأطمئن عليك؟".

"بالطبع لا"، وابتسمت ابتسامة رأتها مورا كابتسامة عابثة وأكملت: "أستطيع الاعتناء بنفسى".

"هذه ظروف مختلفة، جويس".

"أخائف أنت؟".

"سنكون مجانين إن لم نخف".

ووضعت وشاحها حول رقبتها، بتكلف مسرحى لتؤكد أنها لم تخف، ولو لمرة واحدة، لتجعل شيئاً تافهاً مثل هذا يعطلها.

"سأتصل بك غدا".

وفتح الباب ودخلت كمية من الهواء البارد، رياح بها كتل رقيقة من الثلج الذى تبعثر كاللآلئ على السجادة الأثرية، وقال: "خذى حذرك"، ووقف أمام باب المنزل وهو يراقب أودونيل وهى تسير إلى سيارتها، ولم يغلق الباب إلا بعد أن انطلقت بسيارتها بعيدا، وواجه مورا مرة ثانية.

قالت مورا: "إذن فأنت وأصدقاؤك تعتقدون أنكم فى صف الملائكة".

"أؤمن بذلك".

"وإلى أى جانب تنتمى هى؟".

"أعلم أنه لا توجد أى محبة بينها وبين ممثلى القانون، فوظيفتها كشاهدة دفاع تجعلها على خلاف مع حكم الإعدام، لكن أنا أعرف جويس منذ ثلاثة أعوام وأعرف مبادئها".

"أيمكنك التأكد مما تقول؟"، وحملت معطفها الذى تركته على الأريكة، ولم يحاول أن يساعدها فى ارتدائه فربما أحس بأنها غير أودونيل، ليست فى مزاج يجعلها تقبل مساعدته، وأثناء تزريرها معطفها أحست أن هناك زوجين من الأعين تراقبانها: الرجل الجالس معها فى الغرفة ولوحة أنطونينو سانسون فقد كانت نظراته تطل من على بعد أربعة قرون، ولكنها لم تتمكن من النظر إلى ناحية اللوحة، على الرجل الذى كانت أفعاله مازالت تجعل ذكر اسمه يصيب المرء بالارتعاد رغم مرور أجيال وأجيال.

قالت محولة انتباهها إلى المضيف: "قلت إنك رأيت الشر فى العين".

"لقد رأيناه نحن الاثنين".

"إذن عليك أن تعرف من الآن أنها ترتدى قناعاً جميلاً زائفاً".

خرجت من المنزل وتنفست فى الهواء المشبع بالضباب البارد، وامتد الممشى الجانبى أمامها كنهر مظلم؛ وبدت عواميد الإضاءة كجزر من الضوء، وكانت هناك سيارة شرطة واحدة مركونة فى الشارع، والمحرك متوقف عن العمل، ورأت ظل رجل دورية يجلس على مقعد القيادة، فرفعت يدها ولوحت إليه.

ولوح إليها بدوره.

فكرت عندما بدأت المشى: *ليس هناك سبب للتوتر*، فسيارتى فى نهاية الشارع وهناك رجل شرطة بالجوار، وكذلك كان سانسون، ونظرت للخلف فوجدته مازال واقفا على سلالم منزله الأمامية يراقبها، ومع ذلك فقد سحبت مفاتيح سيارتها ولكنها مازالت تشعر بالخوف، حتى بعد أن سارت على الممشى الجانبى، فقد رأت ظلالاً تبحث عن أى بادرة حركة، ولم تشعر بالشد يتلاشى عن أكتافها إلا بعد أن دخلت سيارتها وأغلقت أبوابها.

*وقت الذهاب للمنزل، وقت شرب قدح من القهوة.*

وعندما دخلت منزلها، وجدت رسالتين جديدتين على آلة الرد الموجودة بهاتفها. ذهبت إلى المطبخ أولا لتعد لنفسها قدحاً من القهوة، وعادت ثانية إلى حجرة المعيشة وهى تشرب القهوة وضغطت على زر تشغيل الرسائل الصوتية بالهاتف، وتجمدت فى مكانها عند سماعها صوت المتحدث فى أول رسالة.

"دانيال يتحدث، اتصلى بى مهما كان الوقت متأخراً عند سماعك هذه الرسالة، من فضلك، أنا أكره أن أفكر أنك وأنا —" سكت ثم أضاف: "نحتاج إلى أن نتحدث معا، مورا، اتصلى بى".

لم تتحرك لكنها وقفت ممسكة بقدح القهوة وتجمدت يداها حول الكوب أثناء تشغيل الرسالة الثانية.

"د. آيسلز، أنا أنتونى سانسون، أردت فقط أن أتأكد من وصولك إلى المنزل سالمة، ستتصلين بى لأطمئن، أليس كذلك؟".

صمتت الآلة، وأخذت مورا نفسا عميقا ووصلت إلى الهاتف وأجرت اتصالا.

"منزل سانسون، جيريمى يتحدث".

"معك د.آيسلز، أيمكنك -".

"مرحبا د. آيسلز، دعينى أحضر السيد سانسون ليحادثك".

"أخبره فقط أننى وصلت إلى المنزل".

"أنا أعلم أنه سيحب أن يحدثك بنفسه".

"ليست هناك حاجة لإزعاجه، تصبح على خير".

"تصبحين على خير، د.آيسلز".

أنهت المكالمة وترددت يداها أمام السماعة لتجرى المكالمة الثانية.

ولكنها سمعت صوت صدمة كبيرة برواق منزلها الأمامى مما جعلها تتراجع بشكل مباشر للخلف، وتوجهت إلى الباب الأمامى وشغلت مصباح الردهة. بالخارج، كانت الرياح تحرك ثلجًا ناعمًا كالغبار، ووجدت على أرضية الشرفة كتلة ثلج ضخمة سقطت كأشياء لامعة، كالخناجر المكسورة، وأطفأت الأنوار ونظرت من النافذة فرأت شاحنة تابعة للبلدية تحدث ضوضاء بالخارج، تبعثر الرمال على الطريق الثلجى.

عادت إلى الأريكة ونظرت للهاتف وشربت آخر ما فى قدح القهوة.

*نحتاج إلى أن نتحدث معا، مورا، اتصلى بى.*

وضعت الكوب، وأطفأت المصابيح وذهبت للنوم.

# الثالث عشر

***٢٢ يوليو، طريق القمر: الربع الأول.***

***وقفت العمة آمي أمام الموقد تقلب قدرا من الطعام، ويرتسم على وجهها الرضا. في هذا اليوم الغائم المليء بالغيوم السوداء القادمة من ناحية الغرب، بدا أن آمي غافلة عن صوت الرعد، فكل الأيام مشرقة في عالم عمتي، فهي لا ترى الشر، ولا تخاف منه، فهي مثل الحيوانات التي يتم تسمينها بالبرسيم في المزرعة الموجودة على الطريق، كالبقرة التي لا تعرف أي شيء عن الذبح، وهي لا تستطيع رؤية أي شيء وراء سعادتها المتوهجة، حتى الجرف الموجود تحت قدميها لا تراه.***

***إنها لا تشبة أمي في أي شيء.***

***استدارت العمة آمي من أمام الفرن وقالت: " العشاء جاهز تقريبا" .***

***عرضت عليها المساعدة، قائلاً: " سأجهز المائدة" وابتسمت ابتسامة شكر، فإسعادها لا يتطلب الكثير، وعندما وضعت الأطباق ومناديل الطعام على المائدة ووضعت الشوك بالمقلوب على الطريقة الفرنسية شعرت بنظرتها المحبة لي، فهي ترى فتى هادئاً ومتعاوناً؛ ولا ترى ما أنا عليه بالفعل.***

***أمي فقط هي من تعرف، فيمكن لأمي أن تتبع نسل عائلتنا حتى الهكسوس، الذين غزوا مصر وحكموها، في العصر الذي كانوا يتخذون فيه إلهاً للحرب، وكانت أمي تقول لي: " دم***

الصيادين القدامى يجرى فى عروقك، لكن من الأفضل عدم الحديث عن ذلك لأن الناس لن يفهموا ذلك" .

ولم أتحدث كثيرا عند جلوسنا لتناول الطعام، فالعائلة تثرثر بشكل لا يوفر أى هدوء، فهم يتحدثون عما فعله تيدى عند البحيرة اليوم، وما سمعته ليلى وهى بمنزل لورى آن، إنهم يجنون محصول طماطم ممتاز فى شهر أغسطس.

وعندما انتهينا من الطعام قال العم بيتر: " من يريد الذهاب إلى المدينة لتناول المثلجات؟" .

وكنت أنا الوحيد الذى اختار البقاء بالمنزل.

ومن النافذة، راقبت سيارتهم وهى تسير بعيدا، وما إن اختفت عن أنظارى صعدت السلالم إلى غرفة عمى وزوجته، فقد كنت أنتظر الفرصة لأستكشفها، برائحتها الأشبه بدهان الأثاث بطعم الليمون، والسرير المرتب جيدا، لكن هناك لمسات صغيرة تدل على عدم النظام تأكيدا على وجود أشخاص أحياء بهذه الغرفة – بنطال عمى الجينز ملقى على أحد المقاعد، وعدد قليل من المجلات موضوعة على المنضدة.

وفى الحمام الملحق بالغرفة، فتحت خزانة الأدوية ووجدت - بالإضافة إلى أقراص الصداع والبرد - وصفة طبية ترجع لسنتين ماضيتين مكتوبة للدكتور بيتر سول:

" أقراص فاليم ٥ مجم، قرص واحد ثلاث مرات فى اليوم لعلاج التشنجات" .

ما زال هناك حوالى اثنتى عشرة حبة دواء بالزجاجة. عدت إلى غرفة النوم، وفتحت مصاريع خزانة الملابس واكتشفت أن مقاس صدر عمتى ٣٦، وملابسها الداخلية قطنية وعمى يرتدى ملابس داخلية متوسطة المقاس، وفى الخزانة السفلى وجدت مفتاحا صغيرا جدا لباب، وأعتقد أننى عرفت ما الذى يفتحه.

بالأسفل فى مكتب عمى، وضعت المفتاح فى قفل وانفتح باب الخزانة، وعلى الرف بالداخل وجدت مسدسه، إنه مسدس قديم ورثه عن والده وذلك السبب الوحيد الذى جعله لا يتخلص منه، ولم يخرجه عمى من مكانه أبدا، أعتقد أنه يخاف منه قليلا.

أغلقت الخزانة وأعدت المفتاح إلى مكانه،

وبعد ساعة سمعت صوت سيارتهم على الطريق، فنزلت السلالم لأحييهم عند عودتهم إلى المنزل.

ابتسمت العمة آمى عندما رأتنى، وقالت: " يؤسفنى أنك لم تأت معنا، هل شعرت بالملل؟" .

# الرابع عشر

أيقظ صوت الفرامل الهوائية ليلى سول، فرفعت رأسها، وهى تتأوه من الألم الذى تشعر به برقبتها، ونظرت بعينين نائمتين إلى الريف الذى توقفت فيه السيارة، فالفجر كان على وشك الظهور وضباب الصباح كان مثل غيمة من الذهب على حقول الكروم وبساتين الفاكهة المحملة بالندى، وتمنت أن يكون كل من باولو وجورجيو قد مرا بمكان بهذا الجمال؛ إذا كان أى منهما يستحق الجنة، وهما يستحقانها فى رأيها.

*لكنى لن أراهم هناك، فهذه فرصتى الوحيدة لأكون بالجنة، هنا، والآن. دقيقة من السلام، إنها جميلة قطعا لأننى أعلم أنها لن تدوم.*

"لقد استيقظت فى النهاية" قالها السائق بالإيطالية وعيناه السوداوان تقيمانها، فعندما توقف السائق على جانب الطريق خارج فلورنسا تماما ليعرض عليها توصيلة فى الليلة الماضية لم تنظر إليه جيدا، والآن بضوء الصباح الذى يغمر كابينة السيارة رأت ملامح فظة، وحواجب بارزة، وقطعة من البوليستر الطبى على فكه أصبحت سمراء بتعرضها للهواء، أوه، وتمكنت من قراءة نظراته إليها، *هل سنقوم بالأمر أم لا، سنيوريتا؟* فالفتيات الأمريكيات يسهل إغواؤهن، اصطحبهن فى سيارتك ووفر لهن مكاناً ليقمن فيه وسينفذن لك أى شىء تطلبه.

وقالت ليلى فى نفسها: *هذا من رابع المستحيلات.*

قال السائق: "إذا كنت فى حاجة لمكان تقيمين فيه، فلدىَّ شقة بالمدينة".

"أشكرك، لكن لا أريد".

"أهناك مكان تذهبين إليه؟".

"لدىَّ ... أصدقاء وقد عرضوا علىَّ الإقامة عندهم".

"أين عنوانهم فى روما؟ وسأقلك إلى هناك".

كان يعلم أنها تكذب عليه، فقد كان يختبرها.

وقال: "حقا، ليس هناك مشكلة إذن".

"اتركنى فقط فى محطة القطار، فهم يعيشون بجوارها".

ومرت نظراته ثانية بوجهها، ولم تعجبها عيناه؛ فقد رأت فيهما الغدر والدناءة مثل وميض عين الأفعى التى قد تهاجم المرء فى أية لحظة.

هز كتفيه فجأة، وابتسم كما لو كان الأمر لا يعنيه مطلقا.

"أذهبت إلى روما من قبل؟".

"نعم".

"لهجتك الإيطالية جيدة".

قالت لنفسها: *لكن ليست جيدة بدرجة كافية فما إن أفتح فمى حتى يعرفون أننى أجنبية.*

"إلى متى ستمكثين فى المدينة؟".

"لا أعلم"، إلى أن أشعر بعدم الأمان، أو حتى أخطط لحركتى التالية.

"إذا احتجت لأى مساعدة يمكنك الاتصال بى" وأخرج بطاقة من جيب قميصه وأعطاها إياها قائلاً: "هذا رقم هاتفى المحمول".

"سأتصل بك فى وقت ما". ووضعت البطاقة فى حقيبة ظهرها، وتركته يهيم فى أحلامه، فقد تركها بدون مشاكل كبيرة كما كانت تتوقع.

وعند محطة قطارات روما نزلت من الشاحنة ولوحت له مودعة، وشعرت بنظراته إليها أثناء عبورها الشارع تجاه المحطة، ولم تنظر وراءها، بل سارت مباشرة تجاه المبنى، ووقفت وراء الزجاج تراقب شاحنته، ولم تتحرك الشاحنة بل كانت تنتظر، فقالت محدثة نفسها: *هيا، ابتعد عن طريقى واذهب إلى الجحيم.*

ولم تتحرك الشاحنة إلا بعد أن شغلت إحدى سيارات الأجرة وراء الشاحنة آلة التنبيه.

خرجت من المحطة وتجولت بساحة الجمهورية حيث توقفت، مبهورة بالزحام والحرارة والضوضاء وعوادم السيارات، وقبل أن تغادر فلورنسا مباشرة دخلت أحد مكاتب الصرافة وسحبت ثلاثمائة يورو، لذلك فقد كانت تشعر بالتوهج الآن، إذ كانت حريصة ومقتصدة يمكنها أن تحافظ على المال معها لمدة أسبوعين، فتعيش على الخبز والجبن وأكواب القهوة، وتعيش فى فنادق السياح منخفضة المستوى، فقد وجدت وسائل حياة رخيصة وبتلك الأعداد الكبيرة من السياح الأجانب الداخلين والخارجين من محطة القطار يمكنها الاختفاء والاندماج بينهم.

لكن عليها أن تتوخى الحذر.

توقفت خارج متاجر متعددة وفكرت كيف يمكنها تغيير مظهرها بسهولة، بصبغ شعرها؟ لا، ففى بلاد الجميلات ذوات الشعر الأسمر كان من الأفضل أن تظل سمراء الشعر، ربما تغير بعض الملابس، وتتوقف عن الظهور كأمريكية وتستبدل الجينز بفستان رخيص. تجولت داخل محل مترب وخرجت بعد نصف ساعة ترتدى عباءة قطنية زرقاء.

وفى هوجة التبذير تناولت طبقاً ساخناً من المكرونة الاسباجيتى البولونية وقد كان ذلك الطبق أول وجبة ساخنة تتناولها منذ يومين، وكانت الصلصة عادية وشرائط المكرونة

ساخنة جدا لكنها أبادت الطبق بالكامل ومسحت كل قطعة لحم بالخبز السيئ، وبعد ذلك امتلأ بطنها وأثرت درجة الحرارة عليها، فسارت مجهدة وهى نصف نائمة تبحث عن فندق لتنام فيه، حتى وجدت واحدا فى شارع جانبى قذر، وقد تركت الكلاب تذكاراتها النتنة بجانب المدخل الأمامى، والملابس المغسولة ترفرف من النوافذ وسلة المهملات التى يطن من حولها الذباب ممتلئة عن آخرها بالنفايات والزجاج المكسور.

هذا ما كانت تبحث عنه بالضبط.

أما الغرفة التى حجزتها فكانت تطل على فناء داخلى مظلم، وأثناء تغييرها ملابسها وقفت تحملق فى الأسفل على قطة هزيلة تنقض على شىء صغير جدا لا تستطيع ليلى أن تتعرف عليه، أهو قطعة لحم أم فأر عاثر الحظ؟

وانهارت على السرير غير المريح واستمعت إلى جلبة أجهزة التكييف فى الفناء، وأصوات آلات التنبيه وزئير الحافلات بالمدينة القديمة، فمدينة بها أربعة ملايين شخص تعتبر مكاناً جيداً للاختباء لفترة، فلن يجدها أحد هنا بسهولة.

ولا حتى الشيطان.

# الخامس عشر

كان منزل إدوينا فيلواى يقع فى ضاحية نيوتن، على حدود نادى باريبارن الذى غطته الثلوج، ويطل على الفرع الشرقى لنزل شيزكيك بروك، الذي كان الآن عبارة عن ثلج لامع، ورغم أنه لم يكن أكبر النزل فى هذا الشارع الملىء بالنزل الضخمة، إلا أن بعض الأشياء الغريبة الساحرة هى ما تميزه عن جيرانه الآخرين، فقد تسلقت نباتات زهرية متسلقة على جدرانه وبدت كالأصابع المصابة بالتهاب المفاصل منتظرة الربيع لتدفئ مفاصلها وتبحث عن التورد، ويحيط به سقف مثلث، ونافذة كبيرة من الزجاج الملون تبدو كالعين متعددة الألوان، وتحت السطح الأردوازى الضعيف، لمعت الكتل الجليدية المتدلية كأسنان حادة، وفى الساحة الأمامية، هناك تماثيل غطيت رءوسها بالجليد كما لو كانت تحاول الخروج من بياتها الشتوى : جنى مجنح تجمد أثناء طيرانه، تنين انطفأت أنفاسه النيرانية مؤقتا، وعذراء رشيقة تحول إكليل الزهور على رأسها إلى تاج من الثلج بفعل الشتاء.

سألت جان وهى تحدق فى المنزل من نافذة السيارة: "ما رأيك؟مليونان؟ مليونان ونصف المليون؟".

قال بارى فروست: "هذا المكان المجاور تماما لملعب الجولف؟ أعتقد أنه يساوى أكثر من أربعة ملايين".

"أربعة ملايين لهذا المنزل القديم والغريب؟".

"لا أعتقد أنه بذلك القدم".

"حسنا، أجهد أحد الأفراد نفسه ليجعل هذا المنزل يبدو قديما".

"هذا ما كنت سأقوله".

"صحيح، منزل الأقزام السبعة"، وقادت جان سيارتها إلى الطريق الخاصة وركنتها بجوار شاحنة وعندما خرجا منها، ووقفا على حصى رملية، لاحظت جان الإعلان البالى على جانب الشاحنة ونظرت عبر النافذة الخلفية فرأت مصعداً لكرسى متحرك.

ناداهما صوت عال: "أنتم، مرحبا! هل أنتم المحققون؟". وبدا من الواضح أن المرأة الواقفة بالردهة الأمامية سليمة الجسد.

سألتها جان: "السيدة فيلواى؟".

"من المؤكد أنك المحققة ريزولى".

"وهذا زميلى، المحقق فروست".

"انتبهى لتلك الحصى فهى زلقة، أحاول جعل طريق القيادة الموجود بالمنزل مفروشاً بالحصى، لكن فى الواقع لا يوجد بديل للحذاء الحساس"، لاحظت جان أثناء صعودها السلالم لتصافح إدوينا فيلواى أن كلمة حساس تنطبق على ملابسها، فقد كانت إدوينا ترتدى سترة واسعة وبنطالاً صوفياً وحذاءً مطاطياً طويل الساق: الزى الملائم لسيدة ريفية إنجليزية وذلك كان الدور الذى تقوم به جيدا بالطبع، وذلك واضح جدا من لهجتها وحذائها المصبوغ باللون الأخضر، ورغم أنها تبلغ من العمر ستين عاما، فقد وقفت منتصبة وثابتة كشجرة ووجها الجميل متورد فى البرد، وأكتافها عريضة كأكتاف رجل، وشعرها الرمادى المربوط للخلف بشريط على شكل صدفة السلحفاة يكشف وجهها بالكامل بعظمتى الوجنتين الظاهرتين وعينين زرقاوين بدون عدسات، فهى لا تحتاج

أدوات تجميل؛ فهى جميلة بدون استعمالها.

قالت إدوينا: "لقد وضعت الغلاية على النار" وأشارت إلى المنزل، مستطردة: "إذا رغبتما فى احتساء بعض الشاى" وأغلقت الباب، وخلعت حذاءها وأدخلت قدميها فى خف مقطوع، وسمعا صوت نباح الكلاب قادما من الأعلى، كلاب ضخمة وفقا لصوتها، فقالت إدوينا: "أوه، لقد حبستها فى حجرة النوم، فهذه الكلاب لا ترحب بالغرباء، ولأكون صريحة فهى مخيفة قليلا".

سألها فروست: "هل تريديننا أن نخلع أحذيتنا؟".

"بحق الله، انس الأمر، فالكلاب تسير على الرمال وتدخل وتخرج طوال اليوم، فلا يمكننى القلق على الأرضية، هنا، اسمح لى بحمل معطفك".

وبعدما خلعت جان سترتها لم تستطع منع نفسها من التحديق للأعلى تجاه السقف المقوس فوق رأسها، والعوارض الخشبية الموجودة بالسقف كانت مثل الدعامات الموجودة فى قصور العصور الوسطى، والزجاج الملون الذى لاحظته من خارج المنزل أصبح دائرة من الضوء الملون بألوان زاهية، فكل مكان نظرت إليه وعلى كل حائط، كان هناك أشياء غريبة؛ كوة فى الحائط عليها صورة لسانت مارى بأوراق الشجر المذهبة والزجاج متعدد الألوان، لوحة من روسيا مرصعة بالجواهر، تماثيل منحوتة لحيوانات ووشاح تبتى الصنع، وصف من المقاعد التى تعود للعصور الوسطى مصنوعة بخشب البلوط، وأمام أحد الحوائط كان هناك رمز دينى محلى أمريكى على عمود يسند السقف.

قال فروست: "أوه، لديك مكان مثير بالفعل، سيدتى".

"كان زوجى عالمًا أنثربولوجيًا، وكان يهوى جمع المقتنيات القديمة حتى لم تعد لدينا مساحة تكفى لأشياء أخرى" وأشارت إلى رأس النسر التى تحملق للأسفل خارجة من عمود

الرمز الدينى وقالت: "كان يفضل هذا الشيء، وهناك الكثير من هذه الأشياء فى المخزن، من المحتمل أنها تساوى ثروة لكننى أصبحت مرتبطة بكل قطعة ولا يمكننى تحمل التخلى عن أى منها".

"وزوجك -".

"ميت"، قالتها بدون تردد؛ مجرد حقيقة من حقائق الحياة، "كان أكبر منى بكثير، فأنا أرملة منذ سنوات لكننا قضينا معا خمسة عشر عاما سعيدين"، وعلقت معطفيهما، ولمحت جان الخزانة ورأت عكازاً من خشب الأبنوس يوجد فى قمته جمجمة بشرية، وفكرت قائلة لنفسها: *ما هذا التوحش؟! من المؤكد أننى رجعت فترات طويلة إلى الوراء.*

أغلقت إدوينا باب الخزانة ونظرت إليهما، قائلة: "أعتقد أيها المحققان أنكما فعلتما ما بوسعكما بذلك التحقيق، لذلك اعتقدنا أننا سنسهل بعض الأمور عليكما".

سألتها جان: "تسهلونها؟".

جعل الصوت الحاد لغلاية الشاى إدوينا تنظر ناحية البهو قائلة: "فلنذهب ونجلس بالمطبخ" وقادتهما عبر الردهة وخفها المقطوع يحدث صوتا على الأرضية المصنوعة من خشب البلوط وقالت: "لقد أخبرنا أنتونى أن لديكم الكثير من الأسئلة لذلك فقد وضعنا خريطة زمنية من أجلكم بها كل شيء نتذكره من الليلة الماضية".

"هل تناقش السيد سانسون معك بهذا الأمر؟".

"اتصل بى أمس، ليخبرنى بكل ما حدث بعدما غادرت".

"يؤسفنى أنه فعل ذلك، كان من الأفضل لو لم تتحدثى معه فى هذا الموضوع".

توقفت إدوينا فى الردهة، قائلة: "لماذا؟ لنكون مثل العميان؟ إذا كنا نريد إفادة الشرطة فنحن فى حاجة للتأكد من حقائقنا".

"سأستمع إلى أقوال مستقلة من شهودنا".

"كل عضو من مجموعتنا مستقل بالفعل، صدقينى، فكل فرد منا يدافع عن آرائه، وأنتونى لا يريد غير ذلك وذلك سبب عملنا معا بشكل جيد".

توقف صوت غلاية الشاى فجأة ونظرت إدوينا تجاه المطبخ وقالت: "ياه، أعتقد أنه من فعل ذلك".

هو؟ من الذى معها بالمنزل؟

عدت إدوينا إلى المطبخ وقالت: "هنا، دعنى أفعل ذلك".

"لا بأس، وينى، فقد ملأت الإبريق للتو، أردت شاى إفطار أيرلندى، أليس كذلك؟".

كان الرجل يجلس على كرسى متحرك وظهره للزوار، فهنا كان يجلس صاحب الشاحنة، ولف مقعده ليحييهم، ورأت جان شعراً بنياً خفيفاً ونظارة سميكة الإطارات، والعينين الرماديتين اللتين قابلتا نظراتها كانت مركزة وفضولية، وكان يبدو أصغر من أن يكون ابن إدوينا - فهو لا يزيد على منتصف العشرينات، لكنه بدا أمريكيا، ولم يكن هناك أى شبه عائلى بين إدوينا قوية الصحة وهذا الفتى الهزيل.

قالت إدوينا: "دعونى أقدمكم، هذان هما المحققان فروست وريزولى، وهذا هو أوليفر ستارك".

نظرت جان إلى الشاب، قائلة: "أنت كنت أحد المدعوين لحفل العشاء الليلة الماضية بمنزل سانسون".

"نعم". وتوقف أوليفر ليقرأ وجهها ثم أكمل قائلاً: "هل فى ذلك مشكلة؟".

"كنا نتمنى أن نتحدث إليكم بشكل منفصل".

قالت إدوينا: "لقد استاءوا لأننا ناقشنا الأمر فيما بيننا".

"ألم أتنبأ أنهم سيقولون ذلك يا وينى؟".

"لكن الأمر سيكون أكثر فاعلية عند بحثنا فى التفاصيل معا، فذلك يوفر وقت الجميع". سارت إدوينا إلى منضدة

المطبخ وجمعت كمية كبيرة من الجرائد، من جريدة بانكوك بوست إلى جريدة آيرش تايمز، ووضعتها على منضدة رخامية وسحبت كرسيين وقالت: "فليأت الجميع إلى هنا، وأنا سأصعد للأعلى وأحضر الملف".

تساءلت جان: "ملف؟".

"بالطبع فنحن لدينا ملف بالفعل، ورأى أنتونى أننا سنحتاج إلى نسخ". سارت إلى خارج المطبخ وسمعوا صوت أقدامها على السلالم.

قال أوليفر: "مثل شجر الخشب الأحمر الكبير، أليست كذلك؟ لم أكن أعلم من قبل أنهم يربون تلك الأشجار حتى تصل إلى هذا الحجم فى إنجلترا". وسار بمقعده إلى منضدة المطبخ ولوح لهم ليشاركوه وقال: "أعلم أن ذلك ضد كل ما تؤمنون به أيها الشرطيون: عملية الاستجواب المستقل للشهود وكل تلك الأمور، لكن ذلك الأمر أكثر فاعلية بالإضافة إلى ذلك فقد كان هناك اجتماع عبر الهاتف مع جوتفرايد هذا الصباح، وبذلك تكونون قد حصلتم على أقوال ثلاثة شهود فى وقت واحد".

سألت جان: "أهذا جوتفرايد بوم؟ الضيف الرابع على العشاء؟".

"نعم، كان عليه اللحاق بطائرة العودة إلى بروكسل الليلة الماضية، وذلك سبب تركه هو وإدوينا للعشاء مبكرا، وقد اتصلنا به منذ ساعات قليلة لنقارن ملاحظاتنا، فكل مذكراتنا تتشابه إلى حد كبير". وابتسم إلى جان ابتسامة شاحبة وأكمل كلامه: "قد تكون تلك إحدى المرات الوحيدة فى التاريخ التى نكون فيها متفقين على شىء ما".

تنهدت جان وقالت: "أتعلم يا مستر ستارك -"

"لا ينادوننى بهذا الاسم وإنما ينادوننى باسم (أولى)".

جلست جان بحيث يكون (أولى) فى مستوى عينيها، وقابل

نظرتها بنظرة استمتاع لطيف وقد ضايقها ذلك، فقد كانت نظرته تقول: *أنا ذكى وأنت تعرفين ذلك، وبالتأكيد أكثر ذكاء من بعض سيدات الشرطة*، وأقلقها أيضا أنه ربما يكون محقا؛ وبدا مثل الفتى النابغة التقليدى الذى تخشى الجلوس بجانبه فى حصة الرياضيات، الفتى الذى سلم ورقة امتحان الجبر بينما باقي الأفراد كانوا يجدون صعوبة فى حل السؤال الأول.

قال أوليفر: "لسنا نحاول أن نفقدكم تقاليدكم المعتادة، نريد فقط أن نفيدكم، ويمكننا ذلك إذا عملنا معا".

كانت الكلاب تنبح بالأعلى، وكانت مخالبها تخبط على السقف عندما حبستها إدوينا وأغلقت الباب بصوت مكتوم.

قالت جان: "يمكنك مساعدتنا فقط بالإجابة عن أسئلتنا".

"أعتقد أنك أسأت الفهم".

"ما الذى أسأت فهمه؟".

"مدى فائدتنا الممكنة لكم، مجموعتنا".

"حسناً، فقد أخبرنى السيد سانسون عن ناديكم الصغير لمكافحة الجريمة".

"إنه مجتمع وليس ناديا".

سأله فروست: "وما الفرق؟".

نظر إلية أوليفر، قائلاً: "الجاذبية، أيها المحقق، فنحن لسنا هواة ولدينا أعضاء فى جميع أنحاء العالم".

سألته جان: "هل أنتم محترفو تنفيذ قوانين، (أولى)؟".

"فى الواقع أنا عالم رياضيات، لكن اهتمامى الحقيقى هو علم الرموز".

"عذراً؟".

"أنا أفسر الرموز، أصولها ومعانيها الظاهرة والخفية".

"نعم، والسيدة فيلواى؟".

"إنها من علماء الأنثربولوجى وقد التحقت بنا منذ فترة قريبة جداً، وقد أتت إلينا بتوصية من فرعنا فى لندن".

"والسيد سانسون؟ فهو بالتأكيد ليس من منفذى القانون".

"قد يكون أحدهم".

"لقد أخبرنا أنه عالم متقاعد، بروفيسور فى التاريخ بجامعة بوسطن، وأعتقد أن ذلك أبعد ما يكون عن عمل رجال الشرطة".

ضحك أوليفر، قائلاً: "يمكن لـ أنتونى أن يلعب أى دور، فتلك شخصيته بكل بساطة".

عادت إدوينا ثانية إلى المطبخ وهى تحمل ملفاً، وقالت: "عمن تتحدثون بالضبط، (أولى)؟".

"إننا نتحدث عن أنتونى فالشرطة تعتقد أنه مجرد أستاذ جامعى متقاعد".

جلست إدوينا قائلة: "وتلك الطريقة التى يفضلها، فلن يفيده الإعلان عن نفسه".

سألها فروست: "ما الذى يفترض أن نعرفه عنه، بأية حال؟".

قالت إدوينا: "حسنا، أنت تعرف أنه غنى جدا".

"ذلك شيء واضح جدا".

"أنا أقصد أنه غنى بحق، فذلك المنزل الموجود فى بيكون هيل لا يساوى شيئا بالمقارنة بممتلكاته فى فلورنس".

قال أوليفر: "أو منزله فى لندن".

قالت جان: "وهل يفترض أن يؤثر ذلك فينا؟".

استجابت إدوينا بنظرة باردة ثم قالت: "النقود وحدها هى التى تجعل الرجل مؤثراً، وكذلك ما يفعله بها". ووضعت الملف على المنضدة أمام جان، قائلة: "هذا من أجلك أيتها المحققة".

فتحت جان الملف لتطلع على الصفحة الأولى التى كانت تحتوى على تقسيم زمنى مطبوع جيدا لأحداث الليلة الماضية كما سردها ثلاثة من المدعوين على العشاء، إدوينا وأوليفر وجوتفرايد بوم الغامض.

( كل الأوقات متقاربة)

*٦:٠٠ وصل كل من إدوينا و جوتفرايد.*

*٦:١٥ وصل أوليفر ستارك.*

*٦:٢٠ وصلت جويس أودونيل.*

*٦:٤٠ قدم جيرمى الطبق الأول من الطعام ...*

وكانت قائمة الطعام مذكورة بالكامل، وصل الحساء ثم تبعه السلمون وسلطة الخس، لحم بقرى مع قطع من شرائح البطاطس، بالإضافة إلى قطع الجبن الفرنسية، وفى النهاية تم تقديم شطيرة الشوكولاته بالقشدة مع القهوة.

وعند الساعة التاسعة والنصف رحل كل من إدوينا وجوتفرايد معا إلى مطار لوجان، حيث أوصلت إدوينا جوتفرايد إلى طائرته المتجهة إلى بروكسل.

وفى التاسعة وخمس وأربعين دقيقة غادر أوليفر بيكون هيل وقاد سيارته متجهاً إلى المنزل مباشرة.

قالت إدوينا: "هذا كل ما نتذكره، وقد حاولنا توخى الدقة قدر الإمكان".

فكرت جان فى الحساء متفحصة التقسيم الزمنى، ولم يكن هنا شىء مفيد؛ فقد كرر الملف نفس المعلومات التى قدمها سانسون وخادمه، لكن مع إضافة تفاصيل الطعام، أما الصورة العامة فلم تتغير: ليلة من ليالى الشتاء، وصل فيها أربعة مدعوين إلى بيكون هيل فى خلال عشرين دقيقة، وتناولوا ومضيفهم عشاءً مميزاً واحتسوا الشراب أثناء مناقشتهم جرائم اليوم، وهم لا يدركون أن سيدة يتم قتلها بالخارج فى الحديقة ذات الجو البارد الواقعة خلف المبنى.

*ناد لمكافحة الجريمة، هؤلاء الهواة أقل من أن يقال عنهم إنهم عديمو الجدوى.*

الصفحة التالية فى الملف كانت عبارة عن ورقة فيها حرف واحد مكتوب فى أول الصفحة: حرف M مكتوب بالخط القوطى، وتحته الملاحظة المكتوبة بخط اليد: "أوليفر، تحليلك؟ A. S." أنتونى سانسون؟ وقلبت جان الصفحة ونظرت إلى الصورة الفوتوغرافية التى تعرفت عليها بسرعة: الرموز التى كتبت على باب حديقة سانسون الخلفية.

قالت جان: "هذه الصورة من مسرح الجريمة بالليلة الماضية، كيف حصلتم عليها؟".

"لقد أرسلها أنتونى إلينا هذا الصباح، وهى إحدى الصور التى التقطها بالأمس".

قالت جان: "غير مصرح بتوزيع هذا على العامة، فهذا دليل".

قال أوليفر: "دليل شيق جدا، أنت تعرفين معنى ذلك، أليس كذلك؟ معنى هذه الرموز".

"إنها رموز شيطانية".

"ياه، إنها الإجابة التلقائية، فأنت ترين رموزاً سحرية غريبة فى مسرح جريمة وتفترضين فقط أنها عمل بعض عبدة الشيطان الأنذال".

قال فروست: "أتعتقد أن هذا شىء آخر؟".

"أنا لا أقول إن هذا لا يمكن أن يكون من قبيل عبادة الشيطان، فعبدة الشيطان يستعملون الصليب المقلوب كرمز مضاد للمسيحية، وجريمة القتل التى حدثت فى عشية عيد الميلاد، التى حدث فيها قطع الرأس، كانت هناك دائرة مرسومة على الأرضية حول رأس الضحية والشموع المشتعلة، فكل ذلك يثير فى الذهن فكرة الطقوس الشيطانية".

"كيف عرفت كل هذا؟".

نظر أوليفر إلى إدوينا قائلاً: "يعتقدون حقا أننا لا نملك أدلة، أليس كذلك؟".

قالت إدوينا: "لا يهم من أين عرفنا الأدلة، لكن الحقيقة هى أننا نعرف عن القضية بالفعل".

تساءل فروست وهو يشير إلى الرسم قائلا: "إذن، فما رأيك فى ذلك الرمز؟ الرمز الذى يشبه العين؟ هل هو شيطانى أيضا؟".

قال أوليفر: "هذا يتوقف على عدة أشياء، أولاً، فلنفكر فيما رأيته فى مسرح جريمة عشية عيد رأس السنة، كانت هناك دائرة من الطباشير الأحمر؛ حيث وضع القاتل رأس الضحية، وكانت هناك خمس شموع مشتعلة بمحيط الدائرة".

"ماذا يعنى ذلك؟".

"حسنا، الدوائر ذاتها رموز بدائية جدا وعالمية فى نفس الوقت، وقد تعنى معانى كثيرة، الشمس، القمر، الحماية، الخلود، إعادة الميلاد، دورة الحياة، وأيضا يستعملها عبدة الشيطان ليعبروا عن العضو التناسلى الأنثوى، ونحن لا نعلم تحديداً ما الذى يعنيه ذلك للفرد الذى رسم الدائرة فى تلك الليلة".

قال فروست: "لكن قد يكون لها معنى شيطانى جدا".

"بالطبع، والشموع الخمسة قد تمثل النجمة الشيطانية، والآن فلننظر إلى الأشياء المرسومة أمس على باب حديقة أنتونى"، وأشار إلى الصورة قائلاً: "ما الذى ترونه؟".

"عين".

"أخبرونى أكثر عن هذه العين".

"إنها تبدو مثل دمعة عين وأحد أهداب العين تحتها".

أخذ أوليفر قلما من جيب قميصه وقلب الورقة على جانبها الفارغ وقال: "دعونى أرسمها بحيث تكون أكثر وضوحا، حيث سترون بالتحديد ما هى العناصر المختلفة الموجودة فى هذا الرمز"، وعلى الورقة رسم الرسم التالى:



قال فروست: "ما زالت تبدو كعين".

"نعم، لكن كل هذه السمات – الهدب والدمعة – تجعل من العين عيناً خاصة جدا، وهذا الرمز يسمى (يودات)، وسيخبرك خبراء عبادة الشيطان أن تلك العين ترمز إلى عين الشيطان التى ترى كل شىء، والدمعة لأنه يتألم بسبب الأرواح الخارجة عن سيطرته، وبعض المؤمنين بنظرية المؤامرة يدعون أنها نفس العين المرسومة على عملة الولايات المتحدة".

"أتعنى العين الموجودة على قمة الهرم؟".

"صحيح، وذلك دليلهم أن اقتصاد العالم يديره عبدة الشيطان".

قالت جان: "إذن، فقد عدنا إلى الرموز الشيطانية".

"ذلك أحد التفسيرات".

"هل هناك تفسيرات أخرى؟".

"هذا الرمز أيضا يستعمله الماسونيون القدماء، وهو ينطوى على معنى جيد فهو يمثل التنوير والاستنارة لديهم".

قالت إدوينا: "طلب المعرفة، وذلك يتعلق بتعلم أسرار حرفتهم".

قالت جان: "أتقصد أن الماسونيين هم من ارتكبوا جريمة القتل؟".

قال أوليفر: "لا! ليس هذا كل ما أقصده، فقد كان الماسونيون المثيرون للشفقة هدفا للكثير من الاتهامات الماكرة، ولن أكررها، أنا فقط أعطيك درسا سريعا فى التاريخ،

فمجالى، كما تعرفين، هو تفسير الرموز، وأنا أحاول أن أشرح أن هذا الرمز، (يودات)، رمز قديم جدا، وقد تم استعماله عبر التاريخ لأغراض متعددة، فعند بعض الأشخاص معناها مقدس، وبالنسبة لآخرين معناها مرعب، رمز الشر، لكن معناها الأصلى فى العصر الفرعونى بمصر كان أقل تهديدا وأكثر عملية".

"ما الذى كانت تعنيه إذن؟".

"إنها تمثل عين حورس، إله الشمس عند قدماء المصريين، وحورس عادة ما يكون مرسوما أو منحوتاً كرأس صقر على جسد إنسان، وكان يجسده الفرعون على الأرض".

تنهدت جان وقالت: "قد تكون رمزاً شيطانياً أو رمزاً للتنوير، أو عين حورس".

"ما زال هناك احتمال آخر".

"كنت أعلم أنك ستقول ذلك".

أمسك أوليفر القلم ثانية ورسم شكلاً مختلفاً للعين، وقال: "هذا الرمز، تم استعماله فى مصر حوالى عام ١٢٠٠ ق.م، فى المخطوطات الكهنوتية".

سأله فروست: "هل يمثل عين حورس أيضاً؟".

"نعم، لكن لاحظ كيف تتكون هذه العين من أجزاء منفصلة، والقزحية تمثلها هذه الدائرة الموجودة بين شطرى العين، وبعد ذلك نجد دمعة العين والهدب المقوس كما تسمونه، فهى تبدو كإصدار حديث لـ (يودات)، لكن لها استعمال عملى جدا كرمز رياضى، فكل جزء من العين يمثل كسراً معيناً".



وكتب أرقاما على الورقة قال:

"هذه الكسور تظهر بقسمة أعداد متتالية على نصفها، والعين الكاملة تمثل الرقم واحد كاملاً، والنصف الأيسر للعين يمثل كسر النصف، والهدب يمثل واحداً على اثنين وثلاثين.

سألته جان: "هل نحن نتحدث عن شيء ذي مغزى هنا؟".

"بالطبع".

"وما هو؟".

"قد تكون هناك رسالة محددة في هذه العين، ففي مسرح الجريمة الأولى تم وضع الرأس المقطوعة بدائرة، وفي الجريمة الثانية كان هناك رمز (يودات) على الباب، ماذا لو تم ربط الرمزين؟ ماذا يحدث لو كان أحد الرموز هو المفسر للآخر؟".

"أتقصد دليلاً رياضياً؟".

"نعم، والدائرة في الجريمة الأولى تم تقديمها كعنصر من يودات".

نظرت جان بتركيز إلى رسوم أوليفر، وإلى الأرقام التي دونها في الأجزاء المختلفة للعين التي ترى كل شيء، ثم قالت: "أنت تعني أن الدائرة الموجودة في الجريمة الأولى قد تكون القزحية".

"نعم، والقزحية لها قيمة".

"أتقصد أنها تمثل رقما؟ كسراً".

نظرت إلى أوليفر ورأت أنه منحن تجاهها وقد احمرت وجنتاه من فرط الإثارة.

وقال: "بالضبط، والكسر سيكون؟".

قالت " الربع".

"صحيح". وابتسم مضيفاً: "صحيح".

سأل فروست: "ربع ماذا؟".

"هذا ما لا نعرفه بعد، قد تعنى ربع القمر أو أحد الفصول الأربعة".

قالت إدوينا: "أو قد يعنى ذلك أنه قد أنهى ربع مهمته".

قال أوليفر: "نعم، ربما يخبرنا أنه مازالت هناك عمليات قتل أخرى وأنه يخطط لأربع جرائم".

ونظرت جان إلى فروست قائلة: "كانت هناك مقاعد لأربعة أشخاص على مائدة طعام لورى آن".

وفى التوقف الذى تبع عبارة جان بدا رنين هاتف جان الخلوى عاليا بشكل مروع، وتعرفت على رقم معمل فريق مسح مسرح الجريمة فأجابت بشكل فورى.

"ريزولى".

"مرحبا أيتها المحققة، معك إيرن من فريق تقصى الأدلة، أتعرفين تلك الدائرة الحمراء التى كانت مرسومة على أرضية المطبخ؟".

"نعم، ونحن نتحدث عنها الآن".

"لقد قارنت هذه المادة بمادة الرموز الموجودة بمسرح جريمة بيكون هيل المرسوم على الحائط، ووجدنا أن المادتين متشابهتان".

"حسناً، المادة ليست طباشير حمراء، وهذا سبب مكالمتى".

"ما هى إذن؟".

"أنها شىء أكثر إثارة بكثير".

# السادس عشر

يقع معمل الفحص الجنائى فى الجناح الجنوبى لقسم شرطة بوسطن بعد الردهة التى تقع فيها مكاتب وحدات جرائم القتل مباشرة، وأثناء سير جان وفروست أمام النوافذ فى طريقهما للمعمل مرا بنوافذ تطل على مبانى روكسبورى القديمة والمتهدمة، واليوم، تحت عباءة من الثلج كانت كل الأشياء والمبانى بالخارج نقية وبيضاء؛ حتى السماء كانت صافية والهواء منعشاً، لكن لم تنظر جان إلى منظر الأفق المبهر إلا نظرة خاطفة؛ فقد كان كل تركيزها على الحجرة S269، معمل تقصى الأدلة.

وكانت إرين فولشكو خبيرة علم الجريمة فى انتظارهما، وفور دخول جان وفروست إلى الغرفة، تركت المجهر الذى كانت تعمل عليه وسحبت ملفًا موضوعًا على الطاولة، قائلة: "أنتما الاثنين تدينان لى بكوب قهوة بعد كل العمل الذى بذلته فى هذا الملف".

قال فروست: "أنت تقولين هذا دائما".

"هذه المرة أعنى ما أقوله، فمن بين كل الأدلة التى أتت من مسرح الجريمة الأول اعتقدت أن هذا سيكون أقل دليل يسبب المشاكل والتعب، ولكن بدلا عن ذلك، كان علىَّ أن أبحث فى مسرح الجريمة بأكمله لأجد المادة التى رُسمت بها الدائرة".

قالت جان: "وهى ليست مجرد طباشير قديمة".

"كلا"، وأعطتها إرين الملف قائلة: "ألقى نظرة".

فتحت جان الملف، وفى أعلاه كانت هناك ورقة بها سلسلة من الصور الفوتوغرافية ذات خلفية ملطخة ببقع من مادة حمراء.

قالت إرين: "لقد بدأت باستعمال مجهر ضوئى ذى قدرة تكبيرية عالية تتراوح ما بين ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ بكسل، وهذه البقع التى ترينها هناك هى جزيئات المادة، التى جمعتها من الدائرة المرسومة على أرضية المطبخ".

"إذن، ماذا يعنى هذا؟".

"أشياء قليلة، يمكنك رؤية أن هناك درجات مختلفة للون، فالجزيئات ليست متطابقة، ومؤشر الانشطار يتنوع أيضا، من ٢,٥ إلى ٣,٠١، والعديد من هذه الجزيئات مختلفة".

"بمعنى؟".

"هذة الجزيئات عبارة عن جزيئات أكسيد الحديد الخالية من الماء، وهى مادة موجودة فى جميع أنحاء العالم، وذلك ما يعطى الجلد البشرى لونه المميز ويستعملها الرسامون لتنتج اللون الأحمر والأصفر والبنى".

"لا يبدو من كلامك أى شيء محدد".

"وهذا ما اعتقدته حتى بحثت بشكل أعمق فى هذه المادة، وافترضت أنها من قطعة طباشير أو شمع ملون فقمت بمقارنتها بعينات من الطباشير والشمع الذى حصلنا عليه من المتاجر التى تبيع المواد المساعدة للرسامين".

"وهل وجدت أى توافق؟".

"كلا، فالفرق كان واضحا تماما تحت المجهر، ففى البداية ظهر اختلاف كبير بين الحبيبات الحمراء الموجودة فى الطباشير والشمع الملون من حيث درجة اللون والعلامات الانكسارية، وذلك بسبب أن أغلب أكسيد الحديد اللامائى المستعمل فى الصباغة صناعى، وليس مستخرجًا من باطن

الأرض، وعادة ما يستعملون مادة تسمى المريخ الأحمر، وهى خليط من الحديد وأكسيدات الألمونيوم".

"إذن، فالحبيبات الملونة الموجودة هنا، فى هذه الصورة، ليست صناعية؟".

"كلا، فهذا أكسيد حديد لامائى يتكون بشكل طبيعى ويسميه العلماء الهيماتيت وهو مشتق من الكلمة اللاتينية التى تعنى الدماء، لأنه دائما ما يكون أحمر اللون".

"وهل يستعملون المكونات الطبيعية فى التجهيزات الفنية؟".

"لقد وجدنا بعض متاجر الطباشير والشمع الملون المميزة التى تستعمل الهيماتيت كصبغة، لكن الطباشير تحتوى على كربونات الكالسيوم، وأقلام الطباشير والشمع الصناعية عادة ما تستعمل صمغاً طبيعياً لجعل الصبغة متماسكة، نوعًا من النشا مثل الميثيل سليولوز أو الصمغ الآسيوى، وتخلط كل هذه الأشياء معا فى عبوات ويتم تفريغها فى قوالب لعمل الأقلام، ولم نجد أية أدلة للصمغ الآسيوى أو أى نشا فى عينات مسرح الجريمة، كما لم نجد أيضا أية كربونات كالسيوم لنحدد ما إذا كانت هذه المادة آتية من الطباشير الملونة".

"إذن فأنت تتعاملين مع شىء ستجدينه فى متجر معدات الرسامين".

"ليس تحديداً".

"إذن فمن أين أتت هذه المواد الحمراء؟".

"حسناً، لنتحدث عن هذه المادة الحمراء أولا، ما هى بالتحديد؟".

"لقد قلت إنها هيماتيت".

"صحيح، أكسيد الحديد اللامائى، لكن عندما نجدها فى التربة يكون لها اسم آخر: المغرة".

قال فروست: "أليس هذا مثل ما كان يستعمله الهنود الحمر فى دهان وجوههم؟".

"إن البشر يستعملون المغرة منذ حوالى ثلاثة آلاف عام ويتم العثور عليها فى مقابر إنسان الكهوف، والمغرة الحمراء بالتحديد يبدو أن لها قيمتها العالمية فى طقوس الموت القديمة، ربما لشبهها بالدم، وتوجد فى رسومات كهوف العصر الحجرى الموجودة فى بوبمى، وقد استعملها القدماء ليلونوا بها أجسادهم للزينة أو الحرب، وتم استعمالها أيضا فى الشعائر السحرية".

"بما فى ذلك الطقوس الشيطانية؟".

"هذا لون الدم، فمهما كان دينك فلهذا اللون قوة رمزية"، سكتت إرين لحظة ثم أردفت: "هذا القاتل يختار اختيارات غير معتادة".

قالت جان: "أعتقد أننا نعرف ذلك بالفعل".

"ما أقصدة هو أن القاتل على معرفة وثيقة بالتاريخ، فهو لم يستعمل الطباشير المعتادة لرسوماته الشعائرية، فهو يستعمل نفس الصبغة البدائية التى كانت تستعمل فى العصر الحجرى (فترة من العصر الحجرى التى تم فيها إنتاج أدوات تساعد البشر فى أعمالهم) ولم يقم باستخراجها من فنائه الخلفى منذ فترة وجيزة".

قال فروست: "لكنك قلت إن المغرة الحمراء توجد فى التربة العادية لذلك فربما قام باستخراجها منها".

"ليس إذا كان فناؤه الخلفى فى أى مكان حولنا". وأشارت إرين إلى الملف الذى كانت تمسكه جان، وقالت: "افحصوا التحليل الكيميائى لما وجدناه فى تحليل الغازات وطيف رامان".

وقلبت جان الصفحة التالية ورأت ورقة مطبوعة بالكمبيوتر، صورة بيانية بها بيانات مضاعفة، وقالت: "أتريدين أن تفسرى هذا؟".

"بالتأكيد. أولا، طيف رامان".

"لم نسمع به مطلقا".

"هو من أساليب علماء الآثار ويستعملونه لتحليل المصنوعات البشرية، ويستعمل الطيف الضوئي للمادة ليحدد صفاتها، وأهم ميزة لطيف رامان أنه لا يدمر الأشياء التي يحللها، فيمكنك تحليل الصبغة الموجودة في أي شيء، بدءاً من المومياء وصولاً إلى ضريح تورين دون أن تدمري الأثر، وقد سألت د. إيان ماك أفوى - الأستاذ بجامعة هارفارد، قسم الآثار - ليحلل نتائج طيف رامان وأكد أن العينة تشتمل على أكسديات الحديد بالاضافة إلى التربة والسيليكا".

"أهذه هي المغرة الحمراء؟".

"نعم، المغرة الحمراء".

"لكنك تعرفين ذلك بالفعل".

"لكن كان من الجيد أن يؤكده لي، وبعد ذلك عرض على د. ماك أفوى مساعدته للوصول إلى مصدر المغرة، ومعرفة من أي مكان في العالم أتت هذه المغرة الحمراء".

"يمكنك فعل ذلك حقا؟".

"مازالت هذه التقنية في مرحلة البحث، وقد لا يعتد بها في المحكمة كدليل، لكنه كان حريصا على مقارنة مادتنا بمكتبة المغرة لديه التي جمعها من جميع أنحاء العالم، وتحديد مقدار التركيز لأحد عشر عنصرًا آخر في العينات، مثل الماغنسيوم والتيتانيوم والثوريوم، وتنص النظرية على أن أي مصدر جغرافي معين سيكون لديه خصائص مميزة تدل على مكانه، فهذا مثل فحص عينات التربة الموجودة في إطارات إحدى السيارات ومعرفة أن بها خصائص الخارصين من ضاحية التعدين بولاية ميسوري. وفي هذه الحالة، مع المغرة، نقوم بفحص العينة على أحد عشر متغيرًا مختلفًا".

"هذه دلائل كيميائية أخرى".

"صحيح، وقد وضع علماء الآثار مكتبة بمصادر المغرة".

"لماذا؟".

"لأنها تساعد على تحديد أصل أى مادة مصنوعة، فعلى سبيل المثال من أين أتت الصبغة فى ضريح تورين؟ أمن فرنسا أم فلسطين؟ فالإجابة قد تحدد أصل الضريح، أو فى حالة رسوم كهف قديم - من أين حصل الفنان على المغرة؟ فإذا كانت المغرة آتية من على بعد آلاف الأميال فهذا يشير إلى أنه قد سافر كل هذه المسافة أو أنه قام بنوع من التجارة البدائية، وذلك ما يجعل مكتبة مصادر المغرة قيّمة جداً، فهى تعطينا نافذة على حياة القدماء".

سألها فروست: "ما الذى نعرفة عن عينة الصبغة الخاصة بنا؟".

"حسنا"، ابتسمت إرين، قائلة: "أولاً، بها نسبة كبيرة من ثانى أكسيد المنجنيز - ١٥ ٪، مما يعطى الصبغة لوناً أعمق، وهى نفس النسبة التى وجدت فى المغرة الحمراء المستعملة فى العصور الوسطى بإيطاليا".

"هل هو إيطالى؟".

"كلا، فقد استورده أهل فينيسيا من مكان آخر، وعندما قارن د. ماك أفوى ملف المكونات بالكامل، وجد أن الصبغة توافقت مع موقع لا يزال ينتج المغرة الحمراء حتى اليوم، جزيرة قبرص".

قالت جان: "أحتاج لخريطة العالم".

وأشارت إرين إلى الملف، قائلة: "يحدث كثيرا أن أحصل على واحدة عبر الإنترنت".

وقلبت جان الصفحة المحددة، قائلة: "جيد، فهمت. جزيرة قبرص فى البحر المتوسط جنوب تركيا مباشرة".

قال فروست: "يبدو لى أنه كان من الأسهل استخدام الطباشير الحمراء".

"وأرخص بكثير، فقد اختار قاتلكم صبغة غير معتادة، من مصدر غامض ربما يكون مرتبطا بقبرص".

قال فروست: " أو أنه يتلاعب بنا، برسم رموز غريبة واستعمال صبغة غريبة، يبدو كأنه يريد التلاعب بعقولنا".

كانت جان ما زالت تدرس الخريطة، وفكرت فى الرمز المرسوم على باب حديقة أنتونى سانسون، (يودات)، العين التى ترى كل شىء، ونظرت إلى فروست قائلة: "مصر تقع جنوب قبرص مباشرة".

"أتفكرين فى عين حورس؟".

سألت إرين: "ما هى عين حورس؟".

قالت جان: "ذلك الرمز المرسوم فى مسرح جريمة بيكون هيل، فحورس هو إله الشمس عند المصريين القدماء".

"هل هذا رمز شيطانى؟".

قال فروست: "لا نعلم ما الذى يعنيه هذا للقاتل، فلكل فرد نظرياتة، وهو يعبد الشيطان ودارس جيد للتاريخ، أو قد يكون الأمر مجرد جنون قديم الطراز".

أومأت إرين، قائلة: "مثل فيلم ابن سام، فأنا أتذكر أن الشرطة أضاعت الكثير من الوقت فى معرفة من هو سام الغامض، وفى النهاية كان ذلك هلوسة القاتل، كلب يتحدث".

أغلقت جان الملف معلقة: "أتعرفين، أتمنى أن يكون قاتلنا مجنوناً أيضا".

سألت إرين: "لماذا؟".

"لأن البديل يخيفنى جدا، وهو أن يكون القاتل عاقلا".

جلس كل من جان وفروست فى السيارة حتى يسخن المحرك وأذاب جهاز إذابة الصقيع الضباب من على الزجاج، لو كان من السهل إزالة الضباب عن القاتل بنفس السهولة؛ فلا يمكن

لـ جان تشكيل صورة له، ولا يمكنها أن تبدأ فى تخيل شكله: صوفى؟ فنان؟ مؤرخ؟ *كل ما أعرفه أنه جزار.*

تحرك فروست بالسيارة، وسارا فى حركة المرور الذى كان يتحرك أبطأ من المعتاد فى الطرق المغطاة بالثلج، وتحت السماء الصافية، كانت درجة الحرارة تنخفض، والليلة ستكون أقل درجات الحرارة هذا الشتاء، فتلك كانت ليلة البقاء فى المنزل وتناول طعام شهى ساخن، ليلة تمنت أن يظل فيها الشر بعيدا عن الشوارع.

قاد فروست السيارة شرقا تجاه كولومبس أفينيو، وبعد ذلك توجه إلى بيكون هيل، وهناك قررا إلقاء نظرة ثانية على مسرح الجريمة، وفى النهاية ساد الدفء السيارة، وترددت جان عن النزول منها مرة ثانية إلى هذه الرياح فى فناء سانسون الخلفى الذى مازالت به بقع الدماء المتجمدة.

ولاحظت شيئا عند اقترابهما من ماساتشوسيتس أفينيو وقالت فجأة: "أيمكنك الاتجاة لليمين؟".

"ألسنا ذاهبين إلى منزل سانسون؟".

"تحول لليمين فقط".

"إذا أردت ذلك"، وتحول لليمين.

"استمر فى طريقك، تجاة شارع ألبانى".

"أنحن ذاهبون إلى M. E. `s؟".

"كلا".

"إذن، فإلى أين نحن متوجهان الآن؟".

"هنا تقريبا، بعد قليل من الوحدات السكنية"، ونظرت للعناوين الموجودة على الجدران وقالت: "توقف،هنا" ونظرت عبر الشارع.

ضغط فروست على المكابح ونظر إليها قائلاً: "كينكو؟".

"أبى يعمل هنا". ونظرت إلى ساعتها، مستطردة: "ونحن الآن فى الظهيرة تقريبا".

"ما الذى نفعلة؟".

"سننتظر".

"أوه، ريزولى، هل للأمر علاقة بوالدتك؟".

"هذا الأمر ينغص على حياتى بأكملها الآن".

"هل تشاجر والداك؟ ذلك يحدث فى بيوت كثيرة".

"انتظر حتى تأتى أمك لتسكن معك، وسترى كيف ستحب زوجتك (أليس) ذلك".

"أنا متأكد أن الأمر سينتهى وستعود أمك إلى منزلها".

"ذلك إذا لم تكن هناك امراة أخرى". واعتدلت فى جلستها قائلة: "ها هو".

خرج فرانك ريزولى من الباب الأمامى لـ كينكو وأغلق سترته، ونظر للسماء وارتعش رعشة واضحة وأطلق زفيراً أصبح أبيض فى البرد".

قال فروست: "يبدو أنه فى استراحة الغداء، ما الغريب فى الأمر إذن؟".

قالت جان بهدوء: "هذا هو الغريب فى الأمر".

وخرجت امرأة من الباب أيضاً، شقراء كثيفة الشعر ترتدى سترة جلدية سوداء على بنطال جينز أزرق ضيق جدا، فابتسم فرانك ووضع ذراعه حول خصرها، وأخذا يسيران فى الشارع، مبتعدين عن جان وفروست، وذراع كل منهما حول الآخر.

قالت جان: "ما هذا العمل المشين؟ الأمر حقيقى".

"أتعرفين، أعتقد أن علينا التحرك".

"انظر إليهما، انظر إليهما".

وشغل فروست المحرك قائلاً: "يمكننى تناول الغداء، لكن ماذا عن -"

دفعت جان باب السيارة وخرجت منها.

"أوه، ريزولى! تعالى".

اندفعت ريزولى كالسهم عبر الشارع وتسللت على المشى الجانبى وراء والدها مباشرة، ثم هتفت قائلة: " هاى، هاى".

توقف فرانك وأنزل ذراعه من على خصر المرأة، واستدار لينظر وهو مغلق الفكين إلى ابنته وهى تقترب منهما، لم تترك الشقراء فرانك واستمرت فى التشبث به حتى وهو يقوم بمحاولات عديمة الفائدة ليخلص نفسه، وكان يبدو على المرأة أنها مثيرة للإعجاب بالفعل، لكن باقتراب جان منها رأت بعين المرأة تجاعيد عميقة لم تخفها مساحيق التجميل وشمت رائحة دخان السجائر، هل هذه هى الحمقاء التى اشتراها فرانك، سيدة جذابة غريبة المظهر ذات شعر كثيف؟ هذا الشيء الشبيه بالبشر بشعر ذهبى؟

قال فرانك: "جان، هذا ليس وقت -".

"ومتى يكون الوقت؟".

"سأتصل بك، اتفقنا؟ سنتحدث عن ذلك الأمر الليلة".

سألته الشقراء: "حبيبى فرانكى، ما الذى يحدث؟".

*لا تناديه فرانكى!* نظرت جان للمرأة وقالت: "ما اسمك؟".

نظرت المرأة وقالت: "من يريد أن يعرف؟".

"فقط أجيبى عن السؤال اللعين".

نظرت الشقراء إلى فرانك وقالت: "من هذه بحق الجحيم؟".

رفع فرانك يده إلى رأسه وتنهد كما لو كان يتألم وقال: "يا رجل".

قالت جان: "شرطة بوسطن" ورفعت بطاقة هويتها ودفعتها لتواجه وجه المرأة. "الآن أخبرينى باسمك".

لم تنظر الشقراء إلى البطاقة؛ فكل نظراتها كانت تجاه جان وهمهمت: "ساندى".

"ساندى ماذا؟".

"هوفينجتون".

قال والدها: "جان، هذا يكفى".

وأخرجت ساندى محفظتها لتريها رخصة القيادة، قائلة: "ما الخطأ الذى ارتكبناه؟" ونظرت إلى فرانك نظرة شك، مضيفة: "ما الذى فعلته؟".

قال: "كل هذا هراء".

قالت جان: "ومتى سينتهى كل هذا الهراء؟". ونظرت جان ثانية، مضيفة: "متى ستنضج؟".

"الأمر لا يخصك".

"إنها تجلس بشقتى الآن، ربما تبكى حتى تفقد البصر، كل ذلك لأنك لا تستطيع أن تكبح شهواتك".

قالت ساندى: "هى؟ عمن تتحدث؟".

"سبعة وثلاثون عاما من الزواج، وها أنت تدمرين كل ذلك هنا".

قال فرانك: "أنت لا تفهمين".

"أوه، أنا بطيئة الفهم".

"ليس لديك أية فكرة عن هذا الأمر، مجرد نحلة عاملة، هذا كل ما أنا عليه، مجرد ذكر نحل يضع الطعام على المنضدة، عمرى واحد وستون عاما وما الذى جنيته؟ ألا تعتقدين أننى أستحق بعض المرح، لمرة واحدة فى حياتى؟".

"أتعتقد أن أمى تشعر بالمرح الآن؟".

"تلك مشكلتها".

"ومشكلتى، أيضا".

"حسنا، أنا لست مسئولا عن ذلك".

قالت ساندى "أهذه ابنتك؟". ونظرت إلى جان، مستطردة: "لقد قلت إنك شرطية".

تنهد فرانك وقال: "إنها شرطية".

قالت جان موجهة كلامها إلى ساندى: "أتهتمين بذلك حتى؟".

قاطعتها ساندى: "وماذا عن قلبى؟".

تجاهلت جان ساندى وثبتت نظراتها على والدها، قائلة: "أنا لم أعد أعرفك يا أبى، لقد تعودت على احترامك، والآن انظر إلى نفسك! مثير للشفقة، مجرد مثير للشفقة، هذه الشقراء تغريك وأنت مثل رجل أحمق".

قال فرانك: "ذلك يكفى".

"أتعتقد أن هذه المرأة ستعتنى بك عندما تمرض؟ أتعتقد أنها ستقف إلى جانبك؟ بالله عليك، أهى تعرف كيف تطهو الطعام أصلا؟".

قالت ساندى: "كيف تقولين ذلك، أتستعملين شارتك لتخيفينى؟".

"سترجع أمى إليك يا أبى، أعلم ذلك، اذهب وتحدث إليها".

قالت ساندى: "هناك قانون يحظر ما فعلته، من المؤكد أن هناك قانون! إنه تحرش من قبل الشرطة!".

نظرت جان إليها ثانية، وقالت: "سأريك ما هو تحرش الشرطة، أنت تحثيننى على ذلك".

"ما الذى ستفعلينه، تلقين القبض علىَّ؟"، ومالت ساندى تجاهها وضيقت عينيها حتى أصبحت كخطين رفيعين، قائلة: "استمرى"، ودفعت المرأة صدر جان بعنف. "أنا أحذرك".

ما حدث بعد ذلك كان رد فعل منعكسًا، فلم تتوقف جان لتفكر بل تصرفت مباشرة، فسحبت يديها وأمسكت معصم ساندى ولوتة وراء ظهرها، وعبر الدماء المندفعة فى رأس جان، سمعت صرخات ساندى الماجنة، وسمعت والدها يصرخ: "توقفى! بحق الله، توقفى!".

لكنها كانت تعمل بالنظام التلقائى الآن، كل أعصابها تشتعل غضبا الآن على ساندى الراكعة على ركبتيها بالطريقة التى تتعامل بها مع أى مجرم، لكن هذه المرة كان الغضب يدفعها بقوة، مما جعلها تلوى معصمها بشدة أكثر من المطلوب، رغبة فى إيذاء هذه المرأة، وإذلالها.

"ريزولى! بحق الله، ريزولى، هذا يكفى!".

وأخيرًا اخترق صوت فروست حدود نبضها الذى تسمعه الآن، وفجأة أطلقت ساندى ورجعت للخلف، وهى تتنفس بصعوبة، ووقفت تحملق فى السيدة الراكعة وهى تتأوه على المشى الجانبى، وجلس فرانك على ركبتيه بجوار ساندى وساعدها على النهوض.

"ما الذى ستفعلينه الآن؟". نظر فرانك إلى ابنته، قائلة: "أستلقين القبض عليها؟".

"لقد رأيت، لقد دفعتنى".

"كانت مضطربة".

"هى من بدأت".

قال فروست بهدوء: "ريزولى، فلننس هذا الأمر، اتفقنا؟".

قالت جان: "يمكننى إلقاء القبض على هذه اللعينة، يمكننى ذلك".

قال فروست: "نعم، حسنا، يمكنك ذلك لكن هل تريدين ذلك فعلا؟".

وتنهدت مهمهمة: "لدىَّ أشياء أفضل لأقوم بها"، ثم استدارت عائدة إلى السيارة، وعند دخولها السيارة كان والدها والشقراء قد اختفيا وراء الركن.

دخل فروست السيارة بجوارها وأغلق باب السيارة وقال: "لم يكن عليك فعل شىء كهذا".

"قد السيارة وحسب".

"كنت كالراغبة فى الشجار".

"أرأيتها؟ أبى يواعد سيدة كثيفة الشعر غير مقبولة المنظر!".

"هناك أسباب كثيرة تجعلك بحاجة إلى المكوث بعيدا عنها بمئات الأميال، فأنتما الاثنين كنتما ستقتلان بعضكما البعض".

تنهدت جان ووضعت رأسها بين كفيها وقالت: "ما الذى سأخبر به أمى؟".

"لا شىء" وأدار فروست السيارة وانطلق بها. "فحياتهما الزوجية ليست من شأنك".

"سأذهب للمنزل وأرى وجهها، وأرى كل مظاهر الأذى على وجهها، كل ذلك يجعل الأمر من شأنى".

"إذن، كونى ابنة بارة ومدى لها يد العون، لأنها ستحتاج لذلك".

*ماذا سأقول لأمى؟*

صفت جان سيارتها فى مكان خالٍ أسفل شقتها وانتظرت لدقيقة، قلقة مما سيحدث بعد ذلك، ربما عليها ألا تخبر والدتها بما حدث اليوم، فأنجيلا تعرف بالفعل أمر والدى والسيدة الشقراء، فلماذا أصدمها بما حدث؟ ولماذا أعذبها أكثر من ذلك؟

*لأننى لو كنت فى مكان والدتى، كنت سأرغب فى أن أعرف، فلم أكن لأرغب أن أجد ابنتى تخفى أسرارا عنى، بغض النظر عن مدى مرارة هذه الأسرار.*

ونزلت من سيارتها، تفكر فيما ستقوله وتعلم أنه مهما كان ما ستقوله فستكون تلك الليلة ليلة بائسة، والأشياء القليلة التى يمكنها قولها أو فعلها ستخفف آلام والدتها: كونى ابنة بارة، كما قال فروست؛ ومدى لها يد العون، حسناً، بقدر ما أستطيع.

صعدت السلالم إلى الطابق الثانى، وكانت تشعر بقدميها تزدادان ثقلا مع كل درجة تصعدها، وخلال ذلك كانت تلعن ساندى هيفنجتون، التى قلبت حياتهم جميعا رأسا على عقب، أوه لقد رأيتك وأنت تنتهكين قوانين المرور، سيدة جذابة لكنها بلهاء، وسيكون هناك من أجلها مخالفات على سيارتها؟ يالها من أخبار سيئة، فأمى لا يمكنها أن ترد لها الضربة، ولكنى متأكدة أنه يمكننى ذلك. ووضعت مفتاحها فى الباب وتوقفت، لقد أذهلها صوت أمها بالداخل، صوت ضحكاتها.

أمى!

وأسرعت بفتح الباب، وشمت رائحة الفانيليا، ثم سمعت ضحكة مختلفة، ضحكة مألوفة، ضحكة رجل، وسارت إلى المطبخ ورأت المحقق المتقاعد فينس كورساك جالسا على الطاولة ومعة كوب من القهوة وأمامه طبق ضخم من الكعك الصغير اللذيذ.

قال: "هاى" ورفع كوب القهوة لتحيتها، أما ريجينا الصغيرة فكانت تجلس بجواره مباشرة فى حامل الاطفال وهى ترفع يديها الصغيرتين أيضا، كما لو كانت تقلده.

"امم ... ما الذى تفعله هنا؟".

وبختها أنجيلا وهى تضع صينية من الكعك المطهو مباشرة على أعلى الفرن لتبرد وقالت: "جان! يا له من شىء تقولينه لـ فينس".

*فينس؟ إنها تدعوه فينس؟*

قالت أنجيلا: "لقد اتصل ليدعوك أنت وجابريل إلى حفلة".

قال كورساك وهو يغمز بعينه إلى أنجيلا قائلاً: "وأنت أيضا سيدة ريزولى، كلما حضرت نساء أكثر، كان الأمر أفضل".

واحمر وجه أنجيلا، ليس بسبب حرارة الفرن.

قالت جان: "وأراهن أنه شم رائحة الكعك عبر الهاتف".

"لقد تصادف اتصاله أثناء خبزى للكعك فأخبرته أنه إذا أتى إلى هنا، سأخبز قطعاً إضافية من أجله".

قال ضاحكاً: "محال أن أفوت عرضاً كهذا"، ثم أكمل: "مرحى، أيتها الجميلة اللطيفة، لقد وصلت أمك إلى هنا؟".

نظرت جان إلى قميصه الذى يظهر تجعدات بطنه، قائلة: "أرى أنك لا تتبع حمية غذائية".

"وأنا أرى أنك فى مزاج جيد". وتناول جرعة من القهوة ومسح فمه بيده السمينة، وقال: "سمعت أنك تتولين قضية، فريكن، غريبة". وتوقف ونظر إلى أنجيلا قائلاً: "عذراً لتحدثى بالفرنسية، سيدة ريزولى".

قالت أنجيلا: "قل ما ترغب فيه، أريدك أن تشعر كأنك فى بيتك".

*لا تشجعيه رجاء.*

وقال: "بعض الأمور الشيطانية".

"أسمعت بذلك؟".

"التقاعد لم يجعلنى أصم".

أو أبكم، فقد اعتاد أن يضايقها بنكاته الوقحة وعاداته الصحية المرعبة، فقد كان كورساك واحداً من أكثر المحققين حدة، ورغم تقاعدة بسبب أزمتة القلبية العام الماضى، فلم يترك الشارة مطلقا، وفى ليالى العطلة ما زالت تجده يتجول بالخارج عند جى. بى. دويل، المكان المفضل لرجال شرطة بوسطن ليعرف آخر قصص الحرب، وسواء تقاعد أم لا، فسيموت فينس كورساك رجل شرطة.

سألته جان وهى تجلس على كرسى بجوار المنضدة: "وما الذى سمعته أيضا؟".

"إن قاتلك فنان، يترك رسومات صغيرة لطيفة خلفه، وهو يحب" - سكت كورساك ونظر إلى أنجيلا التى كانت تضع

أصبح الأمر أكثر صعوبة الآن، فقد أراح جان أن تسمع صوت رنين هاتفها الخلوى المكتوم، فسارت إلى حجرة المعيشة حيث تركت حقيبتها وأخرجت هاتفها.

قالت جان: "ريزولى".

لم يضيع الملازم ماركويتى وقتا فى المجاملات وقال: "يجب أن تكونى أكثر احتراما لـ أنتونتى سانسون".

يمكنها سماع صوت كورساك يضحك فى المطبخ وانزعجت عند سماعها ضحكة مفاجئة، *إذا كنت ستغازل أمى، فافعل ذلك فى مكان آخر.*

قال ماركويتى: "لقد سمعت أنك جعلته هو وأصدقاءة يمرون بأوقات عصيبة".

"ربما يمكنك تحديد ما تسميه أوقاتاً عصيبة؟".

"استجوبته لساعتين تقريبا، وأرهقى خادمه وضيوفه المدعوين على العشاء، وبعد ذلك عدت ثانية لتتحدثى معه بعد ظهر اليوم، أنت تجعلينه يشعر كأنه مشتبه به".

"حسنا، آسفه إذا كنت جرحت مشاعره، نحن نفعل فقط ما نفعلة فى المعتاد".

"ريزولى، حاولى أن تضعى فى اعتبارك أن الرجل ليس مشتبهاً به".

"لم أصل إلى هذا الاستنتاج بعد، فـ أودونيل كانت فى منزله وتم قتل إيفا كاسوفيتز فى حديقة منزله، وعندما وجد خادمه الدماء، ما الذى فعله سانسون؟ أخذ صورا، وأعطاها لأصدقائة، أتريد أن تعرف الحقيقة؟ هؤلاء الأشخاص غير طبيعيين، وبالتأكيد سانسون ليس طبيعيا".

"هو ليس مشتبهًا به".

"أنا لا أستبعده".

"يمكنك الثقة بى، دعية وشأنه".

سكتت للحظة ثم سألته بهدوء: "أتريد إخبارى شيئاً آخر، أيها الملازم؟ ما الذى لا أعرفه عن أنتونى سانسون؟".

"هو رجل لا نريد أن نعاديه".

"أتعرفه؟".

"لا أعرفه شخصياً، أنا أنقل كلمة لك من سلطة عليا، لقد صدرت الأوامر بمعاملته باحترام".

وضعت السماعة، وسارت إلى النافذة، ونظرت إلى سماء ما بعد الظهيرة التى لم تعد زرقاء، فمن المحتمل وجود ثلج فى الأفق، وفكرت: *يمكنك اعتقاد أنه بإمكانك الرؤية إلى الأبد وبعد ذلك تأتى الغيوم ويصبح كل شىء مظلمًا.*

أمسكت بهاتفها الخلوى وشرعت تتصل برقم معين.

# السابع عشر

نظرت مورا عبر النافذة الزجاجية إلى يوشيما الذى يرتدى سترة واقية، وهو يثبت جهاز الأشعة على البطن، بعض الناس الذين يذهبون إلى عملهم فى صباح أيام الاثنين لا يقلقون من أى شىء ينتظرهم أسوأ من كومة من أوراق العمل الجديد أو كمية كبيرة من الرسائل، أما فى صباح يوم الاثنين هذا، فقد كان بانتظار مورا سيدة موضوعة على تلك المنضدة، جسدها عار تماما، ورأت مورا يوشيما يشغل المحرك الرئيسى ليعيد تشغيل الأفلام، ونظر إليها مومئًا برأسه.

اندفعت مورا عبر الباب عائدة إلى معمل التشريح.

فى الليلة التى انحنت فيها وهى ترتعد من البرد بحديقة أنتونى سانسون رأت هذا الجسد تحت وميض أضواء سيارات الشرطة، واليوم، المحققة إيفا كاسوفيتز أمامها عارية تحت أضواء شديدة، وقد تم شطف الدماء، فظهرت جروح قرنفلية اللون، وتمزق بفروة الرأس، وطعنة فى الصدر أسفل عظم الصدر، والعيون التى أصبحت بلا غطاء، فقد أمسى تجويف القرنية الآن معتما من التلوث، وذلك ما لم تتمكن مورا من النظر إليه: هاتان العينان المقتلعتان.

أعلن صوت الباب وصول جان.

وسألت جان: "ألم تبدئى بعد؟".

"كلا، هل سيشاركنا أحد؟".

"سيقتصر الأمر علىّ اليوم". سكتت جان أثناء تجهيزها للعباءة الطبية، وتركزت نظراتها على المنضدة فجأة، على وجه زميلتها الميتة، وقالت بصوت خفيض: "أعتقد أنه كان علىَّ الوقوف بجانبها عندما قام هؤلاء الحمقى بالوحدة بمزاحهم الغبى، كان علىَّ وضع حدٍ لذلك بسرعة".

"هم من عليهم الشعور بالذنب، يا جان، وليس أنت".

"لكنى كنت مكانها وأعرف شعورها"، واستمرت جان فى النظر للأسفل إلى القرنية المكشوفة وقالت: "ألن يتمكنوا من تجميل هذه العيون لأجل الجنازة".

"سيكون التابوت مغلقًا".

قالت جان برقة: "عين حورس".

"ماذا؟".

"ذلك الرسم على باب سانسون، إنه رمز قديم، يرجع إلى عصر الفراعنة، ويدعى (يودات)، العين التى ترى كل شىء".

"من أخبرك بذلك؟".

"أحد ضيوف عشاء سانسون". ونظرت إلى مورا وقالت: "هؤلاء الأشخاص - سانسون وأصدقاؤه - غريبو الأطوار، كلما عرفت أشياء أكثر عنهم، تغيرت نظرتى إليهم، خصوصا هو".

خرج يوشيما من حجرة المعالجة، وهو يحمل حفنة من الأفلام المعدلة، وقد أحدثت رنيناً موسيقياً عندما ثبتها فى الصندوق الضوئى.

وأمسكت مورا بالمسطرة وقاست تمزق فروة الرأس، وأخذت تدون المقاسات على لوح مشبكى وقالت بدون أن تنظر: "أتعرفين، لقد اتصل بى تلك الليلة، ليتأكد من وصولى إلى المنزل بسلام".

"أفعل سانسون ذلك؟".

نظرت إليها مورا، قائلة: "أتعتبرينه مشتبهاً به؟".

"فكرى فى الأمر: بعد أن وجدوا الجسد، أتعلمين ما فعله سانسون، حتى قبل أن يتصل بالشرطة؟ لقد أمسك كاميرته والتقط بعض الصور، وجعل خادمه يوصلها إلى أصدقائة فى الصباح، أخبرينى أن ذلك ليس بالأمر الغريب".

"لكن أتعتبرينه مشتبهاً به؟".

بعد توقف، اعترفت جان، قائلة: "كلا، وإن فعلت فسيتسبب ذلك فى متاعب كثيرة".

"ماذا تقصدين؟".

"لقد حاول جابريل القيام ببعض البحوث من أجلى، واتصل بمعارفه ليعرف أشياء أكثر عن سانسون، كل ما فعله كان مجرد توجيه أسئلة قليلة وفجأة أغلقت كل الأبواب فى وجهه، فلم يكن هناك من يرغب فى الحديث عن سانسون من المباحث الفيدرالية والانتربول، من الواضح أن لديه صداقات فى مناصب مهمة جدا جاهزين لحمايته".

وفكرت مورا فى المنزل الموجود فى بيكون هيل، الخادم، والتحف: "قد تكون لثروتة علاقة بالأمر".

"من الواضح أنه ورثها، فمن المؤكد أنه لم يجن تلك الثروة من تدريس تاريخ العصور الوسطى بجامعة بوسطن".

"ما مدى ثراء ذلك الرجل؟".

"هذا المنزل الواقع فى بيكون هيل؟ هذا يعتبر حى الفقراء لديه، فلديه منازل فى لندن وباريس بالإضافة إلى أملاك تعود إلى عائلتة فى إيطاليا، إنه أعزب وثرى جداً وحسن المظهر، لكنه لا يظهر أبدًا فى المناسبات الاجتماعية، لا يحضر حفلات خيرية ولا حفلات تبرعات بالملابس نصف الرسمية، إنه منعزل تماما".

"لا أعتقد أنه من ذلك النوع من الرجال الذى قد ترينه فى محيط الحفلات".

"ماذا تعتقدين عنه أيضا؟".

"لم نتحادث طويلا".

"لكنك تحادثت معة تلك الليلة".

"كان الجو باردا جدا تلك الليلة، ودعانى لاحتساء بعض القهوة".

"ألا يبدو ذلك غريبا بعض الشيء؟".

"ماذا؟".

"أنه قام بجهود خاصة ليجعلك تدخلين إلى منزله؟".

"لقد قدرت تلك اللمحة، ولعلمك كان الخادم هو من خرج ليدعونى للدخول".

"أنت، تحديدا؟ أيعلم من تكونين؟".

ترددت مورا وقالت: "نعم".

"ماذا كان يريد منك، أيتها الطبيبة؟".

تحركت مورا إلى الجثة وقاست أبعاد الطعنة الموجودة فى الصدر ووضعتها على اللوحة المشبكية، الأسئلة كانت محددة جدا، ولم يعجبها مضمون كلامها: أن أنتونى سانسون قد استغلها، فقالت: "لم أفصح عن أى شىء مهم يتعلق بالقضية، يا جان، إذا كان هذا ما تسألين عنه".

"لكنك تحدثت عن الأمر".

"تحدثت عن عدة أشياء، وصحيح أنه أراد أن يعرف رأيى فى تلك القضية، فالأمر ليس غريبًا لأن الجثة وجودت فى حديقة منزله. من الواضح جدًا أنه فضولى، وقد يكون غريب الأطوار قليلا". وجدت جان تنظر إليها نظرة فاحصة فاهتمت مورا بالجثة والجروح التى لم تزعج مورا كما أزعجتها أسئلة جان.

"غريب الأطوار؟ أهذه الكلمة الوحيدة التى يمكنك التفكير فيها؟".

فكرت فى الطريقة التى فحصها بها سانسون فى تلك الليلة، وكيف أن عينيه تعكسان ضوء النار، وأشياء كثيرة خطرت على بالها، ذكى، جذاب، مرعب.

قالت جان: "ألا تعتقدين أنه شخص مرعب؟ فهذا ما أنا متأكدة منه".

"لماذا؟".

"لقد رأيت منزله، إنه مثل الدخول إلى جولة فى الزمن، وأنت لم ترى الغرف الأخرى، وكل الأشخاص المرسومين على اللوحات الموجودة فيها يحملقون بأعينهم، إنه أشبه بالسير فى قلعة دراكولا".

"إنه بروفيسور تاريخ".

"كان كذلك، فهو لم يعد يلقى محاضرات فى مادة التاريخ الآن".

"من المحتمل أن يكون هؤلاء جزءاً من الإرث، وصورهم لا تقدر بثمن، من الواضح أنه يقدر تراث عائلته".

"أوه، نعم، تراث العائلة، إنه من الجيل الرابع، ياله من محظوظ!".

"ولديه تاريخ أكاديمى ممتاز، ويجب أن تمنحيه بعض التقدير بسبب ذلك، فهو لم يتحول إلى فتى عاطل ولاه".

"وهنا يكمن الجزء المشوق، تم تأسيس صندوق ملكية للعائلة عام ١٩٠٥، وأسسه جده الأكبر، خمنى ما كان اسم صندوق ملكية العائلة؟".

"ليس لدىَّ فكرة".

"إنه يدعى تنظيم مفيستو".

نظرت مورا أمامها وهى قلقة، مهمهة: "مفيستو؟".

قالت جان: "ستصابين بالدهشة، فأى نوع من تراث العائلات نتحدث عنه يذكرنا هذا الاسم؟".

سأل يوشيما: "ما دلالة هذا الاسم؟ مفيستو؟".

قالت جان: "لقد بحثت عنه، إنه اختصار لاسم مفيستوفيليس، ولعل الطبيبة تعرف من كان مفيستوفيليس".

قالت مورا: "الاسم أتى من أسطورة د. فوستس".

سأل يوشيما: "من؟".

قالت مورا: "كان د. فوستس ساحرا، ورسم رموزاً سحرية ليستدعى الشيطان، وقد ظهرت روح شريرة تدعى مفيستوفيليس وعرضت علية اتفاقا".

"أى نوع من الاتفاقات؟".

"باع د. فوستس روحه للشيطان مقابل المعرفة الكاملة بالسحر".

"إذن، فإن مفيستو ...".

"خادم للشيطان".

تحدث صوت عبر جهاز الاتصال الداخلى، وقالت لويزل سكرتيرة مورا: "د. آيسلز، لديك مكالمة خارجية على الخط رقم واحد، إنه السيد سانسون، أتريدين أن تجيبى عليه أم آخذ رسالته؟".

*حديث الشيطان.*

نظرت مورا إلى جان وأومأت جان إليها.

قالت مورا: "سأتلقى المكالمة". وخلعت قفازاتها وسارت إلى هاتف الحائط وأمسكت السماعة، قائلة: "سيد، سانسون؟".

قال: "آمل ألا أكون قد عطلتك".

نظرت إلى الجسد الموضوع على المنضدة وقالت لنفسها: *لن تمانع إيفا كاسوفيتز، فليس هناك أحد أكثر صبرا من الموتى،* "لدىً دقيقة لأحدثك فيها".

"هذا السبت لدى حفل عشاء فى منزلى وأتمنى لو تشاركيننا".

توقفت مورا وهى تعى مراقبة جان لها، ثم قالت: "سأفكر فى هذا الأمر".

"أنا متأكد أنك تتساءلين عن سبب كل هذا".

"نعم، فى الواقع".

"أعدك أننى لن أشغلك بموضوع التحقيق".

"لا يمكننى الحديث عن ذلك بأية حال، أنت تعرف ذلك".

"أفهم ذلك، وذلك ليس سبب دعوتى".

"إذن، فما السبب؟". سؤال ذكى وفظ لكن كان عليها طرحه.

"هناك اهتمامات وميول مشتركة فيما بيننا".

"أنا غير واثقة إذا كنت أفهم ما تقولة".

"اشتركى معنا يوم السبت، حوالى الساعة السابعة، ويمكننا الحديث عن ذلك الأمر".

"دعنى أنظر فى جدول مواعيدى أولا وسأخبرك بعد ذلك". وأغلقت السماعة.

سألتها جان: "ما الأمر؟".

"كان يدعونى على العشاء فقط".

"أيريد منك شيئا".

"يقول إنه لا يريد شيئاً"، وسارت مورا إلى الخزانة لتحصل على زوج جديد من القفازات، ورغم أنها كانت مستعدة لترتدى القفازات، فقد شعرت بوجهها يحمر وشعرت بنبض دمائها فى أطراف أصابعها.

"أتصدقين ذلك؟".

"بالطبع لا، وذلك السبب وراء عدم ذهابى".

قالت جان بهدوء: "ربما عليك الذهاب".

استدارت مورا لتنظر إليها وقالت: "لا يمكن أن تكونى جادة".

"أنا أرغب فى معرفة المزيد عن تنظيم مفيستو، من هم، وما الذى يفعلونه فى اجتماعاتهم السرية الصغيرة، لن يمكننى الحصول على المعلومات بأى طريقة أخرى".

"إذن، تريدننى أن أفعل ذلك من أجلك؟".

"كل ما أقصده أننى أعتقد أن ذهابك لن يكون فكرة سيئة بالضرورة مادمت تتوخين الحذر".

سارت مورا إلى المنضدة وحملقت فى إيفا كاسوفيتز وفكرت فى نفسها : *تلك المرأة كانت شرطية ومسلحة ومع ذلك لم تكن حذرة بالدرجة الكافية*، وأمسكت مورا المشرط وبدأت فى استعماله.

ورسمت حرف Y على الجذع، شقان بدأت فى شقهما بالجذع يبدآن من الأكتاف ويتقابلان عادة أسفل القفص الصدرى، وذلك لتلاحظ الجرح الناتج عن الطعنة، حتى قبل أن تفتح الضلوع وقبل أن تفتح الصدر عرفت ما ستجده فى الحلق، فهى تراه الآن فى صور أشعة الصدر المعلقة على الصندوق الضوئى: الخطوط الخارجية للقلب، أكبر بكثير من قلب امرأة شابة بصحة جيدة، وعندما رفعت عظام الصدر والضلوع نظرت داخل التجويف الصدرى ووضعت يدها أسفل الكيس المنتفخ الذى يحتوى على القلب.

وبدا كحقيبة ممتلئة بالدماء.

قالت مورا: "نزيف داخلى". ونظرت إلى جان، ثم أضافت: "نزفت فى الكيس الذى يحيط بالقلب، ولأن مساحته محدودة أصبح الكيس ممتلئًا فلم يتمكن القلب من الضخ، أو أن الجرح نفسه تسبب فى نزيف الدم بسرعة، وفى كلتا الحالتين كانت عملية قتل سريعة وفعالة والقاتل يعرف أين يوجه سلاحه بالتحديد".

"كان يعلم ما يفعله".

"أو أنه كان محظوظا"، وأشارت إلى الجرح، مستطردة: "إن الجرح أسفل الجزء الثالث من عظام القفص الصدرى. وفى أى مكان فوق مكان الجرح ستجدين عظمة الصدر والضلوع تحمى القلب تماما، لكن إذا دخلت هنا، فى المكان الموجود فيه الجرح، ووجهت نصلك إلى الزاوية الصحيحة فقط ...".

"ستصيبين القلب؟".

"الأمر ليس صعباً، فقد فعلت ذلك كطبيبة مقيمة فى فترة عملى بالطوارئ، لكن فعلت ذلك بإبرة بالطبع".

"على شخص ميت، هذا ما آمله".

"لا، كانت حية لكن لم نتمكن من سماع خفقان قلبها، فقد توقف ضغط دمها وأظهرت آشعة إكس قلباً دائريًا فكان علىَّ فعل شىء ما".

"إذن فقد طعنتها؟".

"بإبرة لعلاج القلب، وأزحت دماً كافياً من الحقيبة لأبقيها على قيد الحياة حتى يمكننا إجراء جراحة".

قال يوشيما: "إنها مثل قصة عين الإبرة، فالقاتل يطعن الضحية فى القلب مباشرة وتموت بسرعة ومن الصعوبة العثور على أى دماء، ونتج عن ذلك جريمة قتل نظيفة".

قالت جان: "شكرا لملاحظتك المفيدة".

قالت مورا: "فى الواقع ذكر يوشيما نقطة جيدة، فقد اختار القاتل طريقة سريعة لقتل إيفا كاسوفيتز، لكن مع لورى آن تاكر فقد أخذ وقتا كافيا فى تقطيع اليد والذراع والرأس، وبعد ذلك رسم الرموز، أما مع هذه الضحية فلم يضيع وقته، مما يجعلنى أعتقد أن إيفا قتلت لسبب عملى، ربما فاجأته فكان عليه التخلص منها مباشرة، فقام بذلك بأسرع ما يمكنه؛ ضربة على الرأس تلتها طعنة سريعة فى القلب".

"لقد أخذ وقتا ليرسم هذه الرموز على الباب".

"كيف نعرف أنه لم يرسم الرموز أولا؟ ليتناسب مع الطرد الذى سلمه على عتبة الباب؟".

"أتقصدين اليد؟".

أومأت مورا، قائلة: "قربانه".

وعاد نصلها للعمل ثانية، يقطع ويزيل، وأخرجت الرئتين اللتين ألقتهما فى حوض حديدى حيث شكلتا كتلتين إسفنجيتين، وبنظرة سريعة إلى السطح القرنفلى، وتشريح

خفيف لكل رئة عرفت أن هاتين الرئتين سليمتان صحياً وأنهما لشخص غير مدخن، وكان بإمكانهما الصمود ليخدما صاحبتهما جيدا فى سن الشيخوخة. وانتقلت مورا إلى الحجاب الحاجز ووصلت يدها المغطاة بالقفازات إلى تجويف البطن لتخرج المعدة والبنكرياس والكبد، كان بطن إيفا كاسوفيتز مسطحا بشكل تحسد عليه وبكل تأكيد فإن ذلك ناتج عن ممارسة التمارين لساعات عديدة والأنظمة الغذائية، كيف تحول كل هذا الجهد ببساطة إلى عضلات وجلد مشققين، وسرعان ما امتلأ الحوض بالأعضاء، حلقات من الأمعاء تتلألأ مثل أسماك الإنقليس، كبد وطحال فى كومة دماء، كل شيء كان مفعماً بالصحة، وقامت بإزالة الكلى الناعمة، وأخذت قطعاً منها ووضعتها في برطمان للعينات، وغُمست فى الفورمالين تاركة خلفها خطوطاً من الدماء.

ونظرت إلى يوشيما مباشرة، قائلة: "أيمكنك وضع صور الجمجمة الآن؟ لنرى ما لدينا".

فقام بسحب صور الجذع بأشعة إكس وبدأ فى وضع صور جديدة لم يفحصوها بعد، وظهرت صور للرأس على صندوق العرض، وركزت على العظم الموجود تحت تمزق فروة الرأس، وأخذت تبحث فى مخططات القرنية عن بعض خطوط الكسور أو الضغط التى لا يمكن فحصها باللمس، لكنها لم تر شيئا، حتى بدون الكسر والتمزق، فالضربة كانت قوية لدرجة ستخضع الضحية، وتصيبها بالإغماء لفترة تكفى القاتل لينزع سترتها ويرفع قميصها،

وليغرس النصل فى قلبها.

فى البداية كانت الجمجمة هى ما جذب انتباة مورا، وبعد ذلك انتقلت إلى منظر جانبى وركزت على الرقبة، وركزت نظراتها على عظمة هويد، ووراءها كانت هناك بقعة مخروطية معتمة لا تشبه أى شيء رأته من قبل، فتحركت لتقترب من

الصندوق الضولى، ووقفت تنظر إلى ذلك الشيء الغريب، من الجهة الأمامية كان مغطى تقريبا بفقرات العنق الكثيفة، لكن فى المنظر الجانبى كان مرئياً بوضوح، ولم يكن جزءاً من القاعدة الجمجمية.

غمغمت قائلة: "ما هذا بحق الله؟".

تحركت جان ووقفت بجوارها، قائلة: "ما الذى تنظرين إليه؟".

"هذا الشيء هناك، هذا ليس بعظام، هذا ليس جزءاً طبيعياً من الرقبة".

"هل هذا شيء بحلقها؟".

عادت مورا إلى المنضدة مرة أخرى وقالت: "أيمكنك أن تحضر لى مجهر الحنجرة؟".

ووقفت مورا على رأس الطاولة وأمالت الذقن للأمام، وهى تتذكر أنها استعملت مجهر الحنجرة وهى طالبة فى السنة الرابعة عندما حاولت إدخال أنبوب فى القصبة الهوائية لرجل لا يمكنة التنفس، وكانت الظروف صعبة جدا فالمريض تعرض لأزمة قلبية، والطبيب المشرف عليها سمح لـ مورا فقط بمحاولة تركيب الأنبوب وقال: "أمامك عشر ثوان واذا لم تتمكنى فسأقوم أنا بالأمر"، فأنزلت مجهر الحنجرة ونظرت داخل الحلق تبحث عن الأحبال الصوتية، لكن كل ما رأتة كان اللسان و الغشاء المخاطى، وأثناء مرور الثوانى العشر، كانت إحدى الممرضات تنفخ فى الصدر وفريق التدريب يتفرج، كانت مورا تناضل مع الأداة، وهى تعلم أن كل ثانية تمر والمريض محروم من الأكسجين قد تموت خلايا دماغية، وفى النهاية قام المشرف بأخذ الأداة من يدها ونحاها جانبا ليقوم بالمهمة بنفسه، فقد كان ذلك عرضا مؤلما لعدم كفاءتها.

أما الميت فلا يحتاج إلى مثل هذا التدخل السريع، والآن، عندما أدخلت شفرة مجهر الحنجرة داخل الفم، لم يكن هناك

أزيز على شاشة نبضات القلب ولا فريق تدريب ينظر إليها، ولا حياة معلقة على ما ستفعله، كانت إيفا كاسوفيتز صبورة عندما استعملت مورا النصل وأبعدت اللسان عن طريقها، ومالت ونظرت داخل الحلق، كانت الرقبة طويلة ورفيعة، ومن محاولتها الأولى وجدت مورا الأحبال الصوتية بسهولة مثل الشرائط البالية المحيطة بالقناة الهوائية، ومحشورا بينها مادة تلمع فى عينيها.

قالت مورا وهى تمد يدها: "الكُلَّاب". ووضع يوشيما الأداة فى راحة يدها.

سألتها جان: "أرأيته؟".

"نعم".

انتزعت مورا ذلك الشىء وسحبته بلطف من الحلق، ووضعته فى صينية العينات فأحدث صوتا عند ارتطامه بالحديد المقاوم للصدأ.

سألتها جان: "هل هذا ما أعتقده؟".

وانحنت مورا على العينة التى لمعت كاللؤلؤة تحت الأضواء الساطعة.

صَدَفة بحرية.

# الثامن عشر

تلون ضوء فترة العصر باللون الرمادى الكئيب فى الوقت الذى وصلت فيه جان إلى حرم جامعة هارفارد وصفت سيارتها وراء كونانت هال، كانت الساحة خالية تقريبا، ونزلت من سيارتها إلى الرياح الشديدة، ونظرت إلى المبانى الحجرية القديمة التى بدت مهجورة. أدركت عند ملاحظتها الثلوج الرقيقة التى يحملها الهواء على الرصيف أن الظلام سيحل عند انتهائها من مهمتها هنا.

*كانت إيفا كاسوفيتز شرطية أيضا، ومع ذلك فلم تر الموت وهو قادم إليها.*

زررت جان أزرار معطفها وبدأت تسير تجاه مبانى متاحف الجامعة. خلال أيام قليلة، عند عودة الطلبة من إجازة الشتاء ستدب الحياة فى الحرم الجامعى مرة أخرى، لكن فى فترة العصر الباردة تلك، كانت جان تسير وحيدة وهى تضيق عينيها لتتجنب ضربات الرياح. وصلت إلى المدخل الجانبى للمتحف ووجدت الباب مغلقا، ليست مفاجأة: فالآن عصر الأحد، ودارت حول المبنى لتصل إلى المدخل الأمامى وهى تسير مجهدة فى طريق بين الثلج المتسخ، وفى مدخل شارع أكسفورد وقفت تحملق فى المبنى الحجرى الضخم المبنى بالقرميد، وكانت اللوحة الموجودة على الباب الرئيسى عليها عبارة: *متحف علم الحيوان المقارن.*

صعدت على درجات السلم الجرانيتية ودخلت إلى المبنى وبدخولها ذاك المبنى دخلت عهداً مختلفاً، فالأرضيات الخشبية تحدث صريرا تحت قدميها، وشمت غبار عقود عديدة وحرارة شبكات التدفئة المركزية القديمة ورأت صفوفاً متتالية من خزائن العرض الخشبية.

لكن لم يكن هناك أفراد، وكانت قاعة الدخول مهجورة تماما.

سارت داخل المبنى، ومرت بصناديق العينات ووقفت تحملق فى مجموعة حشرات مثبتة بدبابيس، فرأت خنافس ضخمة سوداء بكلابات لقطع الجلد الرقيق، ورأت صراصير مجنحة، وحشرات كثيرة لامعة. سارت وهى تشعر برجفة، ومرت على ذباب يلمع كالجواهر، وأمام خزانة عرض بها بيض دجاج لن يفقس أبدا، وعصافير مثبتة بدبابيس لن تغنى مرة أخرى.

وسمعت صوت أقدام فأدركت أنها ليست بمفردها.

استدارت ونظرت إلى الفتحة الضيقة بين خزانتين طويلتين من خزائن العرض، ومن ضوء الشتاء القادم عبر النافذة، كان الرجل منحنيا ورأت صورة ظلية لوجهه، ورأت وجهه واضحا عندما تحرك من مكانة الخفى، وكان يرتدى نظارة تشوه العيون الزرقاء التى تظهر من خلال العدسات السميكة.

سألها: "ألست أنت السيدة التابعة للشرطة، أليس كذلك؟".

"د. فون شيلر؟ أنا المحققة ريزولى".

"لابد أنك محققة، فما من شخص آخر سيتجول فى هذا الوقت المتأخر، والأبواب عادة تغلق الآن، لذلك فأنت تستمتعين بجولة خاصة هنا".

وغمز إليها، ليوحى إليها أن معاملتة الخاصة ستظل سرا بينهما، فرصة نادرة للنظر إلى الحشرات الميتة والطيور المعلقة، بدون قطيع البشر الذى يمر بالمتحف، وسألها: "حسنا، هل أحضرتها معك؟".

"نعم أحضرتها"، وأخرجت كيس الأدلة من جيبها ولمعت عينا البروفيسور عندما رأى محتوياتها التى تظهر من خلال البلاستيك الشفاف.

"هيا، إذن! فلنصعد إلى مكتبى لأتمكن من النظر إليها جيدا باستعمال عدستى المكبرة، فعينى لم تعد بحالة جيدة، أنا أكره المصباح المشع هناك لكنى أحتاجه لشىء مثل هذا!".

تبعته إلى السلم وهى تعدل مشيتها وفقا لسيره البطىء، هل يمكن لهذا الرجل أن يكون مازال يُعلم الطلاب فى الجامعة؟ إنه حتى يبدو غير قادر على صعود هذه السلالم، لكن فون شيلر كان هو الاسم الذى تم نصحها بالتعامل معه عندما اتصلت بقسم الحيوان المقارن، ولم يكن هناك شك فى ومضة الإثارة التى ظهرت فى عينيه عندما رأى ما فى كيسها، هو لا يستطيع الانتظار ليضع يديه على ما فى الكيس.

سألها فون شيلر عند صعوده السلالم ببطء: "أتعرفين الكثير عن الصدف البحرى أيتها المحققة؟". وأمسكت يده النحيلة بدرابزين السلم المنحوت.

"أعرف فقط ما تعلمته عند أكلها".

"أتقصدين أنك لم تجمعيها من قبل؟". ونظر إليها، مضيفًا: "أتعلمين أن روبرت لويس ستيفنسون قال ذات مرة: ربما تكون محظوظا إذا كان لديك ذوق فى جمع المحار أكثر من ولادتك كمليونيرة؟".

"أقال ذلك، الآن؟"، *أعتقد أنى كنت سأفضل أن أكون مليونيرة.*

"إنه شغف تكوَّن عندى منذ الصغر، فقد كان والداى يأخذاننا كل عام إلى شاطئ أمالفى، وكانت حجرة نومى مليئة بصناديق عديدة من الصدف لدرجة أننى كنت أستدير بصعوبه، وكما تعلمين فمازلت محتفظا بكل الصناديق، ومجموعتى تشتمل على عينة جميلة من صدفة إبيتونيم سيليستى النادرة

جدا، وقد اشتريتها عندما كنت في الثانية عشرة من العمر ودفعت مبلغا كبيرا لشرائها، لكنى أعتقد دائما أن إنفاق النقود فى شراء الصدف استثمار، فهى أكثر فنون الطبيعة الأم براعة وفتنة".

"هل ألقيت نظرة على الصور التى أرسلتها إليك بالبريد الإلكترونى؟".

"نعم، وقد أرسلتها إلى ستيفانو روفينى، أحد أصدقائى القدامى، وهو استشارى لشركة تدعى ميدشيلز، فهم يحددون أماكن العينات النادرة حول العالم ويبيعونها للأغنياء، وقد اتفقت أنا وهو على الأصل المحتمل لصدفتك".

"إذن ما هذه الصدفة؟".

نظر إليها فون شيلر مبتسما وقال: "أتعتقدين أننى سأعطيك إجابة نهائية قبل أن أفحصها فعليا؟".

"يبدو أنك تعرف بالفعل".

"لقد أوشكت على معرفة ذلك، هذا كل ما يمكننى إخبارك به"، واستمر فى صعود السلم. "هى من فصيلة جاستروبود". وقال وهو يصعد درجة أخرى: "النوع: كاينوجاستروبودا"، وصعد درجة أخرى قائلاً: "العائلة الكبرى: بوسيانكيا".

"عذرا، ما الذى يعنيه كل ذلك؟".

"ذلك يعنى أن صدفتك الصغيرة، قبل كل شىء، جاستروبود وترجمتها *قدم المعدة*، وهى نفس فصيلة الرخويات كحلزون الأرض أو البطلينوس (اللصوق)، إنها ذوات الفلقة الواحدة، بقدم عضليه".

"هل هذا اسم الصدفه؟".

"كلا، هذا هو اسم الفصيلة فقط، وهناك خمسون ألف نوع مختلف من الجاستروبود فى جميع أنحاء العالم، ولا يوجد جميعها فى المحيطات، فعلى سبيل المثال، يرقانة الأرض العادية تعتبر من الجاستروبود، رغم أنه ليس لديها صدفة"، ووصل

قمة السلم وقادها عبر ردهة بها الكثير من صناديق العرض تحتوى على مخلوقات زجاجية، وأعينها الزجاجية تنظر إلى جان بسخط، كانت تشعر أن الحيوانات تراقبها بالفعل مما جعلها تتوقف وتنظر وراءها إلى المعرض الفارغ، إلى خزانة عرض تلو الأخرى بها عينات مثبتة.

*لا أحد غيرنا يقتل الحيوانات.*

واختفى فون شيلر.

فوقفت بمفردها لدقيقة فى هذا المعرض الضخم، وهى تسمع فقط صوت ضربات قلبها، وشعرت بنظرات المخلوقات العدائية المسجونة خلف الزجاج ونادت: "د. فون شيلر؟". وسمعت صدى صوتها يتردد عبر الردهة.

وفجأة ظهرت رأسه من وراء أحد صناديق العرض وسألها: "حسنا، ألن تأتى؟ فمكتبى هنا".

*مكتب!* كانت تلك كلمة ضخمة جدا إذا نظرنا إلى المساحة التى يشغلها، الباب عليه لوحة معدنية رقيقة —*د. هنرى فون شيلر، بروفيسور فخرى* — ويؤدى إلى مكان منعزل بدون نوافذ أكبر من خزانة أدوات التنظيف، حيث يوجد مكتب ومقعدان وأشياء أخرى قليلة. وأضاء مفتاحاً بأحد الحوائط وسطعت الأضواء الشديدة.

وقال: "لنرها الآن". وأمسك كيس الأدلة الذى قدمته جان وأضاف: "قلت إنك وجدت هذه فى مسرح الجريمة؟".

وترددت، ثم لم تقل إلا: "نعم"، *كانت محشورة فى حلق سيدة ميتة*، وهذا ما لم تقله.

"لماذا تعتقدين أنها مميزة؟".

"آمل أن تخبرنى".

"أيمكننى التعامل معها؟".

"إذا احتجت إلى ذلك فعلا".

وفتح الكيس بأصابع مصابة بالتهاب المفاصل وأمسك بالصدفه وغمغم وهو ينخفض وراء مكتبه وجلس على كرسى أحدث صريرًا عند جلوسه عليه: "أوه، نعم"، وأوقد مصباحًا على شكل حرف U وسحب عدسة مكبرة ومسطرة، مضيفاً: "نعم، هذا ما ظننته، يبدو طولها واحدًا وعشرين مليمترًا، وهى ليست عينة مصقولة، هذه الانحناءات ليست جميلة بالقدر الكافى ويوجد بعض الكسور هنا، أترين ذلك؟ قد تكون صدفة قديمة وضعت فى صندوق مقتنيات أحد الهواة"، ونظر إليها، وظهرت عيناه الزرقاوان الرقيقتان من وراء عدسات النظارة.

*"بيسانيا ماكيولوسا"* .

"هل هذا اسمها؟".

"نعم".

"هل أنت متأكد؟".

وضع العدسة المكبرة على المكتب فأحدث ارتطامها بالمكتب صوتا مكتوما وتحدث بحدة: "ألا تثقين بى؟ تعالى، إذن".

"لا أقصد أننى لا أثق بك -"

"بالطبع، هذا ما تقصدينه".

واندفع فون شيلر خارجا من مكتبه وتحرك بسرعة لم تعرف جان أنه يقدر على السير بها، فهو متضايق ومستعجل ليدافع عن نفسه، وتنقل من معرض تلو الآخر، وقاد جان فى متاهه كئيبة من صناديق عرض العينات مرورا بنظرات أعين ميتة لا حصر لها، وعند صف من صناديق العرض الموجود فى أقصى ركن بالمبنى، ومن الواضح أن هذا لم يكن قسما كثير الزيارة بالمتحف، فالكتابات الورقية التوضيحية المعلقة على الحائط أصبحت صفراء بفعل الزمن، وغطى الغبار الصناديق الزجاجية. اختفى فون شيلر فى رواق ضيق بين صناديق العرض؛ ثم فتح إحدى الخزانات وأخرج منها صندوق عينات.

قال: "هنا". وفتح الصندوق، وأخرج يده ممتلئة بالصدف ووضعها، واحدة تلو الأخرى، على أحد الصناديق الزجاجية، "بيسانيا ماكيولوسا، وهنا أخرى وأخرى وها هى صدفتك". ونظر إليها نظرة عتاب أكاديمى تمت إهانته علمياً، وقال: "حسنا؟".

وفحصت جان مصفوفة الصدف البحرى، جميعها بنفس الانحناءات الجميلة ونفس الأشكال اللولبية، فقالت: "جميعها تبدو متشابهة".

"بالطبع متشابهة! فهى نفس العينات! أنا أعرف ما أتحدث عنه فهذا مجالى أيتها المحققة".

*وياله من مجال مفيد حقا،* فكرت فى ذلك وهى تخرج مفكرتها، وتقول: "ما اسم العينة مرة أخرى؟".

"هنا، أعطينى المفكرة". ونزع مفكرتها منها ورأته يكتب الاسم، وعبس أثناء كتابته، فهو لم يكن بالرجل الكبير اللطيف، ولا عجب من أن الجامعة أخفته فى خزانة أدوات التنظيف.

أعاد لها المفكرة ثانية، قائلاً: "هنا، مكتوب بشكل صحيح".

"إذن، ما الذى يعنيه ذلك؟".

"إنه الاسم".

"لا، أقصد ما دلالة هذه الصدفة الخاصة؟".

"هل يفترض أن تعنى شيئاً ما؟ أنت من البشر الأوائل، هذه بيسانيا ماكيولوسا، هذا هو اسمها وحسب".

"هل هذه الصدفة نادرة؟".

"ليس دائما، يمكنك شراؤها بسهولة عبر الإنترنت من عدد كبير من المتعهدين".

وذلك جعل الصدفة عديمة النفع كوسيلة لتتبع قاتل، وبتنهيدة أخذت المفكرة.

وقال: "إنها منتشرة بشكل كبير فى البحر المتوسط".

نظرت إلية متسائلة: "البحر المتوسط؟".

"فى جزر الأزور".

"آسفة، لا أعرف بالتحديد أين جزر الأزور".

نظر إليها نظرة استنكار غاضبة، وأشار إلى واحد من الصناديق؛ حيث كان هناك الكثير من الصدف مع خريطة باهتة للبحر المتوسط، وأشار إلى نقطة على الخريطة، قائلاً: "هنا، إنها ثلاث جزر غرب أسبانيا، *بيسانيا ماكيولوسا* توجد فى هذه المنطقة من الأزور بالبحر المتوسط".

"وليست فى أى مكان آخر؟ الأمريكتين مثلاً؟".

"لقد أخبرتك بمكان هذه الأصداف للتو، فهذه الأصداف التى أريتك إياها جميعها تم جمعها من إيطاليا".

وصمتت لدقيقة، ونظراتها مازالت مثبتة على الصندوق، هى لا تتذكر المرة الأخيرة التى فحصت فيها خريطة للبحر المتوسط، فعالمها هو بوسطن بعد كل شىء وحسب؛ وعبور حدود الولاية يعتبر رحلة خارجيه، لماذا صدفة بحر؟ لماذا تلك الصدفة بالتحديد؟

تركزت نظراتها على الركن الشرقى للمتوسط على جزيرة قبرص.

*المغرة الحمراء، صدف البحر، ما الذى يحاول القاتل إخبارنا إياه؟*

قال فون شيلر: "أوه، لم أعرف أن شخصاً آخر قد أتى إلى هنا".

لم تسمع جان أى أصوات أقدام حتى على الأرضية الخشبية القديمة، واستدارت لترى شابا يقف خلفها تماما، تقريبا طالب دراسات وذلك وفقا لقميصه المثنى والجينز الأزرق الذى يرتديه، بدا كباحث بالتأكيد، وهو يرتدى نظارة سوداء الإطار وشحوب وجهه غير طبيعى، ووقف هادئا جدا لدرجة جعلت جان تتساءل فى نفسها عن قدرة هذا الرجل على الحديث.

وبعد ذلك خرجت الكلمات و كانت تمتمة متقطعة لدرجة أن سماعه كان أمرا صعبا: "ب - ب - بروفيسور فون شيلر، هذا و - و - وقت ا - ا - الإغلاق".

"لقد انتهينا للتو يا مالكوم، أردت أن أُرى المحققة ريزولى بعض عينات البيسانيا"، وأعاد فون شيلر الصدفات فى صندوقها ثانية وقال: "سأغلق".

"ل - ل - لكن هذا —"

"أعرف، أعرف، فقط لأنى كبير السن لا يثق أحد فىّ عندما أغلق أى قفل غبى، انظر، لا تزال هناك بعض الأوراق فى مكتبى تحتاج إلى ترتيب، لماذا لا تقود المحققة إلى باب الخروج؟ أنا أعدك أننى سأغلق الباب عند خروجى".

تردد الشاب وبدا كما لو أنه يحاول نطق عبارات الاعتراض، لكنه ببساطه تنهد وأومأ برأسه.

وضعت جان كيس الأدلة المحتوى على الصدفة فى جيبها، وقالت: "شكرا لمساعدتك د. فون شيلر"، لكن الرجل العجوز كان قد استدار بالفعل ليعيد صندوق الصدف إلى مكانه.

لم يقل الشاب أى شىء وهو يقود جان عبر صالات العرض الكئيبة، ومرا بحيوانات محبوسة وراء الزجاج، وحذاؤه المطاطى يحدث صريرا خفيفا جدا على الأرضية الخشبية، ففكرت فى نفسها: أهذا المكان الذى يقضى فيه شاب أمسية الأحد، فى رفقة الحفريات والحشرات المثبتة بالدبابيس؟!

بالخارج فى بداية الليل الكئيب، مشت جان مجهدة نحو مكان سيارتها وحذاؤها يكسر الثلج المتناثر على الأرض، وعند منتصف الطريق، توقفت، واستدارت لتفحص المبانى المظلمة وأحواض الضوء الناتجة عن عواميد الإنارة، لا أحد، لا شىء، فتحركت.

*ماتت فى الليل، هل رأت إيفا كاسوفيتز قاتلها وهو قادم إليها؟*

أسرعت الخطى، ومفاتيح سيارتها فى يدها، ووصلت إلى سيارتها التى تقف وحيدة فى ساحة السيارات، ولم تهدأ إلا بعد أن دخلت السيارة وأغلقت الباب، وقالت لنفسها: هذه القضية ترعبنى، *لا يمكننى السير فى ساحة سيارات بدون الشعور بأن الشيطان خلفى مباشرة.*

ويقترب منى.

# التاسع عشر

١ أغسطس، طريق القمر: ممتلئ.

أمس تحدثت معى والدتى فى أحلامى، موبخة إياى، وذلك لتذكرنى أننى أصبحت غير منظم، وسألتنى: " لقد علمتك كل الطقوس القديمة، لماذا؟ ألكى تتجاهلها؟ تذكر من أنت، أنت المختار" .

لم أنس، وكيف يمكننى ذلك؟ فمنذ سنواتى الأولى، روت لى قصص أجدادنا، مانيثو أمير سيبينيوتوس، فى عصر بطليموس الثانى، الذى كتب: " لقد بدأوا فى إطلاق النار على مدننا، وتسببوا فى جعل الشعب يعانى جميع أنواع الوحشية، فقد شنوا الحرب راغبين فى إبادة العرق" .

دم الصيادين يجرى فى عروقى.

هذه أسرار لم يعرفها حتى أبى المنشغل الغافل، فالرابط بين أبى وأمى عملى جدا، لكن بينى وبين أمى تسير الروابط عبر الزمن والقارات إلى أحلامى، فهى غير راضية عنى.

لذلك أخذت عنزة إلى الغابة الليلة.

أتت برغبتها لأنها لم تشعر يوماً بقسوة الإنسان، والقمر لامع جدا فلست فى حاجة إلى أى مصباح ليرينى الطريق، ومن ورائى سمعت صوت العنزة التى أخرجتها للتو من حظيرة أحد المزارعين لكنهم لم يتبعونى، وقد تلاشت أصواتهم مع دخولى فى الغابة، وكل ما أسمعه الآن هو صوت خطواتى

وصوت حوافر العنزة على أرضية الغابة.

وعندما سرنا مسافة كافية، ربطت العنزة بشجرة، فشعرت بما سيحدث وأصدرت صوتا مضطربًا عندما خلعت ملابسى وأصبحت عاريا، وركعت على المستنقع، كانت ليلة باردة، لكن رعدتى كانت ما أنتظره، رفعت السكين وتدفقت كلمات الطقوس من شفتى بسهوله كالمعتاد، العظمه لأميرنا، أمير الموت والدمار، عبر آلاف السنين هذه أيدينا من حدود البحر المتوسط إلى أراضى الفينيقيين وروما، إلى كل ركن فى الأرض، فنحن فى كل مكان.

وتدفقت الدماء كنبع ساخن.

وعندما توقفت، كنت عاريا، ماعدا حذائى ذا اللون الأحمر، وتحت ضوء القمر خضت فى الماء واغتسلت من دماء العنزة، وأصبحت نظيفا ومنتعشا، وهدأت نبضات قلبى أخيرا عندما ارتديت ملابسى وألقى الإرهاق بذراعه الثقيل على أكتافى، كنت على وشك النوم على الحشائش، لكنى لم أجرؤ على الاستلقاء؛ فأنا متعب جدا، قد لا أستيقظ إلا فى الصباح.

سرت مجهدا إلى المنزل، وبحثت عن قمة التل حتى وجدتها، كانت ليلى تقف على حافة المرج، امرأة نحيفة يلمع شعرها فى الضوء، وكانت تنظر إلىّ.

وسألتنى: "أين كنت؟".

"ذهبت للسباحة".

"فى الظلام؟".

"ذلك أفضل وقتا"، وسرت تجاهها ببطء، وكانت تقف ثابتة تماما، حتى عندما تحركت لدرجة كافية تمكننى من لمسها وقلت: "المياة دافئة، لا يستطيع أن يراك أحد وأنت تسبحين"، وكانت يدى باردة من البحيرة وارتعشت وأنا أربت على وجنتيها، هل هذا من الخوف أم الرغبة؟ لا أعلم، ما أعلمة أنها كانت تراقبنى فى الأسابيع الماضية لأننى كنت أراقبها وهناك شىء

يحدث بيننا، يقولون الجحيم يؤدى إلى الجحيم، وهناك مكان داخلها. لقد سمع الظلام ندائى ويناضل من أجل الحياة.

اقتربت أكثر، ورغم أنها أكبر منى، إلا أننى أطول منها. مددت ذراعى بسهولة حول خصرها وتقابلت شفتانا.

ولكن جعلتنى صفعتها أترنح للخلف.

وقالت: " إياك أن تلمسنى مجدداً" . واستدارت وسارت إلى المنزل.

مازال أثر الصفعه على وجهى، ووقفت فى الظلام منتظرا أن يتلاشى أثر الصفعة. ليس لديها أدنى فكرة عمن أكون، وعمن أهانته للتو، وليس لديها أدنى فكرة عن عواقب فعلتها تلك.

ولم أنم تلك الليله.

وظللت مستيقظا فى سريرى، أفكر فى كل الدروس التى علمتنى إياها أمى عن الصبر وقضاء الوقت، وقالت لى: " أفضل جائزة ترضيك هى الفرد الذى تُجبر على الانتظار من أجله" ، وعندما أشرقت الشمس فى الصباح كنت مازلت فى السرير أفكر فى كلمات أمى، وأفكر أيضا فى تلك الصفعة المهينة، وكل الوسائل التى أظهرت بها ليلى وأصدقاؤها عدم الاحترام لى.

وبالأسفل، كانت العمة آمى فى المطبخ تعد الإفطار، وشممت رائحة القهوة واللحم المقدد، وسمعتها تنادى: " بيتر؟ أرأيت سكينتى العظمية؟" .

# العشرون

كعادة أيام الصيف الحاره كانت (بيازا دى سبانا) عبارة عن بحر يموج بالسياح المتصببين عرقا، يتحركون الكتف بالكتف، وتتدلى الكاميرات الغالية من أعنقاهم، وأوجههم محمرة بفعل حرارة الشمس تحت قبعات عريضة وكابات كرة القاعدة، ومن مكانها العالى، على السلالم الإسبانية، راقبت ليلى حركة الحشود، وهى تلاحظ تيارات البشر إلى عربات البائعين، مجموعات مختلفة من السياح المتنافسين، ونزلت السلالم وهى حذرة من النشالين وهى تبعد الباعة المتجولين الذين حاموا حولها كالذباب، ورأت رجالاً كثيرين يتابعونها، لكن اهتمامهم كان مجرد اهتمام وقتى، نظرة، ومضة من الأفكار الماجنة، ثم بعد ذلك تتوجه أبصارهم إلى امرأة أخرى، ولم تهتم بهم ليلى وهى تنزل إلى الساحة، وشقت طريقها بين اثنين على السلالم، مرت بشاب منحن على كتاب، ومرت عبر الحشود، وفى الزحام شعرت بالأمان، وأنها معزولة وغير معروفه، بالتأكيد ذلك مجرد وهم فليس هناك مكان آمن بالفعل، وبمرورها بالساحة والسياح الذين يلتقطون الصور والأطفال الذين يصدرون أصواتا عند تناولهم المثلجات، عرفت أنه من السهل جداً ملاحظتها، فالحشود توفر غطاء لكل من الفريسة والصياد.

وصلت إلى نهاية الساحة ومرت بمتجر يبيع أحذية وحقائب لمصممى أزياء مشهورين والتى لن تستطيع دفع

ثمنها فى تلك الفترة من حياتها، وخلف المتجر كان هناك بنك يستعمل بطاقات الائتمان، وكان هناك ثلاثة أفراد ينتظرون استعمال بطاقاتهم الائتمانية، فوقفت فى الصف، وعندما أتى دورها كانت قد نظرت جيدا فيمن يقفون بقربها وأدركت عدم وجود لصوص جاهزين ليسرقوا النقود، فالآن كان وقت سحب كمية كبيرة من النقود. إنها فى روما منذ أربعة أسابيع ولم تجد أى عمل، فرغم تحدثها الإيطالية بطلاقة فلم تجد بمقهى واحد أو بمتجر لبيع الهدايا التذكارية عملاً لها وكانت ستستعمل آخر خمسة يوروهات معها.

وأدخلت بطاقتها الائتمانية، وطلبت ثلاثمائة يورو وانتظرت ظهور النقود، لكن خرجت بطاقتها من الماكينة مع الوصل المطبوع، ولم يكن هناك نقود، فنظرت فى الإيصال وشعرت فجأة بانقباض معدتها، فلم تكن تحتاج إلى أى ترجمة لما كان مكتوبًا عليه.

*الرصيد لا يكفى.*

فكرت وقالت لنفسها: *حسنا، ربما طلبت مبلغا كبيرا جدا مرة واحدة، اهدئى،* وأدخلت بطاقتها فى مكاكينة الصرف مرة ثانية وكتبت الرقم السرى، وطلبت مائتى يورو.

*الرصيد لا يكفى.*

وفى ذلك الوقت كانت السيدة الواقفة خلفها تطلق تنهيدات الاستعجال، وللمرة الثالثة أدخلت ليلى البطاقة، وطلبت مائة يورو.

*الرصيد لا يكفى.*

وسألتها السيدة الواقفة بجوارها: "أنت، أستنتهين قريبا؟ اليوم مثلاً؟".

واستدارت ليلى لتواجه السيدة، وبنظرة واحدة ممزوجة بالغضب تراجعت المرأة للخلف فى حذر. مرت ليلى بجوارها عائدة إلى الساحة، وكانت تسير بتهور ولمرة واحدة لم تهتم

بمن كان يراقبها، يتعقبها، وعند وصولها السلالم الإسبانية لم تعد هناك طاقة فى قدميها، فجلست على السلالم واضعة رأسها بين كفيها.

لقد ذهبت نقودها، كانت تعرف أن حسابها ينخفض وأنه سينفد قريباً، لكنها اعتقدت أن أموالها كافية لشهر آخر، هى الآن معها أموال تكفى وجبتين وكان ذلك كل ما لديها، لا فندق الليلة ولا سرير، لكن انتبهى، فهذه السلالم مريحة بدرجة كافية، ولم تستطع تخيل المنظر، وعندما تجوع، يمكنها دائما الغوص فى صناديق القمامة لتبحث عن بقايا بعض الأطعمة التى لم يكمل السياح تناولها.

*هل أخدع نفسى؟ علىَّ الحصول على بعض المال.*

رفعت رأسها وجالت بنظرها فى الساحة، كان هناك الكثير من الرجال بمفردهم، *مرحبا، يا رفاق، أيرغب أى شخص فى دفع أموال ليقضى وقتا مع فتاة مثيرة ومحبطة؟* ثم رأت ثلاثة من رجال الشرطة وأدركت أن هذا ليس بمكان جيد لتبحث فيه عن مبتغاها، فالقبض عليها سيكون غير ملائم؛ وربما يكون مميتًا أيضا.

وفتحت حقيبة ظهرها وبحثت عما بداخلها، ربما كان هناك حفنة من المال نسيت أمرها، أو قليل من العملة الفضية فى أسفل الحقيبة، ولحظها السيئ، فلم تجد بنسا واحدا، وإنما وجدت لفة من نبات النعناع، وقلماً ببلية دوارة، ولم تجد نقوداً.

لكنها عثرت على بطاقة عمل مطبوع عليها اسم فيلبو كافالى، ولمع وجهه فى ذاكرتها فى لحظة، سائق الشاحنة ذو العيون الخبيثة، فقد قال: "إذا لم تجدى مكاناً تمكثين فيه، فلدىَّ شقة فى المدينة".

*حسنا، خمن ماذا؟ ليس لدىَّ مكان لأمكث فيه.*

وجلست على السلالم، وهى تقلب البطاقة بين أصابعها بلا وعى حتى انثنت وذبلت، تفكر فى فيلبو كافالى وعينيه الخبيثتين، ووجهه غير الحليق، ما مدى شناعة الأمر؟ لقد فعلت أشياء أسوأ فى حياتها، أسوأ بكثير.

*ومازلت أفعل تلك الأشياء.*

أغلقت حقيبة ظهرها وبحثت عن هاتف، وفكرت قائلة: عيون خبيثة أم لا، فعلىَّ أن آكل.

ووقفت فى الردهة أمام شقة 4-G، وهى تهندم قميصها بعصبية وتهيئ من وضع شعرها، وبعد ذلك تساءلت لماذا تهتم بحق الجحيم، إذا وضعت بعين الاعتبار مدى القذارة التى بدا عليها الرجل فى آخر مرة رأته فيها، يا إلهى، على الأقل لا تجعل أنفاسه كريهة! يمكنها التعامل مع الرجال البدينين وقبحى الهيئة، يمكنها فقط إغلاق عينيها وعدم النظر إليهم، لكن رجلاً أنفاسه نتنة...

انفتح الباب وقال فيلبو: "ادخلى!".

من نظرتها الأولى ناحيته، رغبت فى الاستدارة والهروب، كان كما تذكرته بالضبط، فكه شائك، ونظرته الجائعة التهمت وجهها بالفعل، ولم يهتم حتى بارتداء ملابس لطيفة لينتظرها، ولكن كان يرتدى قميصا بدون أكمام وبنطالاً فضفاضاً، لماذا عليه الاهتمام بتنظيف نفسه؟ فقد عرف بالتأكيد ما الذى دعاها للمجىء إليه، بالتأكيد ليس جسده المشوق أو ذكاءه أو وسامته الشديدة.

دخلت الشقة، التى تفوح منها رائحة الثوم ودخان السجائر، باستثناء ذلك لم تكن مكاناً كريهاً جداً، فقد رأت أريكة ومقاعد، وكومة مرتبة من الصحف، ومنضدة لشرب القهوة، ونافذة تواجه شقة أخرى، وعبر الحائط يمكنها سماع صوت جهاز تلفاز الجار.

وسألها: "أترغبين فى بعض القهوة، كارول؟".

*كارول! لقد نسيت تقريبا الاسم الذى أخبرته به،* وأجابت: "نعم، رجاء، وهل لديك شيء لآكله؟".

"طعام؟ بالطبع"، وابتسم لكن عينيه لم تتوقفا عن النظر بخبث، فهو يعلم أن هذه هى المقدمات قبل إتمام الصفقة، وأحضر خبزاً وجبناً وطبقاً صغيراً من عيش الغراب الملح، شيء أشبه بالوجبة الخفيفة، إذن، فذلك كان ما تستحقه، فالقهوة كانت رخيصة، ولاذعة، لكنها شربت كوبين منها أثناء تناولها الطعام، فذلك أفضل من شرب ما سيأتى بعد ذلك، وجلس يشاهدها من المطبخ وهى تشرب قهوته، كم عدد النساء اللاتى أتين إلى شقته؟ بالتأكيد لم تأت أى واحدة منهن برغبتها، فهن بالتأكيد مثل ليلى، ربما احتجن إلى كوب أو اثنين أو ثلاثة من القهوة قبل الدخول فى العمل.

سار إلى المنضدة، وتسمرت مكانها وهو يفتح الزرين العلويين لقميصها، وجلس بعد ذلك يحملق فيها.

حاولت تجاهله وأمسكت بقطعة من الخبز، وبعد ذلك أفرغت كوب القهوة وصبت لنفسها واحدا آخر.

وقف وراءها، وانتهى من فك أزرار قميصها ثم بدأت الصفقه.

وعندما انتهى من رغباته غلبه النعاس.

تركته نائما على أرضية غرفة المعيشة وذهبت إلى الحمام لتستحم، وقضت عشرين دقيقة تحت الماء تزيل كل أثر له على جسدها، ورجعت إلى غرفة المعيشة لتتأكد من أنه مازال نائما، وبهدوء تسللت إلى غرفة نومه وبحثت فى درج ملابسه، وتحت كومة من الجوارب، وجدت رزمه من الأوراق الماليه - ستمائة يورو على الأقل، وفكرت فى نفسها: *لن يفتقد مائة يورو، وقد كسبتها على أية حال.*

ارتـدت ملابسها وكانت ستحمل حقيبة ظهرها، لكنها سمعت صوت خطوات أقدامه وراءها.

وسألها: "أسترحلين بهذه السرعة؟ كيف تشبعك مرة واحدة؟"، استدارت ببطء لتنظر إليه وأجبرت نفسها على الابتسام، قائلة: "مرة واحدة معك، فيلبو، مثل عشر مرات مع أى رجل آخر".

وابتسم قائلاً: "هذا ما تخبرنى به النساء دائماً".

*إذن فجميعهن كاذبات.*

"انتظرى، سأعد لك الغداء". وسار ناحيتها وتلاعب بخصلة من شعرها، مضيفاً: "انتظرى، ربما -"

وفكرت لمدة ثانيتين: إذا كان هذا مكان قضائها الليل فسيتطلب ذلك ثمنا غاليا، فقالت وهى تدير ظهرها: "علىَّ أن أرحل".

"رجاء انتظرى"، توقف ثم أضاف بنبرة إحباط: "سأدفع لك".

توقفت ونظرت إلية ثانية.

قال برقة: "هذا هو السبب، أليس كذلك؟"، وتلاشت ابتسامته وتحول وجهه إلى قناع كئيب، فلم يعد ذلك المحب المختال، بل صار رجلاً حزينًا ضخم البطن فى منتصف العمر بلا امرأة فى حياته. لمرة، اعتقدت أن عينيه بهما خبث؛ والآن فإن هاتين العينين تبدوان مرهقتين، ومنكسرتين. وتنهد قائلا: "أعلم أن ذلك صحيح، لم تأتى من أجلى، فالنقود هى ما تريدينها".

وللمرة الأولى، لم يثر النظر إليه تقززها، وللمرة الأولى أيضا، قررت أن تكون صادقة معه.

اعترفت قائلة: "نعم، أحتاج نقودًا، فأنا مفلسة ولا أستطيع العثور على عمل فى روما".

"لكنك أمريكية ويمكنك العودة إلى بلادك".

"لا يمكننى العودة إلى بلادى".

"لم لا؟".

نظرت بعيداً وقالت: "لا يمكننى وحسب، ليس هناك شىء يخصنى هناك بأية حال".

وفكر فى كلماتها لدقيقة وتوصل إلى استنتاج معقول، فقال: "أتبحث عنك الشرطة؟".

"لا، ليس الشرطة -"

"إذن، فممن تهربين؟".

*أهرب من الشيطان نفسه،* ذلك ما فكرت فى قوله، لكن لم تستطع قول ذلك، فسيعتقد أنها مجنونة لا محالة، وأجابت ببساطة: "رجل، شخص ما يطاردنى".

*ربما ما فكر فيه صديق عدوانى،* وأومأ متعاطفا: "إذن فأنت تحتاجين إلى أموال، تعالى إذن، يمكننى إعطاؤك بعض المال". وتوجه إلى حجرة نومه.

"انتظر فيلبو"، فقد شعرت بتأنيب الضمير الآن وأخرجت من جيبها المائة يورو التى أخذتها من خزانة ملابسه، كيف يمكنها سرقة رجل محبط ويتوق إلى الرفقة؟ وقالت: "أنا آسفة، هذا المبلغ يخصك، لقد احتجت إليه الفعل لكن ما كان ينبغى علىَّ أخذه"، ووضعت النقود فى راحة يده غير قادرة على النظر فى عينيه، وقالت: "سأتدبر أمورى". واستدارت راحلة.

"كارول، هل هذا اسمك الحقيقى؟".

توقفت ويدها على المقبض، قائلة: "إنه مثل أى اسم آخر".

"قلت إنك تحتاجين إلى عمل، ما الذى يمكنك فعله؟".

نظرت إليه، قائلة: "سأفعل أى شىء، يمكننى تنظيف البيوت، والعمل كنادلة، لكن يجب أن أقبض النقود فى يدى وليس على بطاقة ائتمانية".

"لغتك الإيطالية جيدة". ونظر إليها مفكراً: "لدىَّ ابنة عم هنا فى المدينة". وأخيراً قال: "إنها تنظم جولات سياحية".

"أى نوع من الجولات السياحية؟".

"إلى المبانى الرومانية" وهز كتفيه قائلاً: "أنت تعرفين كل الأماكن التى يذهب إليها السياح فى روما، فى بعض الأحيان تحتاج إلى مرشدين يجيدون الإنجليزية، لكن يجب أن يكونوا متعلمين".

"أنا متعلمة! لدىَّ درجة جامعية فى الدراسات الكلاسيكية".

جعل الأمل ضربات قلبها تتسارع، فأضافت: "فى الواقع، أعرف كثيرا عن التاريخ، عن العالم القديم".

"لكن هل تعلمين شيئا عن روما؟".

ضحكت ليلى ضحكة مفاجئة ووضعت حقيبتها قائلة: "فى الواقع، أعرف الكثير".

# الحادى والعشرون

وقفت مورا على الممشى الجانبى المغطى بالثلج، تنظر إلى منزل بيكون هيل حيث نوافذه كلها مضاءة، وضوء النار يضىء الردهة الأمامية، كما فى المرة الأولى التى دخلته فيها عبر الباب عندما كانت واقعة تحت إغراء ضوء اللهب وكوب من القهوة. أما اليوم فما أتى بها إلى المنزل كان الفضول، حول رجل أعجبها، وفى نفس الوقت أرعبها قليلا. ضغطت الجرس وسمعت صوته بالداخل، يرن فى الحجرات التى ستراها بعد قليل، وتوقعت أن يفتح الخادم الباب وفوجئت عندما فتح أنتونى سانسون الباب بنفسه،

قال أثناء دخولها: "لم أكن واثقا أنك ستأتين بالفعل".

واعترفت قائلة: "ولا أنا".

"سيصل الآخرون فيما بعد، واعتقدت أنه من الأفضل أن نتحدث بمفردنا أولا". ساعدها فى خلع معطفها ودفع اللوحة السرية ليكشف خزانة الملابس، فى منزل هذا الرجل تخفى الجدران نفسها مفاجآت. "إذن، لماذا قررت أن تأتى إلىَّ بعد كل ذلك؟".

"قلت إن لدينا اهتمامات مشتركة، وأردت أن أعرف ما الذى تقصده بذلك".

علق معطفها ورجع إليها، وبدا كطيف بعيد متشح بالسواد ذهبى الوجه بسبب انعكاس ضوء النار عليه، وقال: "الشيطان،

هذا هو الشيء الذى نتشارك الاهتمام به، فقد رآه كل منا قريباً منه، ونظرنا فى وجهه وشممنا أنفاسه، وشعرنا به يحدق فينا".

"لقد رآه الكثير من الناس".

"لكنك عرفته على نحو شخصى عميق".

"أنت تتحدث عن والدتى ثانية".

"لقد أخبرتنى جويس أنه ليس هناك أحد يستطيع حصر ضحايا أمالثيا".

"لم أتتبع هذا التحقيق، فقد ظللت بعيدة عنه، وآخر مرة رأيت أمالثيا فيها كان فى شهر يوليو وليس لدىَّ خطط لزيارتها ثانية".

"تجاهل الشر لا يجعله يرحل بعيداً عنا، فهو مازال هناك، جزءا من حياتك -"

"ليس جزءا منى".

"- وفقا لتحليل الـ دى. إن. إيه. الخاص بك".

"مجرد حادث ولادة، فنحن لسنا كآبائنا".

"لكن إلى درجة معينة يا مورا، فجرائم أمك يجب أن يكون لها أثر عليك، ومن المؤكد أنك تتعجبين من ذلك".

"هل أنا وحش أيضا؟".

"أتتساءلين؟".

سكتت، واعية بالطريقة التى ينظر إليها بها، ثم قالت: "لست كأمى فى أى شيء، فأنا أناقضها تماما، انظر إلى المهنة التى اخترتها، والعمل الذى أقوم به".

"أهذا شكل من أشكال التكفير عن الذنب؟".

"ليس لدىَّ شيء لأكفر عنه".

"كلا، لقد اخترت العمل لمصلحة الضحايا، والعدالة، لا يتخذ أحد ذلك الاختيار أو يقوم به بنفس مهارتك وحدتك،

وذلك سبب دعوتي لك الليلة"، وفتح الباب المؤدى إلى الحجرة التالية وقال: "وذلك سبب رغبتى فى أن أريك شيئاً ما".

تبعته إلى غرفة طعام خشبية حيث كانت منضدة الطعام الضخمة معدة بالفعل للعشاء، ولاحظت خمسة مقاعد وأدوات المائدة الزجاجية والخزف المزينة حوافه بالذهب، وبالداخل كانت هناك مدفأة أخرى، بلهب يتراقص على الموقد، لكن الغرفة بسقفها المزود باثنتى عشرة دعامة كانت فى الجانب البارد، وكانت سعيدة لأنها احتفظت بسترتها الصوفية.

سألها: "أولا، كوب من القهوة؟".

"نعم، أشكرك".

صب القهوة وأعطاها كوبا، لكنها لم تنظر إلى الكوب؛ بل ركزت على صور الأشخاص المعلقة على الحوائط، معرض للوجوه، للرجال والنساء، التى تنظر إليك عبر القرون.

قال: "هذا بعض من كثير، فهذه الصور التى استطاعت عائلتى الحفاظ عليها عبر السنين، بعضها نسخ معاصرة، وبعضها تقليد ممتاز لشدة الشبه بين الصورة والأصل، لكن القليل من هذه الصور أصلية، فمن المؤكد أن هؤلاء الأشخاص كانوا أحياء يوماً ما"، وسار فى الحجرة ليقف بجوار صورة واحدة بالتحديد، كانت صورة سيدة شابة، عيناها سوداوان ولامعتان، وقد جُمع شعرها الأسود برقه عند مؤخرة عنقها، وكان وجهها بيضاويًا شاحبًا، وفى تلك الحجرة الباهتة التى تضيئها النيران بدا جلدها شفافًا وحيًا لدرجة أن مورا يمكنها تخيل نبضات الدم فى رقبتها البيضاء، وكانت السيدة الشابة تنظر نحو الرسام، نظرة مباشرة ليس بها خوف، وثوبها البرجندى تلمع فيه خيوط ذهبيه.

قال سانسون: "كان اسمها إيزابيلا، وتم رسم تلك اللوحة قبل شهر من زواجها، وقد كانت اللوحة فى حاجة لبعض الترميم، فقد كانت هناك بعض العلامات على قماش اللوحة.

كانت تلك اللوحة محظوظة لتنجو من الحريق الذى اندلع فى منزل صاحبة الصورة".

"إنها جميلة".

"نعم، كانت جميلة، لسوء حظها".

عبست مورا وقالت: "لماذا؟".

"تزوجت نيكولو كونينى، أحد نبلاء فينيسيا، وكل الروايات تؤكد أن زيجتهما كانت سعيدة جدا حتى" – سكت – "حتى دمر أنطونينو سانسون حياتهما".

نظرت إليه مندهشة: "أهو ذلك الرجل الموجود فى اللوحة؟ فى الغرفة الأخرى؟".

وأومأ قائلاً: "جدى الأكبر المميز، نعم كان قادرا على تبرير كل أفعاله باسم اقتلاع جذور الشيطان، وأقرت الدولة كل ذلك – التعذيب وإراقة الدماء والمقصلة، والفينيسيون خصوصا كانوا خبراء فى التعذيب ومبدعين فى ابتكار أدوات أكثر من وحشيه لانتزاع الاعترافات، ساعات قليلة فى الزنزانة مع سنيور سانسون تجعل أى فرد يناشده إثبات إدانته فى التهم الموجهة إليه، سواء كان الاتهام ممارسة السحر، أو عمل تعاويذ لجيرانك أو التعامل مع الشيطان، والاعتراف بشىء من هذا كان الطريقة الوحيدة لإيقاف الألم ليمنحك رحمة الموت، التى لم تكن فى حد ذاتها رحمة، لأن معظمهم كانوا يحرقون أحياء"، ونظر فى اللوحات حول الغرفة، فى وجوه الموتى، قائلاً: "كل هؤلاء الأشخاص الذين ترينهم هنا عانوا على يديه، الرجال، النساء، والأطفال - لم يفرق بينهم، ويقال إنه كان يستيقظ كل يوم متحمسا لتنفيذ المهمة، فيغذى نفسه كل يوم بوجبة إفطار مكونة من اللحم والخبز، وبعد ذلك يرتدى ملابسه الملوثة بالدماء ويذهب للعمل ليجتث جذور المهرطقين، ورغم وجود حوائط حجريه سميكة، فقد كان المارة فى الشارع يسمعون الصرخات".

ودارت نظرات مورا حول الحجرة، تنظر إلى وجوه الأشخاص المشئومين وتخيلت نفس الوجوه مجروحة ومتلوية من الألم، ما طول المدة التى صمدوا فيها؟ ما المدة التى تشبثوا فيها بأمل الهروب، فرصه للحياة؟

قال: "لقد هزمهم أنطونينو جميعا، باستثناء واحدة". وعادت نظراته إلى السيدة ذات العيون اللامعة.

"هل نجت إيزابيلا؟".

"كلا، لم ينج أحد من اتهاماته، فقد ماتت كالآخرين، لكنه لم يهزمها أبدا".

"هل رفضت الاعتراف؟".

"أو الاستسلام، كان عليها أن تورط زوجها، وتتهمه بالهرطقة والشعوذة، ولو فعلت ذلك ربما كانت ستعيش، لأن أنطونينو لم يكن يريد اعترافها بل كان يريدها هى".

*جمالها كان من سوء حظها، هذا ما يعنيه كلامه.*

وقال: "عام وشهر، تلك المدة التى بقيت فيها على قيد الحياة فى الزنزانة بدون دفء وبدون نور، وكل يوم كان بمثابة جولة جديدة من عذابها"، ونظر إلى مورا مستطرداً: "لقد رأيت الأدوات المستعملة فى تلك الفترة، لا يمكننى تخيل أى نسخة من الجحيم قد تكون أسوأ من ذلك".

"ولم يهزمها أبدا؟".

"قاومت حتى النهاية، حتى عندما أخذوا ابنها حديث الولادة، حتى عندما حطموا يدها، وسلخوا جلد ظهرها، ونزعوا أجزاء من مفاصلها. وكل فعل وحشى مسجل بدقة فى دفاتر أنطونينو الشخصية".

"أرأيت تلك الدفاتر بنفسك حقاً؟".

"نعم، تناقلتها عائلتنا عبر العصور، وهى الآن مخزنة فى سرداب، مع أجزاء أخرى غير سارة من إرث تلك الفترة".

"ياله من تراث شنيع".

"هذا ما قصدته عندما قلت لك إن لدينا اهتمامات مشتركة، فكلانا ورث الدم المسمم".

ورجعت بنظراتها إلى وجه إيزابيلا ثانية وفجأة سجلت شيئاً قاله منذ دقائق مضت، لقد *أخذوا منها ابنها حديث الولادة.*

فنظرت إليه قائلة: "لقد قلت إنها رزقت بطفل فى السجن".

"نعم، ولد".

"ما الذى حدث له؟".

"تم وضعه فى دار رعاية محلية، حيث تمت تنشئته هناك".

"لكنه كان ابن مهرطقين، لماذا سمحوا له أن يعيش؟".

"بسبب والده".

ونظرت إليه كما لو أدركت الأمر فجأة وقالت:

"أنطونينو سانسون؟".

فأومأ قائلاً: "ولد الطفل بعد أحد عشر شهرًا من سجن والدته".

قالت لنفسها: *طفل امرأة مغتصبة، إذن فهذا هو نسل آل سانسون، فهو يرجع إلى طفل امرأة مشئومة.*

*ووحش.*

ونظرت إلى اللوحات الأخرى المعلقة فى الحجرة، قائلة: "لا أعتقد أننى أرغب فى وجود تلك الصور معلقه بمنزلى".

"أتعتقدين أن ذلك يسبب الكآبة".

"كل يوم سأتذكر ما حدث لهم، وستراودنى أفكار عن طريقة موتهم".

"إذن، ستخزنينها فى خزانة؟ وتتجنبين حتى النظر إليها، بنفس الطريقة التى تتجنبين بها التفكير بوالدتك؟".

تعصبت قائلة: "ليس لدىّ سبب لأفكر فيها، فليس لها دور فى حياتى".

"لكنها كذلك بالفعل، وأنت تفكرين فيها، أليس كذلك؟ لا يمكنك تجنب ذلك".

"أنا متأكدة أننى لن أعلق صورتها فى حجرة معيشتى"، ووضعت كوب القهوة على المنضدة وقالت: "ما تقوم به هو نوع عجيب من عبادة الأجداد، بإظهار معذب عائلتك بالردهة الأمامية كشىء تفخر به، وهنا فى حجرة الطعام تحتفظ بمعرض لصور الضحايا، كل هذه الوجوه تحدق فيك، مثل مجموعة النصب التذكارى، هذه الأشياء لا يعرضها إلا -".

***لا يعرضها إلا صياد.***

سكتت محدقة فى كوبها الفارغ وهى تتأمل الغرفة بهدوء، مقاعد لخمسة أشخاص كانت مجهزة حول المنضدة، ومع ذلك كانت هى الضيفة الوحيدة التى وصلت بالفعل وربما تكون هى الضيف الوحيد الذى تمت دعوته،

وأجفلت عندما مسح ذراعها وأمسك بالكوب الفارغ، واستدار ليملأها ثانية، وحدقت فى ظهره وفى العضلات البارزة تحت قميصه ذى الياقة الضيقة، وبعد ذلك استدار ليواجهها ممسكا بكوب القهوة، وأخذته منه، لكن لم ترتشف منه رشفة واحدة رغم أن حلقها أصبح جافا فجأة.

سألها برقة: "أتعرفين سبب وجود هذه الصور هنا؟".

"لقد وجدت ذلك فقط ... غريبا".

"لقد كبرت معها، فهى معلقة فى منزل والدى، وذلك منزل والده، ونفس الأمر مع صورة أنطونينو، لكنها عادة فى حجرة منفصلة، دائما فى المكان البارز".

"مثل المذبح".

"إلى حد ما".

"أنت تكرم هذا الرجل؟ الشرير؟".

"نحن نبقى ذكراه حية، ولن نسمح لأنفسنا بنسيان من – وما – كان".

"لماذا؟".

"لأن تلك هى مسئوليتنا، واجب مقدس قبلته أجيال آل سانسون منذ فترة طويلة، بدءاً بابن إيزابيلا".

"الطفل المولود بالسجن".

وأومأ قائلا : "عندما بلغ فيتوريو سن النضج، مات السنيور سانسون، لكن انتشرت سمعته كوحش ولم يعد اسم سانسون شيئاً يتشرف المرء به بل صار لعنة، وكان بإمكان فيتوريو الهروب من اسمه، وإنكار دمائه، لكنه فعل عكس ذلك تماما فقد اعتنق اسم سانسون، وحمل أوزاره".

"لقد تحدثت عن واجب مقدس، أى نوع من الواجب؟".

"لقد أخذ فيتوريو عهداً على نفسه أن يكفر عما فعل والده، وإذا نظرت إلى شعار عائلتنا سترين هذه الكلمات : *سيد ليبرا نوس آ مالو*".

نظرت إليه قائلة: "إنها باللاتينية وتعنى (خلصنا من الشر)".

"هذا صحيح".

"وما الذى يتوقع أن يفعله آل سانسون بالتحديد؟".

"اصطياد الشيطان يا دكتورة، هذا ما نفعله".

ولدقيقة لم تستجب، وقالت لنفسها: *لا يمكن أن يكون جاداً*، لكن نظراته واثقة جداً.

وقالت فى النهاية: "أنت تعنى رمزيا، بالطبع".

"أعلم أنك لا تؤمنين بوجوده حقا".

"الشيطان؟". لم تستطع منع نفسها من الضحك.

قال: "الناس ليس لديها مشكلة بالإيمان بوجود الله".

"وذلك سبب تسميته الإيمان، فذلك لا يتطلب أى دليل".

"إذا كنا نؤمن بالضوء، فعلينا الإيمان بالظلام أيضا".

"لكنك تتحدث عن مخلوق فوق الطبيعة".

"أنا أتحدث عن الشر، مركزاً فى أنقى صوره، ظاهراً فى هيئة مخلوقات من لحم ودم تسير بيننا، هذا لا يتعلق بالقتل المتهور، الزوج الغيور الذى وصل لأقصى طاقاته، أو الجندى الخائف الذى يقتل عدواً غير مسلح، أنا أتحدث عن شيء مختلف تماما، الأشخاص الذين يبدون كالبشر، لكنهم أبعد ما يكون عن ذلك".

"الشياطين؟".

"إذا أردت أن تسميهم كذلك".

"وأنت تؤمن بوجودهم بالفعل، هؤلاء الوحوش أو الشياطين أو مهما كان ما تسميهم به؟".

قال بهدوء: "أنا أعرف بوجودهم".

وأجفلها صوت جرس الباب، فنظرت ناحية الردهة الأماميه، لكن سانسون لم يتحرك ليجيب الجرس، وسمعت صوت أقدام وبعد ذلك سمعت صوت الخادم يتحدث فى الردهة.

"مساء الخير سيدة فيلواى، أيمكننى أخذ معطفك؟".

"لقد تأخرت كثيراً جيرمى، آسفة".

"السيد ستارك والدكتورة أودونيل لم يصلا بعد أيضاً".

"حقا؟ أشعر بتحسن الآن".

"السيد سانسون والدكتورة آيسلز فى حجرة الطعام، إذا أردت الانضمام إليهما".

"يا إلهى، أيمكننى تناول مشروب ما؟".

كانت المرأة التى دخلت إلى الحجرة فى طول رجل وبدت مرعبة، فأكتافها المربعة بارزه بسترة فضفاضة من التويد وعليه قطع من الجلد على الأكتاف، ورغم وجود خطوط بيضاء بشعرها، فقد تحركت بنشاط الشباب وثقة السلطة، ولم تتردد بل سارت مباشرة تجاه مورا.

"من المؤكد أنك د. آيسلز" وصافحتها قائلة: "إدوينا فيلواى".

أعطى سانسون المرأة كوبا من القهوة وقال: "ما حالة الطرق بالخارج، وينى؟".

"غادرة" وارتشفت رشفة من الكوب وقالت: "أنا مندهشة لعدم وصول (أولى) إلى هنا بالفعل".

"إنها الثامنة فقط الآن، وسيأتى مع جويس".

كانت نظرات إدوينا معلقة على مورا، وكانت عيناها تنظران إليها مباشرة وبشكل متطفل، ثم قالت: "هل هناك أى تقدم فى القضية؟".

قال سانسون: "لم نتحدث عن ذلك".

"حقا؟ لكن ذلك الشىء الوحيد الذى يدور فى رءوسنا جميعاً".

قالت مورا: "لا أستطيع مناقشة ذلك، وأنا متأكدة أنك تتفهمين السبب".

نظرت إدوينا إلى سانسون وقالت: "أتقصد أنها لم توافق بعد؟".

سألت مورا: "أوافق على ماذا؟".

"الانضمام إلى جماعتنا، د. آيسلز".

"وينى، أنت تسبقين الأحداث كثيرا، أنا لم أشرح لها الأمر بشكل كامل –"

قالت مورا: "منظمة مفيستو؟ أهذا ما تتحدثون عنه؟".

ساد الصمت، وبدأ جرس الهاتف فى الرنين بالغرفة المجاورة.

وضحكت إدوينا فجأة، قائلة: "إنها تسبقك بخطوة، أنتونى".

سألها وهو ينظر إليها: "كيف عرفت عن المنظمة؟". وتنهد تنهيدة تنم عن معرفته قائلاً: "المحققة ريزولى بالطبع، لقد

عرفت أنها كانت تطرح بعض الأسئلة".

قالت مورا: "إنها تتقاضى راتبها لتطرح الأسئلة".

"هل اقتنعت أخيرا بأننا لسنا موضع شبهات؟".

"كل ما في الأمر أنها لا تحب الأشياء الغامضة، وجماعتكم غامضة جداً".

"وذلك سبب قبولك دعوتي اليوم، لتعرفي من نحن".

قالت مورا: "أعتقد أنني توصلت إلى ذلك، وأعتقد أنني سمعت ما يكفي لأتخذ قراري"، ووضعت كوبها، قائلة: "ما وراء الطبيعة لا يثيرني، أنا أعلم بوجود شر في العالم، لكن ليس عليك الإيمان بوجود شياطين يسيرون بيننا لتؤكد ذلك، فالبشر قادرون على القيام بالشر بشكل ممتاز".

سألت إدوينا: "باختصار فأنت غير مهتمة بالانضمام إلى المنظمة؟".

"أنا لا أنتمي إلى جماعتكم، وأعتقد أنه ينبغي عليَّ الرحيل الآن"، واستدارت لتجد جيرمي واقفا على مدخل الغرفة.

"سيد سانسون؟". كان الخادم ممسكا بهاتف محمول وقال: "لقد اتصل السيد ستارك للتو، وهو قلق جدًا".

"لماذا؟".

"كان من المفترض أن تأتي د. أودونيل وتقله بسيارتها، لكنها لم تأت بعد".

"متى كان يفترض أن تأتي إلى منزله؟".

"منذ خمس وأربعين دقيقة مضت، وهو يتصل بها ولا تجيب سواء على هاتفها المحمول أو هاتفها المنزلي".

"دعني أحاول الاتصال بها". وأمسك سانسون الهاتف واتصل بها، وكان ينقر بيده على المنضدة وهو ينتظر، وقطع الاتصال، واتصل ثانية وأصابعه تنقر على المنضدة أسرع من المرة السابقة، ولم يتحدث أي فرد في الحجرة؛ كانوا جميعا يراقبونه ويستمعون إلى إيقاع أصابعه، في الليلة التي ماتت

فيها إيفا كاسوفيتز، كان هؤلاء الأشخاص يجلسون بنفس الحجرة، وهم غير مدركين أن الموت بالخارج مباشرة، وأنه وجد طريقه إلى داخل حديقتهم، وترك رموزه الغريبة على بابهم. لقد تم وضع علامة على هذا المنزل.

*ربما كان الأشخاص الموجودون بداخله موسومين بنفس العلامة أيضا.*

وضع سانسون السماعة.

وسألته مورا: "أليس عليك الاتصال بالشرطة؟".

"أوه، ببساطة ربما تكون جويس قد نسيت الأمر، يبدو أننا سنكون متعجلين إذا اتصلنا بالشرطة".

قال جيرمي: "أتريدني أن أقود السيارة وأفحص منزل د. أودونيل؟".

حدق سانسون لدقيقة في الهاتف، ثم قال: "لا"، وقال أخيراً: "سأذهب بنفسي، عليكم البقاء هنا لكي تتلقوا مكالمة جويس إذا اتصلت".

تبعته مورا إلى الردهة، ووجدته يشد معطفه من الخزانة فسحبت هي، أيضاً، معطفها.

"رجاء انتظري واستمتعي بطعامك" قال ذلك وهو يبحث عن مفاتيح سيارته وأضاف: "ليس هناك داعٍ لأن تسرعي إلى منزلك".

قالت مورا: "لست ذاهبة إلى المنزل، أنا آتيه معك".

# الثانى والعشرون

كان ضوء الردهة الأمامية لمنزل أودونيل مضاءً، لكن لم يفتح أحد الباب.

حاول سانسنون استعمال مقبض الباب ثم قال: "إنه مغلق"، وأمسك هاتفة الخلوى وقال: "دعينى أحاول الاتصال بها مرة أخرى".

وأثناء اتصاله، سارت مورا بعيدا عن الساحة الأمامية ووقفت عند بوابة المنزل، تحدق فى منزل أودونيل، فى نافذة الطابق الثانى التى ينعكس ضوؤها المرح فى الليل، وسمعت صوتا ضعيفا لهاتف يرن بالداخل، وبعد ذلك ساد الهدوء.

قطع سانسون الاتصال وقال: "لقد أجابت آلة الرد الموجودة بهاتفها".

"أعتقد أنه الوقت المناسب لأتصل بـ ريزولى".

"ليس بعد"، وأخرج كشافاً يدوياً وسار على المشى الجانبى تجاه جانب المنزل.

"إلى أين تذهب؟".

استمر فى السير تجاه الطريق المجهز للسيارات بالمنزل، يذوب معطفه الأسود فى الظلام، وانزلق ضوء المصباح على الألواح الحجرية ثم اختفى سانسون وراء الزاوية.

ووقفت بمفردها فى الساحة الأمامية، تستمع إلى خشخشة الأوراق المتساقطة من فوقها، ونادت: "سانسون؟" لكنه لم يجب ولم تسمع إلا صوت ضربات قلبها. تبعته تجاه ركن المنزل، وتوقفت فى الطريق الخالى الممهد للسيارات، وكان شكل المرآب يلوح أمامها، وبدأت فى مناداته ثانية لكن هناك شيئاً أخرسها: الوعى بشخص آخر يراقبها، يتتبعها، فاستدارت ونظرت إلى الشارع بسرعة، ورأت نفايات من الأوراق التى تحملها الرياح فى الشارع مثل الأكاليل المهتزة.

وأمسكت يد بذراعها.

تعثرت وهى تعدو بعيدا عن اليد وهى تلهث، ورأت نفسها تنظر إلى سانسون، الذى ظهر فجأة خلفها مباشرة.

وقال: "سيارتها مازالت بالمرآب".

"فأين هى، إذن؟".

"سأذهب إلى مؤخرة المنزل".

وفى تلك المرة لم تتركه يغيب عن ناظريها، بل تتبعته أثناء سيره عبر الساحة الخلفية، وهو يسير عبر الثلج العميق الذى لم ينكسر بطول المرآب، وعند وصولهم إلى الساحة الخلفية، كان بنطالها قد تشرب الماء، والثلج الذائب المتسرب إلى حذائها يجمد قدميها، وانزلق ضوء مصباحه اليدوى على شجيرات ومقاعد، كل ذلك مغطى بغطاء ناعم من اللون الأبيض، لا آثار أقدام، لا ثلج غير منتظم على الأرض، وكان هناك حائط مغطى بالنباتات المتسلقة حول الساحة، كمكان خاص مخبأ تماما عن الجيران. وهى هنا بمفردها مع رجل لا تعرفه جيدا.

لكن تركيزه لم يكن عليها، فكل تركيزه كان على باب المطبخ، الذى لا يمكنه فتحه. لدقيقه حدق فى الباب، يفكر فى الخطوة التالية، وبعد ذلك نظر إلى مورا.

وسألها: "أتعرفين رقم المحققه ريزولى؟ اتصلى بها".

أخرجت هاتفها الخلوى وسارت إلى نافذة المطبخ التماسا

للضوء القادم من المطبخ، وكانت على وشك الاتصال عندما نظرت إلى حوض المطبخ.

وهمست قائلة: "سانسون".

"ماذا؟".

"هناك دماء - قرب الحوض".

ونظر مرة واحدة ثم صدمتها حركته التالية، جرى إلى الساحة وأمسك أحد المقاعد وألقاه على النافذة الزجاجية، فانكسر الزجاج وتناثرت القطع الزجاجية المكسورة داخل المطبخ، واندفع للداخل، وبعد ثوان فتح الباب لمورا.

وقال: "هناك دماء على الأرضية أيضاً".

نظرت إلى بقع حمراء على الأرضية، وجرى سانسون خارجا من المطبخ ومعطفه الأسود يتطاير من خلفه، ويتحرك بسرعة لدرجة أنه عند وصولها إلى أول السلالم، كان فى الدور الثانى بالفعل، ونظرت للأسفل فوجدت دماء أكثر، كميات منه على درجات السلم الخشبية حتى لوح القاعدة العليا للسلم، كما لو كان أحد أعضائها يستند على السلالم بينما يتم سحب الجسد للأعلى.

صرخ سانسون: "*مورا!*".

صعدت السلالم بسرعة، ووصلت إلى الطابق الثانى ورأت دماء أكثر، وسمعت الصوت مثل الماء المتدفق فى أنبوب تحت الماء، وقبل دخولها حجرة النوم، عرفت ما الذى كانت على وشك مواجهته: ليس ضحية ميتة، لكن ضحية تناضل بيأس لتحيا.

كانت جويس أودونيل مستلقية بظهرها على الأرض، وعيناها مفتوحتان عن آخرهما فى خوف مميت، وقطرات الدماء تتدفق من رقبتها، وتشهق بصعوبة، فالدم تدفق إلى رئتيها، وعطست، وتفجر رذاذ أحمر من حلقها وترك بقعاً فى وجه سانسون الذى كان ينحنى عليها.

أمرته مورا، قائلة: "سأتولى الأمرا اتصل بالطوارئ!" وانحنت على ركبتيها وضغطت بأصابعها العارية على الجرح، كانت معتادة على لمس اللحم الميت، وليس الحى، والدماء التى بين يديها كانت ساخنة بشكل صدمها، فكرت وقالت تلك هى القواعد الأولية للمساعدة فى تلك المواقف: منفذ للهواء، التنفس، الدورة الدموية، لكن بجرح قطعى حول الحلق لم يترك لها القاتل شيئاً تفعله، *أنا طبيبة لكن هناك القليل الذى يمكننى فعله لإنقاذها.*

أنهى سانسون مكالمته، قائلاً: "الإسعاف فى الطريق، ما الذى يمكننى فعله؟".

"أحضر بعض المناشف، أحتاج إلى أن أوقف النزيف!".

وفجأه أمسكت يد أودونيل معصم مورا، أمسكتها بقوة الرعب والألم، كانت بشرتها ملساء، وأنزلقت يد مورا من على الجرح ونتج عن ذلك تدفق من جديد، نفس آخر، عطسة أخرى نتج عنها رذاذ جديد من القصبة الهوائية المجروحة، كانت أودونيل تنهار، فمع كل نفس كانت تستنشق دماءها، التى كانت تتدفق فى قصبتها الهوائية وتندفع فى فكها، وقد فحصت مورا الرئتين المجروحتين من قبل لضحايا آخرين تم قطع حناجرهم؛ فهى تعرف طريقة الموت.

*والآن أشاهد ذلك يحدث، ولا يمكننى عمل شىء لإيقافه.*

واندفع سانسون مرة أخرى إلى الحجرة وهو يحمل مناشف، وضغطت مورا بقطعة قماش على الرقبة، وتحول القماش الأبيض من فوره إلى اللون الأحمر، وضغطت أودونيل على معصم مورا بقوه أكثر، وتحركت شفتاها، لكن لم يمكنها التفوه بأى كلمة، فقط صوت الهواء المتصاعد عبر الدم.

قالت مورا: "حسناً، حسناً، تقريبا وصلت عربة الإسعاف".

وبدأت أودونيل ترتعد، وترتجف أطرافها كما لو كانت فى نوبة مرضية، لكن نظراتها كانت واعية ومركزة على مورا، *هل رأت ذلك فى عينى؟ أننى أعلم أنها تحتضر؟*

وانتبهت مورا على صوت سيارة الإسعاف البعيد.

قال سانسون: "ها هى".

"الباب الأمامى مغلق!".

"سأنزل لأقابلهم"، ونهض بسرعة وسمعت صوت أقدامه على السلالم إلى الطابق الأول.

كانت أعين أودونيل مازالت يقظة، تحدق، وشفتاها تتحركان أسرع الآن، وأصابعها بدت كمخلب يمسك بمعصم مورا، وبالخارج اقترب صوت سيارة الإسعاف، لكن فى تلك الغرفة كان الصوت الوحيد هو الأنفاس المتقطعة لسيدة تحتضر.

حثتها مورا: "ابقى معى، جويس! أعلم أن بإمكانك التحمل!".

وهزت أودونيل معصم مورا، هزة مؤلمة كانت ستزيل يد مورا من على الجرح، ومع كل لهثة، كان هناك رذاذ الدماء يخرج فى شكل دفعات شديدة، واتسعت عيناها، كما لو كات ترى الظلام ينتشر أمامها وقرأت مورا شفتيها وهى تقول *لا، لا*.

وفى تلك اللحظة أدركت مورا أن المرأة لم تكن تنظر إليها، لكن إلى شىء ما خلفها، وفى تلك اللحظة فقط سمعت صوت صرير الألواح الخشبية الموجودة فى الأرضية.

*من هاجم أودونيل لم يترك المنزل بعد، إنه مازال هنا، فى تلك الحجرة.*

واستدارت فى نفس الوقت الذى تعرضت فيه لضربة على رأسها، ورأت الظلام يحوم من حولها كجناحى خفاش وبعد ذلك انتشر الظلام، وارتطم وجهها بالأرضية ورقدت تشعر بالدوار، لا ترى إلا الظلام، ولكن يمكنها سماع صوت، متنقلاً عبر الخشب، لأقدام تهرب، كنبض المنزل ذاته، يطن فى

وجنتيها، وبدأ الألم يشق طريقه إلى رأسها ونما حتى أصبح كمطرقة تغرس المسامير فى جمجمتها.

ولم تسمع أودونيل تتنفس نفسها الأخير.

وأمسكت يد بكتفها، ونهضت بخوف، تدافع عن حياتها، وتضرب مهاجمها بدون أن تراه.

"مورا، توقفى، مورا!".

كان ممسكا بيدها، وكل ما تمكنت من فعله هو بعض المقاومة الضعيفة، وبعد ذلك اتضحت رؤيتها ورأت سانسون ينظر إليها، وسمعت صوت أفراد آخرين والصوت المعدنى لنقالة، وعندما استدارت رأت اثنين من رجال الإسعاف منحنيين على جسد جويس أودونيل.

"ليس هناك نبض، ولا تنفس".

"هذا الجرح واسع جدا".

"بحق الله، انظر إلى كل هذه الدماء".

"كيف حال السيدة الأخرى؟". ونظر رجل الإسعاف إلى مورا.

قال سانسون: "تبدو بخير، أعتقد أنها فقدت وعيها فقط".

همست مورا: "لا" وأمسكت ذراعه قائلة: "كان هنا".

"ماذا؟".

"كان لا يزال هنا، فى الحجرة!".

فجأة أدرك ما تقوله، ونهض بنظرة مصدومة واقفا على قدميه.

"كلا - انتظر الشرطة!".

لكن سانسون كان خارج الغرفة بالفعل.

وناضلت لتجلس وترنحت، كانت رؤيتها مهتزة وتميل للون الرمادى، وعندما أضيئت الحجرة، رأت رجلى إسعاف يفحصان دماء أودونيل، وأدواتهما كانت مبعثرة حولهما، وجهاز نبضات القلب معهما.

كان خط الذبذبات عريضاً.

وجلست جان بجانب مورا فى المقعد الخلفى لإحدى سيارات الشرطة وأغلقت باب السيارة، هذه الدفعة من الهواء البارد أزالت كل الهواء الساخن من المركبة وبدأت مورا ترتعد ثانية.

قالت جان: "أمتأكدة من أنك بخير؟ ربما علينا أخذك إلى حجرة الطوارئ".

قالت مورا: "أريد الذهاب إلى المنزل، ألا يمكننى الذهاب الآن؟".

"أهناك أى شىء آخر تتذكرينه؟ أى تفاصيل أخرى تتذكرينها؟".

"أخبرتك أننى لم أر وجهه".

"تلك الملابس السوداء فقط".

"شىء أسود".

"شىء؟ أنتحدث عن رجل أم عن وحش؟".

"حدث كل شىء بسرعة".

"أنتونى سانسون يرتدى ملابس سوداء".

"لم يكن هو، فقد ترك الغرفة ونزل ليقابل سيارة الإسعاف".

"نعم، هذا ما يقوله هو أيضاً".

كان وجه جان تضيئه أضواء سيارات الشرطة التى ركنت بعرض الشارع. وصل الموكب المعتاد للسيارات الرسمية، وشريط وحدات مسح مسرح الجريمة يتم تثبيته بين الأوتاد التى وضعوها فى الساحة الأمامية. جلست مورا طويلا فى تلك المركبة، وجفت الدماء الموجودة على معطفها، فأصبح القماش جافا كسطح طبلة، سيكون عليها التخلص من هذا المعطف؛ فهى لا ترغب فى ارتدائه ثانية.

ونظرت إلى المنزل، حيث كانت كل المصابيح مضاءة الآن، فقالت: "كانت الأبواب مغلقة عند وصولنا إلى هنا، كيف دخل القاتل إلى هنا؟".

"وليس هناك أى علامات تدل على الدخول باستعمال العنف، كل ما هناك هو نافذة المطبخ المكسورة".

"كان علينا كسرها، فقد رأينا دماء فى الحوض".

"وكان سانسون معك طوال الوقت؟".

"كنا معا طوال الليل، جان".

"باستثناء عندما قام بالمطاردة، وادعى أنه لا يرى أى فرد بالخارج، وأزال الثلج بطريقة ممتازة عندما خرج ليبحث فى الخارج، وقام بإزالة أى آثار أقدام قد تساعدنا".

"هو ليس مشتبها به فى تلك القضية".

"أنا لا أقول إنه مشتبه به".

وتوقفت مورا، وفكرت فجأة فى شىء، فقد أخبرتها جان للتو، أنه ليس هناك دلائل على الدخول باستعمال العنف.

ونظرت إلى جان، قائلة: "جويس أودونيل هى من أدخلته، أدخلت القاتل إلى منزلها".

"أو نسيت إغلاق الباب".

"بالطبع كانت ستغلق الباب، فهى ليست غبية".

"إنها لم تلعب اللعبة بأمان، فعندما تعمل مع الوحوش، فلن تعرف من منهم سيتبعك للمنزل، وكل جرائم القتل كانت تتعلق بها، فمنذ جريمة القتل الأولى، جذب انتباهها بالاتصال بها، والجريمة الثانية خارج المنزل الذى تتناول فيه العشاء مباشرة، كل ذلك كان يؤدى إلى الحدث الرئيسى".

"إذن، فلماذا جعلته يدخل منزلها؟".

"ربما اعتقدت أن بإمكانها التحكم فيه، فكرى فى عدد السجون التى دخلتها، وعدد الأشخاص أمثال وارين هويت

وأمالثيا لأنها التى أجرت مقابلات معهم، فقد أصبحت مقربة منهم جميعا".

وبذكر والدتها، أجفلت مورا ولم تقل شيئا.

"إنها مثل مروضى الأسود، تعمل مع الحيوانات كل يوم، وبدأت تعتقد أنها من تتحكم فيهم، وتتوقع فى كل مرة تضرب فيها السوط على الأرض، أن يقفزوا مثل هرة صغيرة لطيفة، وربما تعتقد أنهم يحبونها أيضًا، وبعد ذلك ينقلب الأمر عليها يوما ما، ويغرسون أنيابهم فى رقبتها".

قالت مورا: "أعلم أنك لم تحبيها أبدًا، لكن لو كنت هناك – لو رأيتها تموت" – ونظرت إلى جان – "كانت فى قمة الرعب".

"ولأنها ميتة بالفعل، فلن أحبها الآن، هى ضحية الآن، إذن فأنا أدين لها ببذل أفضل جهودى، لكن لا يمكننى إقناع نفسى أنها لم تتسبب فى ذلك لنفسها".

كان هناك طرق على الزجاج وأنزلت جان زجاج نافذة السيارة، ونظر رجل شرطة إليهما وقال: "يتساءل السيد سانسون إذا كنتم قد انتهيتم من استجوابه".

"كلا، لم ننته، أخبره أن ينتظر".

"ورجال الفحص الطبى يحملون معداتهم، ألديك أية أسئلة أخيرة لتوجهيها إليهم؟".

"سأتصل بهم إذا رغبت فى توجيه أسئلة".

عبر النافذة، رأت مورا زميلها د. آبى بريستول يخرج من المنزل، كان آبى يقوم بعمل مورا فى تشريح الجثة، وإذا كان قد انزعج مما رآه للتو، فهو لم يحضر العرض. توقف على الرصيف يزرر معطفه بهدوء ويرتدى قفازه أثناء حديثه مع أحد رجال الشرطة، فكرت مورا: آبى لم يرها تحتضر، ودماؤها لا تغطى معطفه بالفعل.

خرجت جان من باب السيارة، فدخل تيار هوائى بارد، وقالت جان وهى تنزل من السيارة: "تعالى يا دكتورة، سنوصلك إلى المنزل".

"ما زالت سيارتى مصفوفة فى بيكون هيل".

"يمكنك القلق عن سيارتك فيما بعد، فقد وفرت لك توصيلة"، واستدارت جان وقالت: "السيد بروفى، إنها جاهزه للرحيل".

فى تلك اللحظة فقط لاحظته مورا واقفا فى ظل المنازل، وسار تجاههما، ظله طويل، وبدا على ملامح وجهه الاضطراب عندما سُلطت عليه أضواء سيارات الشرطة المتراقصة. سأل مورا وهو يساعدها على الخروج من السيارة: "أمتأكدة أنك بحالة جيدة؟ ألا تريدين الذهاب إلى المستشفى؟".

"رجاء، خذنى إلى المنزل وحسب".

ورغم أنه مد ذراعه لتستند عليه، فلم تمد هى ذراعيها بل أبقت يديها فى جيوبها أثناء مرورهما إلى سيارته، فهى تشعر بنظرات رجال الشرطة من حولهم. *حسنا، تذهب د. آيسلز ورجل الدين معا مرة أخرى،* ألا يوجد أحد لم يلاحظ، ولم يتساءل عن أمرهما؟

ليس هذا بالشىء الذى يستحق التساؤل عنه.

جلست على المقعد الأمامى ونظرت إلى الأمام مباشرة عند تشغيله المحرك وقالت: "أشكرك".

"أنت تعرفين أننى أفعل ذلك لأجلك من كل قلبى".

"هل اتصلت جان بك؟".

"أنا سعيد لاتصالها، أنت تحتاجين إلى صديق ليقلك إلى المنزل اليوم، وليس بعض رجال الشرطة الذين لا تعرفينهم جيدا". وانطلق بالسيارة وتلاشت أضواء سيارات الطوارئ من خلفهما، وقال برقه: "كنت قريبة جداً من الأحداث الليلة".

"صدقنى، لم أكن أقصد ذلك".

"ما كان عليك الدخول إلى ذلك المنزل، كان عليك الاتصال بالشرطة".

"أيمكننا الحديث فى موضوع آخر؟".

"هل هناك أى شيء يمكننا الاستمرار فى الحديث عنه، مورا؟ أو أن هذا ما تريدينه من الآن وصاعدا؟ لن تزورينى، ولن تجيبى على مكالماتى الهاتفية؟".

وأخيرا نظرت إليه، قائلة: "أنا لم أعد صغيرة، دانيال، أنا فى الحادية والأربعين من عمرى، وزيجتى الوحيده كانت كارثة كبيرة، ولدىَّ براعة فى الدخول بعلاقات لا أمل فيها، أريد أن أتزوج، أريد أن أكون سعيدة، لا يمكننى تضييع وقتى فى علاقات لا تؤدى إلى شيء".

"حتى إذا كانت الصداقة، والمشاعر حقيقية؟".

"الصداقات تتغير طوال الوقت، وكذلك القلوب".

تنهد وقال: "نعم، هذا صحيح"، وسادت دقيقة من الهدوء ثم قال: "لم أقصد أبدا تحطيم قلبك".

"لم تقم بذلك".

"لكنى جرحتك، أنا أعلم ذلك".

"لقد جرح كل منا الآخر، كان علينا ذلك". وسكتت للحظة ثم قالت بمرارة: "هذا ما يتوقع منك كرجل دين، أليس كذلك؟"، وأتت كلماتها على الجرح، وبصمته المفاجئ عرفت أنه يحبها فعلاً، ولم يقل شيئاً عندما وصلا إلى قرب منزلها وأطفأ المحرك، وجلس لدقيقة وبعد ذلك استدار إليها،

وقال: "أنت محقة، يتوقع منى الكثير وأنا أشغل هذا المنصب".

وقضيا الليلة معا، فى شقتها.

وبالضوء الخافت القادم عبر النافذة يمكنها رؤية وميض عينيه الخافت، وهو ينظر فى الظلام، ليس نائما، بل يفكر، ربما يندم، وبمرور الدقائق، لم تتحمل الصمت أكثر من ذلك.

وأخيرا سألته: "أأنت نادم؟".

همس قائلا: "كلا".

"أنا لست مذنبة؟".

"أتحتاجين إلى ذلك؟".

"أريد أن أكون سعيدة، ما فعلناه أمر طبيعى، أمر بشرى"، وتوقفت وقالت متنهدة: "لكن ربما يكون ذلك مجرد عذر لارتكاب الخطيئة".

"ليس هذا ما أفكر فيه على الإطلاق".

"ما الذى تفكر فيه، إذن؟".

وطبع قبلة على مقدمة رأسها، قائلاً: "ما أفكر فيه هو ما سيحدث بعد ذلك".

"ما الذى تريد حدوثه".

"لا أريد أن أفقدك".

"ليس عليك ذلك، هذا خيارك".

قال برقة: "خيارى، هذا مثل الاختيار بين الشهيق والزفير". وصمت لمدة دقيقه ثم أكمل حديثه، قائلاً: "أعتقد أننى أخبرتك مرة، كيف أتيت لآخذ العهد".

"قلت إن أختك كانت تحتضر، كانت مصابة بسرطان الدم".

"وقطعت على نفسى العهد بأن أتفرغ لأمور دار العبادة، وحافظت على تنفيذ وعدى أيضا".

"كنت فى الرابعة عشرة من عمرك، كنت صغيرا جدا لتعد بأمر تقوم به طوال حياتك".

"لكنى أخذت ذلك العهد بالفعل، ويمكننى عمل الكثير باسمه، يا مورا، وكنت سعيدا وأنا أحافظ على هذا الوعد".

"وبعد ذلك قابلتنى".

تنهد قائلاً: "وبعد ذلك قابلتك".

"عليك الاختيار، دانيال".

"والا سترحلين من حياتى، أعرف ذلك".

"لا أريد ذلك".

نظر إليها، قائلاً: "إذن، لا تذهبى، مورا! رجاء، فى الأشهر القليلة الماضية بدونك شعرت أننى تائه فى البرية، شعرت بالذنب، أريدك، لكنك كنت كما توقعتك".

"إذن فإلى أين سنصل، إذا بقيت فى حياتك؟ ستذهب لعملك، وماذا سيكون لدىَّ؟". ونظرت فى الظلام وأردفت: "لم يتغير أى شىء، أليس كذلك؟".

"كل شىء تغير". وأمسك يدها، قائلاً: "أنا أحبك".

*لكن ليس بدرجة كافية، ليس كما تحب عملك.*

وقبيل الفجر، نهض راحلا.

وانحنى ليقبلها وهمس قائلاً: "علىَّ الذهاب".

"أعرف".

"أحبك، مورا، لم أفكر أننى سأقول ذلك لامرأة يومًا ما، لكنى أقوله لك الآن"، ولاطف وجهها لكنها تنحت عنه لكيلا يرى الدموع تنهمر من عينيها.

قالت وهى تبدأ فى النهوض: "دعنى أعد لك القهوة".

"لا، ابقى فى سريرك، وسأجد طريقى للخارج"، سمعته ينزل إلى الردهة، وسمعت صوت إغلاق الباب الأمامى.

وبالخارج أضاءت السماء ببطء وأصبح الجو باردا مضيئا. نهضت من الفراش وانتعلت خفا، ونزلت إلى المطبخ لتعد لنفسها بعض القهوة، وعند وقوفها أمام الحوض تملأ غلاية القهوة بالماء، نظرت بالخارج إلى نباتات الياسمين المتسلقة التى تلمع فى الثلج، والنباتات الوردية التى جفت أوراقها، ولم تحتج إلى النظر إلى ترمومتر لتعرف أن برودة اليوم ستكون قاسيه.

وشغلت آلة القهوة وسارت إلى الباب الأمامى لتحضر الجريدة اليومية، وعند خروجها من المنزل، تفاجأت بالبرودة،

لدرجة أن حلقها آلمها، وآلم ثقوب أنفها، لم تضيع وقتا فى تصفح الجريدة الموضوعة أمام بابها، وانما أخذتها وسارت لتدخل إلى بيتها، وكانت تمسك بمقبض الباب عندما تسمرت مكانها فجأة، ونظراتها مثبتة على الباب.

على الكلمات، والرموز المكتوبة بشكل سريع على الباب.

ونظرت فيما حولها، وبحثت بعينيها فى الشارع باهتياج، ورأت وميض الشمس على رصيف مغطى بالثلوج، وسمعت هدوء صباح يوم الأحد.

دخلت إلى المنزل مذعورة، وأغلقت قفل الباب، وقامت بتشغيل النظام الأمنى الخاص بالمنزل، وبعد ذلك أسرعت إلى الهاتف لتتصل بـ ريزولى.

# الثالث والعشرون

سألت جان مورا، "أمتأكدة من عدم سماعك لأى شىء الليله الماضيه؟ لا آثار أقدام على الرصيف، ولا شىء غير عادى؟".

جلست مورا على الأريكة ترتعد رغم ارتدائها سترة وملابس صوفية، ولم تتناول طعامها بعد، لم تصب لنفسها حتى كوب القهوة، ولم تشعر بأى جوع، وخلال نصف الساعة التى سبقت وصول جان وفروست، ظلت مورا واقفة بنافذة حجرة المعيشه تراقب الشارع، وتشدها أى ضوضاء، وتتعقب بنظرها أى سيارة تمر، القاتل يعرف أين أسكن، ويعلم ما حدث الليله الماضية فى غرفة نومى.

"دكتورة؟".

التفتت مورا، قائلة: "لم أسمع أى شىء، فقط وجدت هذه الكتابة على بابى عندما استيقظت، عندما خرجت لأحضر ..."، أجفلت، وفجأة دق قلبها بعنف.

كان هاتفها يرن.

شغل فروست جهاز الاستقبال وقال: "منزل آيسلز، هنا المحقق فروست، آسف سيد سانسون، لكننا نتعامل مع موقف حرج الآن، وذلك ليس بوقت ملائم لتتحدث إليها، سأخبرها أنك اتصلت".

وتحولت نظرات جان إلى مورا، قائلة: "أمتأكدة أن تلك الكتابات لم تكن موجودة عند وصولك إلى المنزل الليلة الماضية؟".

"لم أرها".

"هل دخلت المنزل من الباب الأمامى؟".

"نعم، فى المعتاد أدخل من المرآب، لكن سيارتى مازالت فى بيكون هيل".

"هل أوصلك السيد بروفى إلى المنزل؟".

"كان الظلام شديدا جان، ولم نكن لنتمكن من رؤية الكتابات"، *كنا مركزين على بعضنا البعض، كل ما كان يجول بخاطرنا هو مصير العلاقة بيننا.*

قال فروست: "أعتقد أننى سأبحث فى الخارج لأرى إذا ما كان هناك أية آثار أقدام"، وذهب إلى الباب الأمامى، ورغم أنه يسير خارج المنزل بالضبط، فإن صوت خطواته لم يخترق النافذة الزجاجية مزدوجة الألواح، والليلة الماضية كان يمكن للدخيل أن يمر أمام حجرة نومها ولم تكن لتسمع أى شىء.

سألتها جان: "أتعتقدين أنه تتبعك إلى المنزل الليلة الماضية؟ من منزل أودونيل؟".

"لا أدرى، ربما فعل ذلك، لكنى كنت موجودة فى الجرائم الثلاث الأخرى، لورى آن تاكر، وإيفا كاسوفيتز، ربما رآنى فى أى من مسارح الجرائم تلك".

"وتتبعك إلى المنزل".

لفت نفسها بذراعيها محاولة إيقاف رعشتها، وقالت: "لم ألاحظ ذلك أبدًا، لم أدرك أننى تحت المراقبة".

"لديك جهاز إنذار، هل شغلته الليلة الماضية؟".

"كلا".

"لم لا؟".

"ببساطة لقد – لقد نسيت تشغيله" *كان لدىَّ أشياء أخرى لأقوم بها.*

وجلست جان على الكرسى المقابل لها، قائلة: "لماذا رسم هذه الرموز على بابك؟ برأيك ما الذى تعنيه تلك الرموز؟".

"كيف سأعرف؟".

"والرسالة التى تركها - هى نفس الرسالة التى تركها بغرفة نوم لورى آن تاكر، ولكن هذه المرة لم يهتم بكتابة الرموز باللاتينية، فهو متأكد أننا فهمنا ما يقصده، لقد ارتكبت خطيئة"، وتوقفت جان، ثم أضافت: "لماذا يوجه تلك الكلمات الخاصه إليك؟".

لم تقل مورا شيئاً.

"أتعتقدين أنك المقصودة بتلك الكلمات؟"، وأصبحت نظرات جان الآن منتبهة، وتتفحص مورا.

قالت مورا لنفسها: إنها تعرفنى جيدا، يمكنها أن تلاحظ أننى لا أخبرها بالقصة الكاملة.

ونهضت مورا بشكل مفاجئ، قائلة: "لا يمكننى التركيز. أحتاج كوبا من القهوة"، واستدارت متوجهة إلى المطبخ، وشغلت نفسها بصب القهوة فى أكواب، وبحثت عن الكريمة فى الثلاجة. تبعتها جان إلى المطبخ، لكن مورا تجنبت النظر إليها، ووضعت أمام جان كوبًا من القهوة يتصاعد منه البخار الساخن واستدارت إلى المنضدة لترتشف قهوتها، لتؤخر إظهار السر الذى تخفيه عنها.

قالت جان: "أهناك شيء تريدين إخبارى به؟".

"أخبرتك بكل شيء: استيقظت هذا الصباح ووجدت هذه الكتابات على بابى، لا أعرف أى شيء آخر لأقوله".

"بعد مغادرتك منزل أودونيل، هل أقلك السيد بروفى إلى المنزل مباشرة؟".

"نعم".

"ولم ترى أى سيارات تتعقبكما؟".

"كلا".

"حسنا، ربما لاحظ السيد بروفى شيئًا ما، أو رأى ما يلفت الانتباه".

قاطعتها مورا، قائلة: "لا تحتاجين إلى الحديث إليه، أقصد أنه كان سيخبرنى لو لاحظ أى شىء الليله الماضية".

"ما زال علىَّ سؤاله".

استدارت مورا لتواجه جان، قائلة: "اليوم الأحد، أنت تعرفين".

"أعرف".

"لديه أعمال ليقوم بها".

ضاقت عينا جان، وشعرت مورا بوجنتيها تشتعلان من فرط السخونة.

سألتها جان: "ماذا حدث الليلة الماضية؟".

"كما أخبرتك، عدت إلى منزلى مباشرة من منزل أودونيل".

"وبقيت بالداخل بقية الليل؟".

"لم أترك المنزل".

"وهل ترك السيد بروفى المنزل؟".

السؤال الذى وجهته جان بشكل رسمى، جعل مورا تصمت، وبعد دقيقه جلست على أحد كراسى مائدة المطبخ ولم تقل شيئا، بل ظلت تحملق فى كوب القهوه الخاص بها.

سألتها جان: "ما المدة التى قضاها بالداخل؟"، كانت تتحدث بنفس الشكل الرسمى، مازالت شرطية، رغم أن مورا عرفت أن هناك استنكارا وراء هذا السؤال، وبدأ الشعور بالذنب يضيق قبضته حول رقبتها.

"قضى معظم الليلة معى".

"حتى متى؟".

"لا أعلم، كانت السماء لاتزال مظلمة عندما رحل".

"وما الذى فعلتماه أثناء وجودكما معًا؟".

"هذا ليس له صله بالموضوع".

"أنت تعرفين أنه وثيق الصلة، إننا نتحدث عما قد رآه القاتل عبر نافذتك، وما أوحى له بكتابة هذه الكلمات على بابك، هل كانت أضواء حجرة المعيشة مضاءة طوال الليل؟ هل جلست أنت و بروفى هناك، تتحدثان؟".

زفرت مورا، قائلة: "كلا ... لم تكن الأنوار مضاءة".

"كان المنزل مظلما؟".

"نعم".

"وأى شخص يقف بالخارج، ينظر إلى نافذتك سيفترض –"

"أنت تعرفين ما الذى سيفترضه".

"هل ستكون افتراضاته صحيحة؟".

تلاقت نظرات مورا وجان، فقالت: "كنت فى حالة استثنائية الليلة الماضية، جان! ودانيال كان هنا من أجلى، لم نخطط لذلك، إنها المرة الوحيده – المرة الوحيدة –" وخفت صوتها وهى تضيف: "لم أرغب فى البقاء بمفردى".

جلست جان على مائدة المطبخ، قائلة: "أتعرفين، هذه الكلمات أخذت معنى جديدًا، لقد ارتكبت خطيئة".

ردت مورا بسرعة: "جميعنا ارتكبنا خطايا، كل فرد منا".

"أنا لا أنتقدك، اتفقنا؟".

"أنت تنتقدينني، تعتقدين أننى لا أستطيع ملاحظة ذلك من أسلوبك ونبرة صوتك؟".

"إذا كنت تشعرين بالذنب أيتها الطبيبة، فذلك ليس بسبب شيء قلته".

ونظرت مورا إلى نظرات جان التى لا تلين وقالت لنفسها: *بالطبع هى محقة، فالذنب كله ذنبى أنا.*

"سيكون علينا التحدث مع السيد بروفى عن ذلك، عما حدث الليلة الماضية".

تنهدت مورا تنهيدة استسلام وقالت: "رجاء، إذا كنت ستتحدثين إليه، أبقى الأمر فى طى الكتمان".

"لم أحضر معى كاميرات التلفاز، حسناً؟".

"لا ينبغى أن يعرف المحقق فروست شيئاً عن هذا الأمر".

"بالطبع سيعلم، فهو شريكى".

وضعت مورا رأسها بين يديها وقالت: "أوه، يا إلهى!".

"الأمر متعلق بقضيتنا، وأنت تعرفين ذلك، إذا لم أخبر فروست، سيكون من حقه المطالبة باحتساب خطأ علينا".

فكرت مورا فى رد فعل فروست: *إذن فلن أنظر فى وجه فروست ثانية إلا وسأرى انعكاسا لذنبى.*

فسمعة المرء شىء سهل الكسر: شرخ صغير وتنكسر، ولمدة عامين، اعتبرها الجميع ملكة الموتى، الباحثة الطبية الصلبة التى ترى مناظر تقلب بطون أكثر المحققين خبرة بدون أن يرمش لها جفن، والآن سينظرون إليها ويرون ضعفها، سقوط امرأة وحيدة.

سمعت أصوات أقدام على الرصيف الأمامى، كان فروست يدخل إلى المنزل مرة ثانية، لم تكن ترغب فى أن تكون موجودة عندما يعلم الحقيقة، حيث سيكون فروست مصدوما عندما يعرف من قضى معها الليلة الماضية.

لكنه لم يكن الشخص الوحيد الذى دخل إلى المنزل، فقد سمعت مورا صوت محادثة، ونظرت إلى سانسون وهو يدخل المطبخ ويتبعه فروست.

سألها سانسون: "هل أنت بخير؟".

قالت جان: "سيد سانسون، هذا ليس وقتاً مناسبًا للزيارة، أتمانع فى الخروج الآن؟".

فما كان منه إلا أن تجاهل جان وثبت نظراته على مورا.
لم يكن متشحا بالسواد اليوم، بل باللون الرمادى؛ سترة مصنوعة من التويد، وقميص رمادى اللون، ففكرت قائلة: *إنه يختلف كثيرا عن دانيال لا يمكننى قراءته، ويجعلنى لا أشعر بالراحة.*

قال: "لقد رأيت العلامات للتو على بابك، ما الذى حدث؟".

قالت: "لا أعلم، كُتبت فى وقت ما الليلة الماضية".

"كان علىَّ أن أقلك للمنزل بنفسى".

قاطعته جان: "أعتقد أن عليك الرحيل الآن".

قال فروست: "انتظرى، عليك أن تسمعى ما يقوله عما وجد على الباب، وما الذى قد تعنيه تلك الرسومات".

"*لقد ارتكبت خطيئة*، أعتقد ان المعنى واضح جداً".

قال سانسون: "ليست الكلمات، بل الرموز الموجودة تحتها".

"تحدثنا بالفعل عن العين التى ترى كل شىء، فقد شرح صديقك أوليفر ستارك ذلك".

"ربما يكون مخطئا".

"ألا تتفق معه أنها عين حورس؟".

"أعتقد أنها قد تمثل شيئاً مختلفاً تماماً"، ونظر إلى مورا مضيفاً: "تعالوا إلى الخارج وسأشرح ذلك لكم".

لم يكن لدى مورا أية رغبة فى مواجهة هذه الكلمات التى تتهمها، لكن إحساسها بأهمية الموضوع الظاهر على نبرة صوته أجبرها على اتباعه، وخرجت من المنزل لتقف على الرصيف وتوقفت فى أشعة الشمس التى تضرب عينيها، كان مجرد صباح أحد أيام الآحاد الجميلة، صباح يتطلب التريث لشرب القهوة وقراءة الجريدة، وبدلا من ذلك كانت تخشى الجلوس بمفردها فى منزلها، تخشى النظر إلى باب منزلها الأمامى.

وأخذت نفساً واستدارت لتواجه ما رسم بالمغرة التى لها نفس لون الدماء الجافة، وكانت جملة: *لقد ارتكبت خطيئة* تصرخ فيها، اتهام جعلها ترغب فى تجنب، وإخفاء وجهها المذنب.

لكنها لم تكن الكلمات التى ركز عليها سانسون، بل أشار إلى الرمزين المرسومين تحتها، الأكبر منهما سبق لهم رؤيته على باب الحديقه.

قالت جان: "يبدو لى مثل العين القادره على رؤية كل شىء بالضبط".

"لكن انظرى إلى الرمز الآخر"، وأشار إلى شكل آخر قرب أسفل الباب، كان صغيرًا جدًا وبدا كفكرة متأخرة. "مرسوم بالمغرة كما فى مسارح الجرائم الأخرى".

سألته جان: "كيف عرفت بأمر المغرة؟".

أخرج هاتفه الخلوى وقال: "يحتاج زملائى إلى رؤية ذلك، لأتأكد مما أعتقد أن هذا الرمز يمثله".

قالت جان: "انتظر، هذا ليس عرضاً عاماً".

"أتعرفين كيف تفسرين ذلك أيتها المحققه؟ ألديك أية فكرة من أين ستبدئين؟ إذا كنت ترغبين فى الوصول إلى القاتل، فمن الأفضل أن تفهمى تفكيره، ورموزه"، وبدأ الاتصال، ولم توقفه جان.

جلست مورا على ركبتها لتتمكن من دراسة الرسم السفلى، وحملقت فى القرون المنحنية، والرأس المثلث، والأعين الطولية ثم قالت: "إنه يبدو كالكبش، لكن ما معنى هذا؟". ونظرت إلى سانسون الذى أضاء نور الصباح ظهره، كان مثل شكل ضخم، أسود وبلا ملامح.

فقال سانسون: "هذا الرسم يمثل عزازيل، وهو يرمز إلى الرقابة على أفعال البشر (الحارس)".

* * *

قال أوليفر ستارك: "عزازيل – في المعتقدات الوثنية كان رئيس السيريم، وهم شياطين على شكل ماعز ارتادوا الصحراوات القديمه قبل الفراعنة، فهم يرجعون إلى عصر ليليث".

سأل فروست: "من ليليث؟".

نظرت إليه إدوينا فيلواى بدهشة وقالت: "ألا تعرف عنها شيئا؟".

هز فروست كتفيه محرجاً: "علىَّ أن أعترف، لست متمكناً جيداً من علوم اللاهوت".

قالت إدوينا: "أوه، لن تجد ليليث في علوم اللاهوت، فقد تم التخلص من ذلك المعتقد منذ فترات بعيدة، رغم أن لها مكانًا فى الأساطير الوثنية، حيث يرون أنها كانت زوجة آدم الأولى".

"أكان لآدم زوجة أخرى؟".

"نعم، قبل حواء"، وابتسمت فى وجهه المندهش.

كانوا يجلسون فى غرفة معيشة مورا، مجتمعين حول مائدة القهوة، حيث وضع أوليفر أوراق رسوماته بين الأكواب الفارغة والأطباق، فخلال نصف ساعة من مكالمة سانسون، كان كل من إدوينا وأوليفر قد وصلا ليفحصا الرموز الموجودة على الباب، وقد تشاوروا على الرصيف لدقائق قليلة قبل أن يتسبب البرد فى دخولهم جميعا إلى المنزل لتناول القهوة الساخنة والنظريات الملتهبة، النظريات التى جعلت مورا كشىء من ذوى الدم البارد، فقد قام القاتل بتمييز منزلها وهؤلاء الأشخاص يجلسون بهدوء فى حجرة معيشتها يناقشون نظرياتهم الغريبة. نظرت إلى جان، التى بدا عليها تعبير واضح وهو أن هؤلاء الأشخاص غريبو الأطوار، لكن فروست كان مشدوداً جداً.

وقال: "لم أسمع مسبقا أن آدم لدية زوجة أولى".

قالت إدوينا: "هناك تاريخ كامل لا يعرف الكثيرون شيئاً عنه أيها المحقق، تاريخ سرى تجده فى الأساطير، أساطير الكنعانيين، فهم يتحدثون عن زواج بين آدم وامرأة طليقة الروح، امرأة مغوية رفضت طاعة زوجها، كما ينبغى للزوجة المطيعة، وبدلاً من ذلك طلبت إشباع رغباتها فى كل مكان ووبخته عندما لم يتمكن من إشباعها. كانت أول امرأه متحررة فى العالم، ولم تكن تخشى البحث عن رغبات الجسد".

قال فروست: "يبدو أنها كانت تبحث عن المرح".

"لكن فى عيون رجال الدين، كانت ليليث شيئاً بغيضاً، امرأة خارجة عن سيطرة الرجال، مخلوقة شديدة الرغبة مما جعلها تترك زوجها فى النهاية، وهربت لتقيم علاقات متعددة مع الشياطين"، وتوقفت إدوينا، ثم أضافت: "ونتيجة لذلك، أنجبت أقوى الشياطين على الإطلاق، الشياطين التى أزعجت البشرية منذ الأزل".

"تعنين الشيطان الأكبر؟".

قال سانسون: "كان ذلك معتقدًا سائدًا فى العصور الوسطى: ليليث هى أم لوسيفر".

وعبرت إدوينا عن ازدرائها قائلة: "إذن، فقد رأيت كيف تعامل التاريخ مع امرأه حاسمة؟ إذا رفضت أن تكون تابعا، وإذا كنت تستمتع بالحب أكثر من الآخرين قليلا، يحولك رجال الدين إلى وحش، ويطلقون عليك أم الشيطان".

قال فروست: "أو يخفونك من التاريخ تماما، لأن ذلك أول شىء أسمعه عن ليليث، أو تلك العنزة التى جابت الصحارى".

قال أوليفر: "عزازيل"، وقطع آخر صورة ووضعها على مائدة القهوة ليراها الجميع، كانت تلك نسخة أكثر وضوحا وتفصيلا من الوجه الذى رسم على باب مورا: عنزة بقرون وعيونها طولية، ولهب يحترق فوق رأسها، "الشياطين الماعز، كانوا مخلوقات لها شعر كثيف، أتحدث مع المخلوقات المتطرفة

مثل ليليث، والاسم الذى عرف به عزازيل عند الكنعانيين، ربما اختصار لاسم أحد آلهتهم القديمة".

سأل فروست: "والذى يشير إليه الرمز الموجود على الباب؟".

"ذلك تخمينى".

ضحكت جان، غير قادرة على احتواء شكها، قائلة: "تخمين؟ نحن نضع حقائق هنا، أليس كذلك؟".

قالت إدوينا: "أتعتقدين أن تلك المناقشة تضييع للوقت؟".

"أعتقد أن الرمز يكون أياً ما ترغبين فى صنعه، فأنتم تعتقدون أنه الشيطان العنزة، لكن بالنسبة للقاتل الذى رسمه، قد يعنى شيئاً مختلفا تماما، أتتذكرين كل الأمور التى فكرت فيها أنت وأوليفر عن عين حورس؟ والكسور، وربع القمر؟ وبعد ذلك أصبح كل ذلك مجرد هراء؟".

قال أوليفر: "لقد شرحت لك كيف أن هذه العين تمثل عدداً من الأشياء المختلفة، إله الفراعنة، أو عين لوسيفر التى ترى كل شىء، أو رمز التنوير والحكمة الماسونى".

قال فروست: "هذه معان متضاده تماما، الشيطان ضد الحكمة".

"ليست متضادة على الإطلاق، عليك تذكر ما معنى كلمة لوسيفر، فعند ترجمتها يكون معناها: جالب النور".

"لا يبدو ذلك شريرا إلى درجه كبيرة".

قالت إدوينا: "يدعى البعض أن لوسيفر ليس شراً، وأنه يمثل العقل المتسائل، والمفكر المستقل، الأشياء الكثيرة التى هددت رجال الدين بأوروبا فى فترة العصور الوسطى".

وعبرت جان عن ازدرائها، قائلة: "إذن، لوسيفر ليس شخصًا سيئاً؟ هو فقط يسأل أسئلة كثيرة جداً؟".

قالت إدوينا: "ما تدعينه الشيطان يعتمد على وجهة نظرك، زوجى الراحل كان من علماء الأنثربولوجى، وقد طفت جميع أنحاء العالم لأجمع صورا للشياطين التى تبدو مثل أبناء آوى أو القطط أو الأفاعى، أو النساء الجميلات، فكل حضارة لها مفهومها الخاص للشكل الذى يبدو عليه الشيطان، هناك شىء واحد فى كل الحضارات تقريبا، تجمع عليه كل الحضارات منذ عصور القبائل البدائية القديمة: الشيطان موجود بالفعل".

فكرت مورا فى الدوامة السوداء التى لمحتها فى غرفة نوم أودونيل الليله الماضية، وفى تلك اللحظة سرت قشعريرة باردة فى مؤخرة رقبتها، هى لا تؤمن بالشيطان بتلك الصورة، لكنها تؤمن بالشر، *والليلة الماضية، تأكدت من وجود الشر،* ونظرت إلى صورة أوليفر للعنزة ذات القرون، وقالت: "هل هذا الشىء – هذا العزازيل – رمز من رموز الشيطان أيضا؟".

قال أوليفر: "كلا، يستعمل *الحراس* عزازيل كرمز لهم".

سأل فروست: "من هم هؤلاء الحراس الذين لا تكف عن الحديث عنهم؟".

نظرت إدوينا إلى مورا وقالت: "ألديك كتاب بيتر، د. أيسلز؟".

نظرت إليها مورا وقالت: "نعم".

"أيمكنك أن تحضريه لنا؟".

سارت مورا إلى خزانة الكتب وبحثت فى الرف الأعلى عن الغطاء المقطوع المألوف، فقد كان ذلك كتاب والدها، ولم تفتحه مورا منذ سنين.

أخذته مورا وسلمته إلى إدوينا، التى قلبت صفحات الكتاب محدثه سحابة صغيره من الغبار.

"ها هى الفقرة التى تشير بالتأكيد إلى الأرواح النقية، وتقول إنها اشتهت نساء البشر، لذلك تزوجوهن، زواج التقى والمذنب"، ونظرت فى الكتاب مرة ثانية وقالت: "كان البشر

عمالقة في تلك الأيام، وبعد ذلك عندما أتى أبناء تلك الأرواح من بنات البشر تم إنجاب أطفال، أصبحوا رجالاً عظماء"، وأغلقت إدوينا الكتاب.

سألها فروست: " ما الذى يعنيه كل هذا؟".

قالت إدوينا: "يقول النص إن الأرواح رزقت بأطفال من البشر، وذلك هو الموضع الوحيد الذى ذكر فيه هؤلاء الأطفال، وهذا النسل نشأ عن الالتقاء بين البشر والأرواح النقية، وكونوا جنساً مختلطاً من الشياطين يسمون النفيليم".

قال سانسون: "ويعرفون أيضا بـ*الحراس*".

"وستجدين إشارات إليهم فى مصادر اخرى، فى كتاب إينوخ، وفى كتاب جيوبليس؛ حيث تم وصفهم كوحوش، نتجوا من الأرواح التى تزوجت بنساء من البشر، والنتيجة كانت جنساً مهجناً لايزال يسير بيننا، ويقال إن هذه المخلوقات لديها سحر وموهبة غير عادية، جمال غير عادى، وعادة ما يكونون طوالاً جدا وساحرين، لكنهم شياطين بأية حال ويخدمون الظلام".

سألت جان: "أتؤمنون بهذا فعلاً؟".

"أنا أخبرك فقط بما يوجد فى الكتب القديمة، أيتها المحققه، والقدماء آمنوا أن الجنس البشرى لم يكن بمفرده على الأرض، فقد أتى هؤلاء الآخرون قبلنا ومازال بعض الأشخاص يحملون دم هؤلاء الوحوش".

"لكنك أطلقت عليهم اسم أبناء الأرواح النقية".

"الأرواح التى كانت نقية، وأصبحت مخطئة وشريرة".

قال فروست: "إذن، فهذه الأشياء، هم الحراس، مثل المخلوقات المهجنة".

نظرت إدوينا إليه وقالت: "نوع ثانوى، عنيف ومفترس، والباقى منا مجرد فريسة لهم".

قال أوليفر: "ومكتوب أنه فى عصر المعركة الفاصلة، عند انتهاء العالم سيكون المسيح الدجال هو أحد النيفيلم، أحد

الحراس".

*وعلامتهم على بابى،* وحدقت مورا فى لوحة رأس العنزة، هل يمثل هذا الرمز تحذيرا؟

*أو دعوة؟*

قالت جان ونظرت إلى ساعتها: " حسنا، كان ذلك استغلالاً قيمًا لوقتنا".

قال سانسون: "أمازلت لا ترين مغزى ذلك؟".

"ستكون تلك قصة عظيمة حول نار المخيمات أو حفلات السمر، لكنها لا تقربنا إلى صاحبنا، ذلك القاتل".

"إن ذلك يدخلنا إلى رأسه، ويخبرنا بما يؤمن به".

"الأرواح والشياطين الماعز، صحيح، أو ربما يكون القاتل يحب فقط لعب ألعاب ذكاء مع رجال الشرطة، فيجعلنا نضيع وقتنا باحثين عن المغرة وصدف البحر". ونهضت جان مستطردة: "وحدات مسح مسرح الجريمة ستكون هنا فى أى دقيقة، ربما عليكم أيها الأشخاص الذهاب إلى منازلكم الآن لنتمكن من القيام بعملنا".

قاطعها سانسون: " انتظرى، ما الذى قلته عن صدف البحر للتو؟".

تجاهلته جان ونظرت إلى فروست، قائلة: "أيمكنك الاتصال بوحدات مسح مسرح الجريمه ومعرفة ما الذى أخرهم هكذا؟".

قال سانسون: "محققة ريزولى، أخبرينا عن صدف البحر".

"يبدو أن لديك مصادرك الخاصة، لماذا لا تسألهم؟".

"سيكون هذا مهمًا جدًا، لماذا لا توفرى جهودنا وتخبرينا بذلك؟".

"أخبرنى أولاً، ما دلالة صدفة البحر؟".

"أى نوع من الصدف؟ ذات صدفتين، أم مخروطة؟".

"هل يحدث ذلك فارقاً؟".

"نعم".

سكتت جان، ثم قالت: "إنها نوع من الصدف اللولبى، مخروطية على ما أعتقد".

"أتركت بمسرح الجريمة؟".

"يمكنك قول هذا".

"صفى الصدفة".

"انظر، ليس هناك شىء مميز فيها، الشخص الذى تحدثت إليه يقول إنها نوع منتشر يوجد فى جميع أنحاء البحر المتوسط"، وتوقفت بسبب رنين هاتفها الخلوى، وقالت وهى تسير خارج الغرفة: "عذرا". لمدة دقيقة لم يقل أحد شيئا. نظر أعضاء منظمة مفيستو الثلاثة إلى بعضهم، وقالت إدوينا برقة: "حسنا، سأقول ما يثبت ويؤكد الأمر".

سألها فروست: "يثبت ماذا؟".

قال أوليفر: "صدفة البحر، توجد على شعار عائلة أنتونى".

نهض سانسون من مقعده وسار إلى النافذة، ووقف هناك يحملق فى الشارع، وقد أحاط بظهره العريض إطار أسود بفعل ضوء الشمس وقال: "لقد رسمت الرموز بالمغرة الحمراء، المستخرجة من قبرص، أتعرف مغزى ذلك أيها المحقق فروست؟".

قال فروست معترفاً: "ليس لدىَّ أية فكرة".

"هذا القاتل لا يلعب ألعابا مع الشرطة، إنه يلعب ألعاباً معى أنا، ومع منظمة مفيستو"، واستدار ليواجههم، لكن ضوء الصباح جعل من المستحيل قراءة تعبيرات وجهه فأكمل حديثه: "فى عشية رأس السنة، قتل سيدة وترك رموزاً شيطانية بمسرح الجريمة - الشموع، ودائرة المغرة، لكن أكثر الأشياء غرابة هو إجراء مكالمة لـ جويس أودونيل، إحدى أعضاء المنظمة، وقد كان ذلك محاولة منه لشدنا، كان يقصد به جذب انتباهنا".

"انتباهنا؟ بدا لى أن ذلك كان لجذب انتباه أودونيل".

"وبعد ذلك قتل إيفا كاسوفيتز فى حديقة منزلى، فى ليلة كنا مجتمعين فيها".

"وهى نفس الليلة التى كانت فيها أودونيل ضيفتك، كانت الواحدة التى تابعها، الواحدة التى وضع عينيه عليها".

"كنت سأتفق معك الليلة الماضية، فكل العلامات، حتى الآن، تشير إلى جويس كهدف، لكن الرموز الموجودة على باب مورا تخبرنا أنه لم ينته من عمله، مازال يصطاد".

قالت إدوينا: "إنه يعلم بأمرنا، أنتونى، إنه يقطع دائرتنا. كانت جويس الأولى، والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: من التالى؟".

نظر سانسون إلى مورا وقال: "أخشى أنه يعتقدك واحدة منا".

قالت: "لكنى لست كذلك، لا أريد فعل أى شىء مع مجموعتك".

قالت جان: "دكتورة"، لم تسمعها مورا وهى عائدة إلى الغرفه، كانت جان تقف على باب الغرفة وتحمل هاتفها الخلوى وقالت: "أيمكنك الدخول إلى المطبخ؟ نحتاج إلى أن نتحدث على انفراد".

نهضت مورا وتبعتها عبر الردهة، وسألتها عند دخولها إلى المطبخ: "ما الأمر؟".

"أيمكنك أخذ إجازة غداً؟ لأننا – أنا وأنت - نريد مغادرة المدينة الليلة، أنا ذاهبة إلى المنزل لأعد حقيبة الرحلات القصيرة، وسأعود لأصطحبك فى الظهيرة تقريبًا".

"أتخبريننى أنه يفترض بى الهروب والاختباء؟ فقط لأن أحدهم كتب شيئاً على بابى؟".

"ليس للأمر علاقة ببابك، كل ما فى الأمر أننى تلقيت مكالمة من أحد رجال الشرطة بشمال نيويورك، فقد وجدوا الليلة الماضية جثة سيدة ومن الواضح أنها جريمة قتل".

"لماذا نهتم بجريمة قتل فى نيويورك؟".

"يدها اليسرى مفقودة".

# الرابع والعشرون

٨ أغسطس، طريق القمر: الربع الأخير.

كل يوم يذهب تيدى إلى البحيرة.

فى الصباح أسمع صوت فتح وإغلاق الباب الزجاجى، وبعد ذلك أسمع صوت حذائه على الرواق، وأشاهده من نافذتى يخرج من المنزل ويتوجه إلى المياه، وهو يحمل الصنارة على كتفه النحيل، وصندوق عدة الصيد فى يده، إنه طقس غريب، وعديم الفائده فى رأيى، لأنه لايحصد أى شىء من عمله هذا، وكل يوم يرجع بعد الظهيرة صفر اليدين، لكنه مسرور بذلك.

اليوم، تعقبته.

لم يرنى عند تجوله عبر الغابة تجاه المياه، ووقفت بعيدا بشكل كافٍ لكى لا يسمع وقع خطواتى، على أية حال هو يغنى، بصوته العالى الطفولى، أغنية "كوكابورا" غافلاً عن وجود من يراقبه، ووصل إلى حافة المياه، يجهز صنارته ويرمى الخيط فى الماء، وبمرور الدقائق، جلس على الضفة المعشوشبة ينظر إلى المياه الهادئه جدا لدرجة أن همس الرياح الرقيق لم يكن موجوداً ليحرك سطح الماء.

واهتزت الصنارة.

اقتربت أكثر وهو منهمك فى غنيمته، إنها سمكة بنية اللون وهى تتلوى حول الخيط، كل عضلة فيها تتقلص فى خوف

مميت، انتظرت الضربة النهائية، فى تلك اللحظة السحرية التى يتلاشى فيها وميض الحياة، لكن ما فاجأنى، أن تيدى أمسك السمكة وسحب الخطاف من فمها وأعادها إلى الماء بكل رقة، وهو يهمس إليها كالمعتذر لمضايقتها فى الصباح.

سألته: " لماذا لم تحتفظ بها؟" .

انتصب تيدى واقفا، مرعوبا من صوتى وقال: "أوه، إنه أنت!" .

" أتركتها تهرب!" .

" لا أحب قتلها، إنها مجرد سمكة قاروس على أية حال" .

" إذن، فأنت ترمى جميع السمك فى الماء؟" .

" آه - آه" ، وضع تيدى الطعم فى الخطاف ثانية وألقاه فى الماء.

" إذن، فما هى وجهة نظرك فى إمساكها؟" .

" إنها متعة، إنها كلعبة بيننا، أنا والسمك" .

وجلست بجواره على الضفة، والبعوض يطن حول وجهينا وتيدى يزيحه بعيدا. لقد أتم الحادية عشرة من عمره للتو، لكن مازالت لديه بشرة طفل ناعمة ورقيقة، وكريم الأطفال الذى يضعه على وجهه يلمع تحت أشعة الشمس، أنا قريب منه بشكل كاف لأسمع أنفاسه، ولأرى النبض يندفع فى رقبته النحيلة، يبدو أنه لا يتضايق من وجودى؛ فى الواقع، ابتسم لى ابتسامه خجولة، كما لو كانت تلك معاملة خاصة، بمشاركة الصباح الكسول مع ابن عمه.

وقال وهو يقدم لى الصنارة: " أترغب فى المحاولة؟" .

أخذتها، لكن مازال انتباهى على تيدى، على العرق البراق الموجود على جبهته، على ظلال رموشه.

وغمزت الصنارة.

" لقد بلعت الطعم" .

بدأت أشد الخيط، وقد تعرقت يداى متعجلاً رؤيتها. شعرت بهزيمتها، ويأسها من الحياة، وفى النهاية ظهرت وذيلها يتلوى عند سحبى لها من الماء ووضعها على الضفة، لقد اصطدت سمكة صغيرة موحلة.

قال تيدى: " والآن أخرج الخطاف منها، لكن احرص على ألا تجرحها" .

نظرت فى صندوق عدة الصيد ورأيت سكيناً.

حثنى تيدى قائلاً: " لا يمكنها التنفس خارج الماء، أسرع" .

فكرت فى الإمساك بالسكين، والإمساك بالسمكة المتلوية ووضعها على الأرض وقطع رأسها، وفتحها، حتى البطن، أريد أن أرى السمكة وهى ترتعش الرعشة الأخيرة، أردت أن أشعر بقوة حياتها تقفز داخلى مباشرة برعشة قوية - نفس الرعشة التى شعرت بها عندما كنت فى العاشرة من عمرى وأخذت عهد هيربيم، عندما وضعتنى أمى فى الدائره وأعطتنى السكين وقالت: " لقد وصلت إلى السن المناسبة، إنه وقتك لتكون واحداً منا" ، وفكرت فى رعشة العنزة المقدمة كقربان، وأتذكر الفخر فى عين أمى وهمهمات الموافقة والاستحسان القادمة من دائرة الرجال الذين يرتدون عباءات، أريد الشعور بنفس الإثارة مرة أخرى.

ولكن لن تحدث السمكة نفس الإثارة.

نزعت الخطاف ورميت السمكة المتلوية فى البحيرة، وضربت الماء بذيلها وانطلقت بعيدا، وهمس النسيم يحرك المياه و اليعاسيب ترتعد على الأعشاب، واستدرت إلى تيدى.

فقال: " لماذا تنظر إلىّ هكذا؟" .

# الخامس والعشرون

خمسة وعشرون يورو بقشيشاً - ليست بغنيمة سيئة فى يوم أحد شديد البرودة بشهر ديسمبر. وعندما لوحت ليلى مودعة المجموعة السياحية التى قادتها للتو عبر المبنى الرومانى شعرت بقطرة مطر متجمدة تسقط على وجهها، ونظرت إلى السماء الملبدة بالغيوم السوداء القريبة وارتجفت، غداً ستحتاج معطفاً للمطر بكل تأكيد.

ذهبت إلى مكان تسوقها المفضل لكل طالب يوفر نقوداً فى روما بتلك الحزمة الجديدة من الأموال فى جيبها: متجر (بورتا بورتيز) فى تراستيفيرى، كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، والتجار يغلقون متاجرهم الآن، لكن ربما يكون هذا هو الوقت المناسب لعقد الصفقة، ففى الوقت الذي وصلت فيه إلى المتجر، بدأت السماء تمطر رذاذاً خفيفاً، ولا تسمع فى ساحة بورتا بورتيز إلا صوت الصناديق التى يتم ملؤها، ولم تضيع وقتًا فانتزعت سترة صوفية مستعملة بمبلغ ثلاثة يوروهات، السترة معبقة برائحة دخان السجائر، لكن غسلة جيدة ستعالج الأمر، ودفعت اثنين يورو فى معطف واقٍ من المطر يشوهه فقط خط طولى من الشحم، وهى الآن تشعر بالدفء فى مشترياتها الجديده، وبباقى النقود المتبقية معها انطلقت فى رفاهية تستعرض السلع.

تجولت بين الأكشاك فى الممر الضيق، وتوقفت لتنظر إلى عدد من الجواهر والعملات الرومانية المقلدة، واستمرت فى السير ناحية بيازا إيبوليتو نيفو وأكشاك التحف. فى كل أحد، كانت عادة ما تنهى جولتها بهذا القسم من السوق لأنه يحتوى على أشياء قديمة تثير انتباهها بحق، فقطعة من النسيج أو قطعة من البرونز يعود تاريخها إلى العصور الوسطى قد تجعل نبضات قلبها تتسارع، ومع الوقت وصلت إلى منطقة الأشياء القديمة، كان معظم البائعين يلملمون بضائعهم ويستعدون للرحيل، ورأت عدداً قليلاً منهم مازال يعرض أشياءه للبيع، ومعروضاته مبللة برذاذ المطر، ومرت على المعروضات الزهيدة، على بائعين كئيبى الوجوه، وكانت على وشك مغادرة الساحة عندما وقعت نظراتها على صندوق خشبى صغير، فتوقفت محدقة فيه.

كانت هناك ثلاثة صلبان مقلوبة منحوتة على قمة الصندوق.

شعرت بأن وجهها المبلل بالرذاذ أصبح مغطى بالثلج، وبعد ذلك لاحظت أن ظهر الصندوق كان أمامها، وبضحكة خجل حولت الصندوق إلى وضعه الصحيح، فأصبحت الصلبان فى وضعها الصحيح، عندما تفكر فى الشر كثيراً تراه فى كل مكان، حتى لو لم يكن موجودًا فى المكان الذى تتوجد فيه الآن.

سألها البائع بالإيطالية: "أتبحثين عن أشياء دينية؟".

ونظرت إلى وجه الرجل المتجعد، الذى لا يمكنها أن ترى عينيه تقريبا بين ثنيات جلده وقالت: "أنا فقط أستعرض المعروضات، شكرا".

"هنا، يوجد ما هو أكثر"، ووضع أمامها صندوقا يحتوى على المسابح المتشابكة وبعض الكتب القديمة، ويبدو على صفحات الكتب التجعد بفعل الرطوبة. "انظرى، انظرى! خذى وقتك".

من النظرة الأولى لم تر فى الصندوق شيئا يثير اهتمامها، وبعد ذلك ركزت على ظهر أحد الكتب، فالعنوان كان مطبوعا على الغلاف الجلدى بالخط المذهب : *كتاب إينوخ*.

حملت الكتاب وفتحته على صفحة حقوق الطباعة، كانت ترجمة إنجليزية قام بها (آر. إتش. تشارلز)، إصدار عام ١٩١٢ بدار جامعة أكسفورد للطباعة، منذ سنتين رأت بمتحف باريس نسخة ترجع لعدة قرون، كتاب إينوخ كان نصاً أثرياً، جزء من الأدب الأبوكريفى.

قال البائع: "إنه قديم جداً".

همهمت: "نعم، هو كذلك".

"مكتوب عليه أنه يرجع إلى سنة ١٩١٢".

قالت لنفسها وهى تقلب صفحات الكتاب الصفراء: وهذه الكلمات أقدم، كانت عبارة عن قصص قبل عهد نوح وسفينته، وقلبت صفحات الكتاب وتوقفت عند قطعة وُضعت تحتها خطوط بالحبر.

*الأرواح الشريرة استمرت فى أجسادهم، لأنهم مولودون من البشر والحراس الأشرار الذين هم بدايتهم وأصلهم الرئيسى؛ سيكونون أرواحاً شريرة على الأرض، وسيطلق عليهم الأرواح الشريرة.*

قال التاجر: "لدىَّ أشياء كثيرة من ممتلكاته".

نظرت إليه قائلة: "من؟".

"الرجل الذى امتلك هذا الكتاب، كل هذه الأشياء تخصه". وأشار إلى مجموعة صناديق وقال: "مات الشهر الماضى، والآن يجب بيع كل شىء، إذا كنت تهتمين بهذه الأشياء فلدىَّ شىء آخر مثله"، وانحنى ليخرج كتاباً آخر فأخرج كتاباً رفيعاً حدوده جلدية، وغلافه مهترئ ومبقع. "نفس المؤلف، آر. إتش. تشارلز".

قالت لنفسها: ليس نفس المؤلف بل نفس المترجم، كانت نسخة ترجع إلى عام ١٩١٣ لكتاب جيوبليز، نص آخر سبق عهد المسيح، رغم أنها كانت معتادة على عنوان جيوبليز، إلا أنها لم تقرأ هذا الكتاب، ففتحت الكتاب، وانفتح على الفصل العاشر، على قطعة وضع تحتها خطوط بالحبر:

*وأنت تعرف كيف يتصرف حراسك، آباء هذه الأرواح، فى يومى هذا: وبالنسبة إلى هذه الأرواح الحية، رجاء اسجنهم وقيدهم بسرعة فى مكان الإدانة، ولا تتركهم يجلبون الدمار على خدمك؛ لأنهم خبثاء ومخلوقون للدمار.*

وكتبت فى الهامش، بنفس الحبر، هذه الكلمات: *أبناء شيث، بنات كاين.*

أغلقت ليلى الكتاب ولاحظت فجأة البقع البنية على الغلاف الجلدى، *دماء؟*

"أترغبين فى شرائه؟".

ونظرت إليه، قائلة: "ما الذى جرى لهذا الرجل؟ الرجل الذى كان يمتلك هذه الكتب؟".

"لقد أخبرتك، لقد مات".

"كيف؟".

هز كتفيه وقال: "عاش بمفرده، كان عجوزًا جدًا، وغريبًا جدًا، وجدوا باب شقته مغلقًا عليه، وكل هذه الكتب موضوعة وراء الباب لكى لا يتمكن من الخروج، مجنون، أليس كذلك؟".

فكرت وقالت لنفسها: *أو مرعوب مما قد يحدث.*

"سأعرض عليك سعرًا جيدًا، أتريدينه؟".

ونظرت إلى الكتاب الثانى، تفكر فى صاحبه، ميتًا ومحبوسًا فى شقته، ويمكنها تقريبًا شم رائحة اللحم المتحلل بين الصفحات، وما صدمها كانت تلك البقع الموجودة على الغلاف، فهى تريد هذا الكتاب، وتريد أن تعرف سبب كتابة هذه الكلمات فى الهامش وإذا ما كان قد كتب شيئاً آخر.

قال البائع: "خمسة يوروهات".

ولمرة واحدة، لم تساوم، بل دفعت السعر المطلوب وسارت مبتعدة بالكتاب.

كانت السماء تمطر بشدة عند وصولها إلى سلالم شقتها، وقد أمطرت طوال فترة العصر. وجلست تقرأ على الضوء الشاحب عبر نافذتها، قرأت عن شيث، ثالث أبناء آدم، وأنجب شيث إينوس، الذى أنجب كنعان، هو نفس خط الدم الذى أنجب بعد ذلك البطاركة والشيوخ الصالحين: جاريد وإينوخ، ونوح، لكن نفس خط الدم نتج عنه أيضا أبناء فاسدون، الذين واعدوا بنات الأجداد القتلة.

بنات كاين.

وتوقفت ليلى على قطعة أخرى موضوع تحتها خطوط، والكلمات تم تعليمها منذ فترة طويلة ويبدو صاحبها الآن كشبح يربت على كتفيها، يتوق إلى أن يشاركه أحد فيها، وأن يخبر أحداً بتحذيراته.

*انتشرت مخالفة القانون فى الأرض وفسد طريق كل الكائنات الحية، البشر والبقر والوحوش وكل ما يسير على الأرض، جميعهم ضلوا طريقهم ونظامهم، وبدأو فى إفناء بعضهم، وبدأت مخالفة القانون تتزايد بكل معانى الكلمة وتزايد الشر فى أفكار البشر باستمرار.*

بدأ ضوء النهار فى التلاشى، وهى فاقدة الإحساس بأطرافها تقريبا، وبالخارج، استمر المطر فى النقر على النافذه، وكان المرور متوقفاً فى شوارع روما وصوت آلات التنبية يتعالى، لكن هنا، فى غرفتها، جلست فى هدوء شديد، قرن قبل الميلاد، هذه الكلمات كانت قديمة بالفعل ومكتوبة عن رعب قديم جدًا لا يتذكره بشر هذه الأيام، ولم يلاحظوا وجوده.

وفكرت قائلة: *الشياطين مازالت بيننا، وبدأت إراقة الدماء بالفعل.*

# السادس والعشرون

قادت جان السيارة ومعها مورا غرباً على طريق ماساتشوسيتس الرئيسى، وهما يمران بطبيعة مقفرة ليس بها إلا الثلج والأشجار العارية، وحتى بعد ظهيرة يوم الأحد، شاركتهم قافلة من الشاحنات العملاقة الطريق مما جعل جان تنطلق مسرعة من بينها مثل الجنى الصغير، كان من الأفضل ألا تشاهد ذلك، فمورا تركز على ملاحظات جان، خط يدها سيئ ومكتوب على عجل، لكنه لم يكن أسوأ من خط الأطباء، الذى تعلمت مورا فك رموزه منذ زمن بعيد.

*سارا بارملى، ٢٨ عاما، آخر مرة شوهدت فيها فى ١٢|٢٣ تدفع حساب نزل أوكمونت.*

قالت مورا: "اختفت من اسبوعين، واكتشفوا جسدها للتو؟".

"وجدوها فى منزل خالٍ، معزول نوعًا ما. لاحظ رجل الأمن سيارتها مركونة بالخارج، ووجد أيضا أن باب المنزل الأمامى لم يكن مغلقا، فدخل ليستكشف الأمر، وهو من اكتشف الجثة".

"ما الذى كانت تفعله الضحية فى منزل خال؟".

"لا يعرف أحد، وصلت سارا إلى المدينة فى العشرين من شهر ديسمبر لتحضر جنازة عمتها، واعتقد الجميع أنها عادت إلى بيتها فى كاليفورنيا بعد الجنازة مباشرة، لكن بعد ذلك، بدأ رب عملها فى سان فرانسيسكو الاتصال باحثا عنها، ومع ذلك، لم يضع أحد فى المدينة احتمالية عدم مغادرة سارا المدينة".

"جان انظرى إلى الخريطة، من ولاية نيويورك إلى بوسطن – الجرائم بعيدة عن بعضها بمسافة ثلاثة آلاف ميل، لماذا ينقل القاتل اليد كل هذه المسافة؟ ربما اليد لا تخصها".

"إنها يدها، أنا أعرف ذلك".

"كيف يمكنك التأكد هكذا؟".

"انظرى إلى اسم المدينة الصغيرة التى وجدت فيها جثة سارا".

"بيورتى (النقاء)، نيويورك، إنه اسم غريب، لكنه لا يعنى شيئا لى".

"نشأت سارا بارملى فى بيورتى وتخرجت فى المدرسة الثانوية هناك".

"إذن؟".

"إذن، خمنى إلى أين ذهبت لورى آن تاكر فى مدرستها الثانوية؟".

نظرت مورا إليها فى دهشة، قائلة: "أهى من نفس المدينه؟".

"فهمت، وكانت لورى آن تاكر فى الثامنة والعشرين من عمرها أيضا، فمنذ أحد عشر عاما، كانتا قد تخرجتا من نفس الفصل فى المدرسة الثانوية".

"ضحيتان نشأتا فى نفس المدينة، وذهبتا إلى نفس المدرسة، من المؤكد أنهما يعرفان بعضهما".

"وربما ذلك هو المكان الذى قابلهما فيه السفاح، وتلك

طريقة اختياره لهما، ربما كان متعلقا بهما من أيام المدرسة الثانوية، ربما قامتا بتوبيخه وقضى الإحدى عشرة سنة الأخيرة يفكر فى طرق للانتقام منهما، وفجأة، ظهرت سارا فى بيورتى لتحضر جنازة عمتها ورآها، فتذكر كل الذكريات السيئة، فقتلها وقطع يدها كتذكار، وتمتع كثيرا بفعل ذلك فقرر تكراره ثانية".

"إذن فقد سافر كل تلك المسافة إلى بوسطن ليقتل لورى آن؟ إنه طريق طويل للانتقام".

ونظرت مورا إلى الطريق، تفكر. "إذا كان كل ذلك بداعى الانتقام، فلماذا اتصل بجويس أودونيل تلك الليلة؟ لماذا حول غضبه عليها؟".

"هى فقط من كانت تعرف إجابة ذلك السؤال، ورفضت أن تبوح لنا بسرها".

"ولماذا يكتب على بابى؟ ما الرسالة التى يحتويها ذلك؟".

"أتقصدين، لقد ارتكبت خطيئة؟".

واحمر وجة مورا، وأغلقت الملف، وجلست وهى تمسكه بإحكام، إذن رجعنا إلى ذلك الأمر ثانية، الموضوع الوحيد الذى لا ترغب فى الحديث عنه.

قالت جان: "لقد أخبرت فروست عن ذلك".

لم تقل مورا شيئا، لكنها أبقت نظرتها مركزة للأمام.

"كان ينبغى أن يعرف، وقد تحدث بالفعل إلى السيد بروفى".

"كان عليك تركى أتحدث مع دانيال أولاً".

"لماذا؟".

"لكى لا تأخذه المفاجأة كليًا".

"المفاجأة هى أننا نعرف بأمركما أنتما الاثنين؟".

"لا تتحدثى بذلك الأسلوب الاتهامى".

"لم أكن أقصد ذلك".

"يمكننى سماع ذلك فى صوتك، لا أحتاجك لتقولى ذلك".

"إذن، فمن الجيد أنك لم تسمعى ماقاله فروست عن هذا الأمر".

"أتعتقدين أن ذلك لا يحدث طوال الوقت؟ جان، البشر يقعون فى الحب، ويرتكبون أخطاء".

"لكن ليس أنت!". بدا على جان الغضب والشعور بالخيانة. "لطالما اعتقدت أنك أذكى من كل ذلك".

"ليس هناك أحد بذلك الذكاء".

"ذلك لن يفيد وأنت تعلمين، إذا توقعت أن يتزوجك فـ-".

"لقد جربت الزواج بالفعل، أتتذكرين؟ كان ناجحاً جداً!".

"ما الذى تعتقدين أنك ستحصدينه من ذلك؟".

"لا أعلم".

"حسناً، أنا أعلم، أولاً، ستكون هناك همسات، سيتساءل الجيران عن سبب وجود سيارة رجل الدين أمام منزلك بشكل دائم، إذن فسيكون عليك الفرار من كل المدينة لتقضيا وقتا معا، ولكن فجأة سيراكما شخص ما معا، وبعد ذلك يبدأ القيل والقال، وسيصبح الأمر غير ملائم ومحرجا أكثر وأكثر، ما المدة التى ستتحملين فيها ذلك؟ وما المدة التى ستبقيانها معا حتى يكون مجبرا على الاختيار؟".

"لا أريد التحدث عن ذلك".

"أتعتقدين أنه سيختارك؟".

"أنهى الموضوع، جان".

"حسنًا، وهل ستنهينه أنت؟". كان السؤال قاسياً وليس له داع، ولدقيقة فكرت مورا فى النزول بالمدينة التالية واستئجار سيارة والعودة إلى ديارها بمفردها.

وقالت: "أنا كبيرة بما يكفى لأحدد خياراتى".

"لكن ما قراره هو؟".

حولت مورا رأسها لتنظر إلى الحقول المغطاة بالثلج، وسياج صغير نصف مدفون فى الثلج؛ إذا لم يخترنى، هل سيكون ذلك مفاجأة؟ يمكنه إخبارى كثيراً بمقدار حبه لى، لكن هل سيترك عمله من أجلى؟

تنهدت جان قائلة: "أنا آسفه".

"إنها حياتى وليست حياتك".

"نعم، أنت محقة، إنها حياتك"، وهزت جان رأسها وضحكت، مستطردة: "البشر والعالم أصابهم الجنون، لا يمكننى الوثوق بشىء بعد ذلك، ليس شيئا لعينًا واحدًا". وقادت لدقيقة فى هدوء، وهى تنظر إلى الشمس الغاربة ثم قالت: "لا يمكننى إخبارك عن أخبارى الممتازه".

"أية أخبار؟".

"لقد انفصل والداى".

فى النهاية نظرت مورا إليها، قائلة: "متى حدث ذلك؟".

"بعد عيد رأس السنة مباشرة، بعد سبعة وثلاثين عاما من الزواج، وبعد ذلك ذهب والدى مع سيدة شقراء تعمل معه".

"أنا آسفة جدا".

"إذن، فهذا نفس الشىء معك أنت وبروفى - إنه مثل كل فرد يصيبه جنون الشهوه، أنت، أبى الأحمق، وحتى والدتى"، سكتت ثم أضافت: "طلب منها فينس كورساك الخروج لمقابلته، الأمور تزداد سوءاً بتلك الطريقة"، وفجأة تأوهت جان، قائلة: "بحق الله، لقد فكرت فى ذلك للتو، أتعتقدين أن الأمور قد تنتهى بأن يكون كورساك زوج أمى؟".

"العالم لم يصبه الجنون إلى هذه الدرجة".

هزت جان كتفيها، قائلة: "يمكن أن يحدث ذلك، التفكير فى الاثنين معا يصيبنى بالرعب".

"إذن، لا تفكرى فى ذلك".

ضغطت جان على أسنانها قائلة: "أنا أحاول".

وسأحاول أنا ألا أفكر فى دانيال.

ولكن عندما استمرتا فى قيادة السيارة غرباً تجاه الشمس الغاربة، عبر مدينة سبرينجفيلد إلى داخل بيركشاير هيلز، كان هو كل ما تمكنت من التفكير فيه، تتنفس ومازالت تشم رائحته، وتضم ذراعيها وتشعر به، كما لو كانت الذكريات قد دفنت على بشرتها، فتساءلت: هل حدث نفس الأمر معك، دانيال؟ هل فكرت فى وجهى، وجهى الذى فكرت فيه؟

وبمرور الوقت عبرتا حدود الولاية إلى نيويورك، وقد حل الليل، ورن هاتفها الخلوى، وفى ظلام السيارة استغرقت حوالى دقيقة لتصل إلى الهاتف من بين محتويات حقيبتها، وأجابت: "د. آيسلز".

"مورا، هذا أنا".

وبسماعها صوت دانيال أحست بخدودها تشتعل، وكانت سعيدة جدا لأن الظلام أخفى وجهها من نظرات جان.

قال: "جاء المحقق فروست لرؤيتى".

"كان علىَّ إخبارهم".

"بالطبع كان عليك ذلك، لكن كنت أود لو أخبرتنى بالأمر، كان عليك إخبارى".

"آسفة، فقد كان من المحرج جدا إخباره بذلك".

"لا، أقصد الكتابة الموجودة على بابك، لم يكن لدىَّ فكرة، كنت سأكون عندك فى لحظة، ما كان عليك أن تواجهى ذلك بمفردك".

وتوقفت، وهى مدركة أن جان تستمع إلى كل كلمة، وبلا شك ستعبر عن عدم موافقتها فى اللحظة التى ستنتهى فيها المكالمة.

وقال: "ذهبت إلى منزلك منذ وقت قصير، وكنت آمل أن أجدك هناك".

"سأبيت فى الخارج الليلة".

"أين أنت؟".

"أنا فى السيارة مع جان، مررنا بألبانى منذ فترة قصيرة".

"أنت فى نيويورك، لماذا؟".

"وجدوا ضحية أخرى، نعتقد ..."، أمسكت يد جان ذراع مورا فجأة، محذرة إياها بأنه كلما أظهرنا معلومات أقل كان ذلك أفضل، لم تعد جان تثق به أكثر من ذلك، والآن سيحاول أن يثبت أنه عاطفى جداً، فقالت: "لا يمكننى الحديث عن ذلك".

ساد هدوء على الخط، وبعد ذلك قال برقة: "نعم، أفهم".

"هناك تفاصيل علينا إبقاؤها سراً".

"لا تحتاجين إلى الشرح، أعلم كيف تسير الأمور".

"أيمكننى الاتصال بك فيما بعد؟"، عندما لا يكون هناك زوجان من الآذان يسترقان السمع.

"ليس عليك ذلك، مورا".

"أريد ذلك"، أحتاج إلى ذلك.

وأغلقت الخط ونظرت إلى سماء الليل عبر أشعة مصابيح السيارة فقط، لقد تركتا الطريق الرئيسية وراءهما، ويتخذان الآن طريق الجنوب الغربى عبر حقول مغطاة بالثلج، وهناك، الأضواء الوحيدة التى رأتاها مصدرها إما سيارة من السيارت المارة أو ضوء منزل ريفى بعيد.

سألتها جان: "الن تتحدثى معه عن القضية، أليس كذلك؟".

"حتى لو فعلت، فهو كتوم جدا، وأنا أثق فيه دائما".

"حسنا، وأنا كنت كذلك".

"بمعنى أنك لا تثقين به الآن".

"أنت فى حالة حب يا دكتورة، وذلك ليس الوقت المناسب لتثقى فى أحكامك".

"كلتانا يعرف هذا الرجل".

"ولم أعتقد أبداً -"

"ماذا، أنه سيقع فى حبى؟".

"أنا أقول فقط، تعتقدين أنك تعرفين شخصاً ما وبعد ذلك يفاجئك بفعل شىء لم تتوقعيه منه أبدا، وساعتها ستدركين أنك لا تعرفين شيئا عن أى شخص. لو أخبرتنى منذ عدة شهور أن أبى سيترك أمى من أجل سيدة شقراء جذابة وغريبة المظهر لقلت إنك تهذين. فالناس سر لعين، بمن فيهم الناس الذين نحبهم".

"والآن أنت لا تثقين فى دانيال".

"ليس عندما يتعلق الأمر بموضوع الاحتشام".

"أنا لا أتحدث عن ذلك، وانما أتحدث عن هذا التحقيق، عن إخباره تفاصيل تهم كلتينا".

"هو ليس شرطيا، ليس عليه معرفة أى شىء".

"كان معى الليلة الماضية والكتابة المكتوبة على بابى موجهة إليه، أيتها المحققة"

"أتقصدين، لقد ارتكبت خطيئة؟".

وشعرت مورا بالحرارة تغمر وجهها وقالت: "نعم".

ولدقيقة لم يتحدثا معا والصوت الوحيد كان صوت الإطارات على الطريق، وصوت مدفأة السيارة.

قالت جان: "احترمت بروفى، فقد كان مفيدا لشرطة بوسطن عندما نحتاج إلى رجل دين فى مسرح الجريمة ليأتى بدون تأخير فى أى وقت من الليل، لذا فقد أحببته".

"إذن فلماذا تحولت ضده؟".

نظرت جان إليها، قائلة: "لأنه تصادف أننى أحبك أيضا".

"أنت بالتأكيد لا تعطيننى هذا الانطباع".

"نعم؟ حسنا، عندما تفعلين شيئاً غير متوقع مثل ذلك، شيء يدمر الذات، فذلك يجعلني أتساءل".

"تتساءلين عن ماذا؟".

"عما إذا كنت أعرف أيا منكما".

كانت الساعة حوالى الثامنة عند وصولهم أخيرا إلى مكان صف السيارات الخاص بمستشفى لورديس فى بينجهامتون. لم تكن مورا تميل إلى إجراء محادثات عند خروجها من السيارة، فقد أصيبت عضلاتها بالشد بفعل الرحلة الطويلة، وقد توقفت لفترة قصيرة لتناول عشاء صامت باستراحة ماكدونالد، ومعدتها متقلبة بسبب قيادة جان وتناول الوجبة بسرعة، لكن السبب الرئيسى كان التوتر الذى حدث بينهما، توتر قوى لا يمكن التخلص منه بسهولة. *ليس لديها حق لتحاكمنى،* فكرت مورا فى ذلك وهما يمران بكومات من الثلج المجروف. جان متزوجة وسعيدة ومن أكثر الأشخاص تمسكاً بالقيم، ما الذى تعرفه عن حياة مورا، عن الليالى التى قضتها بمفردها تشاهد الأفلام القديمة أو تعزف على البيانو لمنزل فارغ؟ فالفجوة بين حياتهما بعيدة ليتم ربطها بصداقة حقيقية، *وبأية حال، ما الأشياء المشتركة بينى وبين هذه اللعينة التى لا تقبل التفاهم؟ لا شىء.*

ودخلتا معا قسم الطوارئ، ودخل معهما الهواء البارد عند إغلاق الأبواب الأوتوماتيكية. وسارت جان تجاه نافذة استقبال الطوارئ ونادت: "مرحبا؟ أيمكننى الحصول على بعض المعلومات بالخارج؟".

سأل صوت من خلفهما: "أنت المحققة ريزولى؟".

لم يرياه جالساً بمفرده فى منطقة الانتظار المخصصة للمرضى. وقد وقف الآن، رجل شاحب الوجه يرتدى سترة خفيفة من التويد على سترة صيد خضراء. خمنت مورا أنه

ليس شرطياً وهى تلاحظ شعره الأشعث، وأكد انطباعها بسرعة.

وقال: "أنا د. كيبى، اعتقدت أنه من الأفضل أن أنتظركما هنا بالخارج، وإلا فما كنتما لتصلا إلى مشرحة الجثث المجهولة".

قالت جان: "شكرا لمقابلتك لنا الليلة، هذه د. آيسلز من مكتب الفحص الطبى لدينا".

صافحته مورا، قائلة: "أقمت بالتشريح بالفعل؟".

"أنا لست طبيب تشريح أو جراحًا، أنا فقط طبيب باطنة. هناك فقط أربعة منا يعملون كمحققين فى أسباب الوفيات بشينانجو كاونتى. أنا أقوم بالفحص التمهيدى وأحدد إذا كان التشريح مطلوبا أم لا. أما التشريح فقد يُجرى غدا بعد الظهر، بافتراض أن أطباء شرطة أونونداجا كاونتى يستطيعون القدوم من مدينة سيراكوز".

"لابد أن يكون هناك متخصصون فى تلك المقاطعة".

"نعم، لكن فى هذه الحالة الخاصة ..." وهز كيبى رأسه، مستطرداً: "للأسف، نحن نعرف أن جريمة القتل تلك ستثير الرأى العام، والكثير من الاهتمام، بالإضافة إلى محاكمة غير عادلة يوما ما، وطلب طبيب التشريح بالمستشفى، واستدعاء طبيب آخر لتلك القضية لكى لا يكون مسئولاً وحده عن استنتاجاته؛ إنه الأمان والاحتياط فى التفاصيل كما تعرفين". وحمل معطفه من فوق الكرسى، قائلاً: "المصعد من ذلك الطريق".

سألت جان: "أين المحقق جورفيتش؟ اعتقدت أنه سيقابلنا هنا".

"للأسف، تلقى جو مكالمة منذ فترة، لذلك فلن يتمكن من رؤيتكما الليلة. قال إنه سيقابلكما فى الصباح، بالمنزل. اتصلا فقط به غدا". وأخذ كيبى نفسًا وقال: "إذن، هل أنتما جاهزتان لذلك؟".

"هل الأمر بالغ السوء؟".

"لكى أكون أميناً: آمل ألا أرى شيئا مثل ذلك ثانية".

وساروا فى الردهة للوصول إلى المصعد، وضغط على زر النزول للأسفل.

قالت جان: "بعد أسبوعين، أخمن أنها ستكون فى شكل سيئ جدا".

"فى الواقع، سيكون هناك تحلل أولى. فالمنزل كان خاليا، لا حرارة ولا طاقة. ربما تكون درجة الحرارة ٣٠ بالداخل، مثل تخزين اللحم فى المجمد".

"كيف انتهى بها الأمر بالمنزل؟".

"ليس لدينا فكرة، ليس هناك علامات على الدخول باستعمال العنف، إذن، فمن المؤكد أن معها مفتاحا، أو مع القاتل".

فتح باب المصعد ودخلوا ووقف كيبى بين السيدتين، كفاصل بين جان ومورا، اللتين لم يقولا كلمة إلى بعضهما منذ أن تركتا السيارة.

سألت جان: "من يمتلك هذا المنزل الخالى؟".

"امرأة تعيش خارج الولاية الآن، ورثته من والديها، وتحاول بيعه من فترة، ولم نتمكن من الاتصال بها، حتى السمسار لا يعرف مكانها". وخرجوا من المصعد فى الدور السفلى، وقادهما كيبى فى الردهة ودفع أحد الأبواب إلى حجرة انتظار التشريح.

قالت سيدة شقراء شابة: "ها أنت ذا د. كيبى". ووضعت القصة الرومانسية التى كانت تقرؤها جانبا ووقفت لتحييهم قائلة: "تساءلت إذا ما كنتم ستأتون".

"شكرا لانتظارك يا ليندسى. ها هما السيدتان اللتان أخبرتك عنهما، من بوسطن. المحققة ريزولى ود. آيسلز".

"هل قدتما السيارة كل هذه المسافة لتريا فتاتنا؟ حسنا دعونى أقود طريقكم". وسارت عبر البوابة المزدوجة إلى معمل التشريح وفتحت مفاتيح الإضاءة. وتوهجت المصابيح البيضاء على منضدة فارغة. "د.كيبى، سيكون علىَّ الرحيل بعد قليل. أيمكنك إعادة الجثة ثانية إلى الثلاجة وإغلاق المكان عندما تنتهون من ذلك؟ عليك فقط إغلاق باب الردهة عند الخروج".

سألها كيبى: "أستحاولين إكمال اللعبة؟".

"إذا لم أظهر ذلك، فلن يكلمنى ثانية".

"أيتحدث إيان بالفعل؟".

دارت مقلتا عينى ليندسى وقالت: "د. كيبى. رجاء".

"مازلت أخبرك، يجب أن تتصلى بابن أخى. إنه يدرس الطب فى كورنيل، وستخطفه فتاة أخرى إذا لم تسرعى".

ضحكت وهى تفتح باب الثلاجة، قائلة: "نعم، لم أرغب أبدا فى الزواج من طبيب".

"لقد جرحتنى حقاً بكلامك هذا".

"أقصد، أريد شخصًا يعود إلى المنزل لتناول الغذاء". وشدت النقالة ذات العجلات خارج الثلاجة، مستفهمة: "أتريدونها على المنضدة؟".

"النقاله جيدة، ليس علينا التقطيع".

"دعونى فقط أتأكد من أنى سحبت الجثة الصحيحة". ونظرت إلى البطاقة المرفقة ثم وصلت إلى الزمام المنزلق. ولم يبد عليها أى تردد أو حساسية وهى تفتح الكيس لترى وجه الجثة، قائلة: "نعم، هى". وفردت شعرها الأشقر، وظهر وجهها المتورد بازدهار الشباب؛ على عكس ذلك الوجه الخالى من علامات الحياة والعينين الجافتين اللتين تنظران إليهم عبر فتحة الكفن.

سألها د.كيبى: "أيمكننا أخذها من هنا؟".

لوحت لهم الفتاة، قائلة: "تذكروا أن تغلقوا الباب على أية حال". تحدثت بابتهاج وسارت خارجة، تاركة وراءها رائحة عطرها الذكية.

سحبت مورا قفازاً مطاطياً من الصندوق الموجود على المنضدة، وبعد ذلك سارت إلى الكفن وفكت الزمام المنزلق بكامله. وعند نزع الغطاء البلاستيكى لم يتفوه أحد بكلمة واحدة، فالشىء المستلقى بالكفن أخرسهم جميعًا.

فى أربع درجات سيليزية يتوقف نمو البكتريا، ويتوقف التحلل. ورغم مرور أسبوعين على الأقل فقد أبقت حرارة المنزل الخالى على أنسجة الجثة الرقيقة ولم يكن هناك حاجة لمرهم المنتول لإزالة أى روائح كريهة. وأظهرت الأضواء الشديدة أشياء مرعبة أكثر من التعفن؛ كان الحلق مفتوحا بقطع عميق حتى القصبة الهوائية، قطع كل الطريق إلى عظم الرقبة. لكن ضربة النصل التى أودت بحياة الضحية لم تكن هى ما جذب انتباه مورا؛ بل ركزت على الجذع العارى. على الرموز العديدة التى تم نحتها على صدر وبطن الضحية، وتجلط الدم على الرموز، وظهرت أنهار كثيرة صغيرة من الجروح السطحية وجفت لينتج عنها خطوط حمراء تجرى على جانبى الجذع.

ونظرت إلى الذراع اليمنى، على جانب الجثة، فرأت آثار الجروح، كسوار عنيف يحيط بالمعصم. ونظرت وتلاقت نظراتها مع نظرات جان، ففى تلك الدقيقة نسيت المرأتان كل الغضب الذى بينهما، محاولتين رؤية دقائق سارا بارملى الأخيرة.

قالت مورا: "تم عمل ذلك وهى مازالت على قيد الحياة".

ابتلعت جان ريقها، معلقة: "كل هذه الجروح، من المؤكد أنها استغرقت ساعات".

قال كيبى: "عندما وجدناها، كان هناك رباط من النايلون حول ما تبقى من المعصم والرسغ. كانت مربوطة فى الأرضية فلم تتمكن من الحراك".

قالت مورا: "لم يفعل ذلك مع لورى آن تاكر".

"تلك الضحية الموجودة فى بوسطن؟".

"تم قطع أوصالها، لكن لم يتم تعذيبها". ودارت مورا إلى الجانب الأيسر للضحية ونظرت إلى ما بقى بعد قطع يدها، فقد تحول اللحم المقطوع إلى جلد بنى اللون، والأنسجه الرقيقة تقلصت لتظهر سطح العظم المقطوع.

قالت جان: "ربما أراد شيئا من هذه المرأة، ربما كان لديه سبب ليعذبها".

قال كيبى: "استجواب، مثلاً؟".

قالت مورا وهى تركز على وجه الضحية: "أو عقاب". وفكرت فى الكلمات التى رسمت على بابها وعلى جدران حجرة نوم لورى آن تاكر. *لقد ارتكبت خطيئة.*

*هل هذه هى الجائزة؟*

قالت جان: "هذه ليست جروحًا عشوائيه، فنحن نعرف هذه الرموز".

قال كيبى: "ورسمها على الجدران أيضا".

نظرت إليه مورا، قائلة: "هل كان هناك شىء آخر على الجدران؟ رموز أخرى؟".

"نعم، العديد من الأشياء الغريبة، لقد جعلنى ذلك أرغب فى الهرب وبأقصى سرعة. سيريكما جو جورفيتش عندما تذهبان إلى ذلك المنزل". ونظر إلى الجسد، مضيفاً: "هذا كل ما يمكنكما رؤيته هنا، وذلك يكفى ليخبرنا أننا نتعامل مع كلب مريض نفسياً".

أغلقت مورا الكفن، وأغلقت الزمام على عينين غشاهما الموت. لن تقوم بالتشريح لكنها لا تحتاج إلى أدوات لتعرف كيف ماتت هذه الضحية؛ فقد رأت الإجابة منحوتة على جسدها.

أعادوا الجثة ثانية إلى الثلاجة ونزعوا قفازاتهم. وعند وقوفهم أمام الحوض ليغسلوا أيديهم، قال كيبى: "منذ عشر

سنوات، عندما انتقلت إلى شينانجو كاونتى، اعتقدت أن هذه هى بلدة السلام: هواء نقى وتلال جميلة، شعب يلوح لك مرحبا وهو لا يعرفك، ويعطوننى وجبات ساخنة إذا اتصلت بأحدهم من منزلى". وتنهد وهو يغلق الصنبور، مستطرداً: "لا يمكنك التخلص كلياً من بعض الشر، أليس كذلك؟ سواء كنت فى مدينة كبيرة أو صغيرة، فالأزواج مازالوا يضربون زوجاتهم، والأطفال مازالوا يكسرون الأشياء، لكن لم أتخيل رؤية هذا النوع من الأشياء الغريبة". وشد منديلا ورقيا مجففا يديه. "بالتأكيد ليس فى مدينة مثل بيورتى، ستريان ما أقصده عندما تذهبان إلى هناك".

"كم تبعد عن هنا؟".

"ساعة ونصفًا، ربما ساعتين. وذلك يتوقف على مدى مخاطرتكما فى قيادة السيارة بسرعة".

قالت جان: "إذن فأين سنذهب إذا أردنا المكوث بنزل قريب من هنا؟".

ضحك كيبى، قائلاً: "نزل؟ لو كنت مكانكما، لتوقفت فى بلدة نوريش، لن تجدا الكثير منها فى بيورتى".

"هل هى بهذا الصغر؟".

ألقى المنديل الورقى فى سلة المهملات، قائلاً: "إنها بهذا الصغر".

# السابع والعشرون

كانت جدران النزل رفيعة كالورق بحيث أمكن لمورا عند استلقائها على سريرها سماع جان تجرى مكالمه هاتفية بالغرفة المجاورة، ففكرت فى نفسها: *ما ألطف هذا، أن تتصلى بزوجك وتضحكا معا بصوت عالٍ وتتبادلا القبلات والأحضان على الملأ، بدون أن يكون عليها النظر فيما حولها بحثا عن أى فرد يعرفها ولا يوافق على ذلك.* أما مكالمتها مع دانيال فيجب أن تكون مختصرة ومختلسة، كان هناك أشخاص آخرون يتحدثون حوله، وآخرون يستمعون إليه وذلك السبب الذى جعله يبدو متحفظا، هل هذا ما يفترض أن يكون عليه الأمر فى المعتاد؟ حياتهما الخاصة تتعارض مع حياتهما العامة، وليس هناك نقطة التقاء بينهما؟ هنا العواقب الحقيقية للرذيلة، ليس نار الجحيم واللعنة فقط بل وتحطم القلوب أيضاً.

وفى الغرفة المجاورة، أنهت جان مكالمتها وبعد دقيقه ارتفع صوت التلفاز، ثم سمعت مورا صوت مياه تتساقط من الدش، كان ما يفصل بينهما مجرد حائط، لكن الحاجز بينهما كان أكبر بكثير من الخشب والمواد اللاصقة، لم يتبادلا الكلام إلا نادرا منذ مرورهما بـ بينجهامتون، والآن صوت تلفاز جان يمثل مضايقة متزايدة، فسحبت مورا وسادة على رأسها لتقلل الضوضاء، لكنها لم تزل تسمع همسات الشك فى عقلها، حتى

عندما ساد الصمت فى حجرة جان، ظلت مورا مستيقظة واعية بالدقائق والساعات التى تمر.

لم تكن الساعة قد بلغت السابعة صباحا بعد عندما نهضت مورا من سريرها، مرهقة من ليلتها التى لم ترتح فيها، ونظرت إلى الخارج عبر النافذة؛ السماء رمادية بشكل شديد، فقد سقط الثلج طوال الليل، وغطيت السيارات الموجودة فى مكان صف السيارات باللون الأبيض. أرادت مورا الذهاب إلى المنزل، وليذهب هذا اللقيط الذى كتب على بابها إلى الجحيم، أرادت فقط أن تستريح فى سريرها، ومطبخها، لكن مازال هناك يوم طويل وممتد أمامها، يوم آخر من الصمت الكريه ونظرات الاستهزاء من قبل جان. *اغسلى أسنانك فقط وستتجاوزين كل ذلك.*

تطلب الأمر كوبين من القهوة قبل أن تشعر أنها قادرة على مواجهة هذا اليوم، وتناولت الجبن الدانمركى سيئ المذاق كجزء من وجبة الإفطار بالنزل، وحملت حقيبة الرحلات الخاصة بها إلى مكان صف السيارات؛ حيث كانت جان قد أدارت محرك السيارة بالفعل.

قالت جان: "جيورفيتش سيقابلنا بالمنزل".

"أتعرفين كيف نصل إلى هناك؟".

"وصف لى الطريق". ونظرت جان إلى مورا وقالت: "يا إلهى! تبدين محطمة".

"لم أنم بشكل جيد".

"الأمور كانت سيئة جداً، أليس كذلك؟".

"كالعادة". وضعت مورا حقيبتها فى المقعد الخلفى وأغلقت الباب، وجلستا بدون حديث لمدة دقيقه، وهواء المدفأة يهب عند أرجلهما.

قالت جان: "مازلت غاضبة منى".

"لا أشعر أننى قادرة على الحديث الآن".

"أحاول فقط أن أكون صديقتك، اتفقنا؟ إذا رأيت حياة صديق لى تتخطى الحدود فأنا أعتقد أن واجبى هو قول شىء عن ذلك".

تحدثت مورا بحدة وهى جالسة بمقعدها: "وقد سمعتك، أيمكننا الذهاب الآن؟".

وتركتا بلدة نورويش وتوجهتا إلى الشمال الغربى، عبر طرق مغطاة بالثلج حديث السقوط، وهناك غيوم كثيفة تنذر بثلوج إضافية اليوم، والمنظر الطبيعى الذى رأتة مورا من نافذة حجرتها كان به ظلال رمادية، وقد بقيت قطع الجبن الدانمركى فى معدتها كقطعة من الصخر، فمالت للخلف مغلقه عينيها لتتجنب الغثيان.

واستيقظت وهى تشعر أنها نامت لدقائق قليلة، لترى أنهما يسيران بصعوبة فى طريق غير ممهد، وجان تحاول القيادة عبر الثلج، والغابات الكثيفة على جانبى الطريق، وأصبحت الغيوم أكثر كثافة عما كانت عليه عندما غلبها النعاس.

سألت مورا: "كم نبعد عن بيورتى؟".

"لقد خرجنا للتو من القرية، لم يفتك أى شىء".

"أمتأكدة أن هذا هو الطريق الصحيح؟".

"هذه وصفته".

"جان، نحن على وشك أن نصبح عالقتين بالطريق".

"سأقود بقوة السيارة كاملة، حسنا؟ ويمكننا دائما الاتصال بشاحنة جر السيارات".

أخرجت مورا هاتفها الخلوى وقالت: "لا إشارة، يالحسن الحظ!".

"هنا، من المحتمل أن نتوقف هنا" قالتها جان وهى تشير إلى علامة عقار نصف مدفون فى الثلج، ثم أضافت: "المنزل معروض للبيع، أتتذكرين؟"، وأدارت المحرك وبدأت الإطارات فى الحركة وصعدت السيارة الطريق، وبدأت الأشجار تقل مما

أتاح لهما فرصة النظر إلى المنزل الموجود على هضبة صغيرة مستديرة.

ودخلت جان بالسيارة إلى ممر السيارات الموجود بالمنزل ونظرت للأعلى تجاه مبنى مشيد على الطراز الفيكتورى فغمغمت قائلة: "أوه، ياله من مكان فسيح".

كانت الشرائط الخاصة بوحدات مسح مسرح الجريمة معلقة على سياج الردهة الأمامية للمنزل، ورغم أن الألواح الخشبية كانت تحتاج إلى الدهان بشدة، إلا أن هذا التجاهل لا يقلل من الانطباع الذى يتكون تلقائياً لدى المرء بأن هذا المنزل كان منزلا جميلا فى يوم ما، ونزلتا من السيارة والثلج المتطاير يصطدم بوجهيهما عند صعودهما درجات السلم المؤدى إلى المنزل. نظرت مورا عبر النافذة فرأت ظلال الأثاث المغطى ولم تر شيئاً آخر فى الظلام الموجود بالداخل.

قالت جان: "الباب مغلق".

"ما الوقت الذى يفترض أن يقابلنا فيه؟".

"منذ ربع ساعة مضت".

وزفرت مورا زفرة باردة وقالت: "هذه رياح مجمدة، إلى متى سننتظره؟".

"نظرت جان إلى هاتفها الخلوى، قائلة: "دعينى أر إذا أمكن لجهازى استقبال الإشارة، شرطة واحدة، ربما تكفى للقيام بالأمر".

"سأذهب للجلوس بالسيارة"، وبدأت مورا فى نزول السلالم وكانت على وشك فتح باب السيارة عندما سمعت جان تقول: "ها هو".

استدارت مورا لترى سيارة جيب شيروكى حمراء على الطريق، وخلفها مباشرة سيارة مرسيدس سوداء. صفت السيارة الشيروكى بجوار سيارة جان السوبارو ونزل منها رجل شعره قصير خشن يرتدى سترة جلدية وحذاء ثقيلاً،

ومد يده المغطاة بالقفاز إلى مورا، فرأت وجهاً خالياً من المرح، وأعينًا رمادية باردة.

وسألها: "أأنت المحققة ريزولى؟".

"لا أنا د. آيسلز، من المؤكد أنك المحقق جيورفيتش"،

أومأ برأسه وهو يصافحها ثم قال: "أنا من مكتب عمدة شينانجو كاونتى"، ونظر إلى جان التى كانت تنزل درجات السلم لتقابله وقال: "أنت ريزولى؟".

"نعم، أتينا إلى هنا للتو منذ دقائق قليلة ..." وتوقفت جان متجمدة النظرات على المرسيدس السوداء، وعلى الرجل الذى نزل منها للتو. "ما الذى يفعله هنا بحق الله؟".

قال جيورفيتش: "توقع أنك ستتصرفين بهذه الطريقة".

سار أنتونى سانسون مسرعا تجاههم، مرتديا معطفا أسود، وأومأ إلى جان، بتحية مقتضبة تدل على معرفته بالأمر الواضح: أنها لا ترحب به هنا، والآن فإن نظراته مركزة على مورا، وقال: "هل رأيت الجثة بالفعل؟".

أومأت قائلة: "الليلة الماضية".

"أتعتقدين أننا نتعامل مع نفس القاتل؟".

قاطعته جان: "ماذا تقصد بقولك *إننا*؟ لم أكن أعلم أنك تعمل فى الشرطة، سيد سانسون".

تحدث وهو يبدو عليه عدم التأثر: "لن أعترض طريقك".

"هذا مسرح جريمة، لا يفترض بك التواجد هنا من الأساس".

"لا أعتقد أن شينانجو كاونتى تقع فى نطاق سلطتك، هذا الأمر يعود إلى المحقق جيورفيتش".

نظرت جان إلى جيورفيتش، قائلة: "أتعطيه الإذن؟".

هز جيورفيتش كتفيه، قائلاً: "وحدات مسح مسرح الجريمة دخلت المنزل وفحصته بالفعل، لا أرى سببا يمنعه من الدخول معنا".

"إذن، فهى جولة عامة".

"هذا الأمر موجه إلىّ عبر مكتب العمدة شخصياً، بطلب خاص".

"ممن؟".

نظر جيورفيتش إلى سانسون، الذى لم ترتسم على وجهه أى تعبيرات.

قال سانسون: "نحن نضيع وقتنا بالخارج، أنا متأكد أننا جميعنا نرغب فى الهروب من الرياح".

توقفت جان، قائلة: "أيها المحقق؟".

قال جيورفيتش الذى بدا عليه عدم السعادة من وجوده بين جان وسانسون: "إذا كان لديك أية اعتراضات، يمكنك مناقشتها مع مسئولى وزارة العدل، والآن لماذا لا ندخل قبل أن نتجمد؟". وصعد درجات السلم وسانسون بجواره تماماً.

نظرت إليهم وقالت بهدوء: "ما طبيعة دخوله، بأية حال؟".

قالت مورا: "ربما عليك سؤاله". وبدأت فى صعود درجات السلم. كان جيورفيتش قد فتح الباب الأمامى بالفعل، وتبعت الرجال إلى المنزل، وبالداخل وجدوا درجة الحرارة أدفأ بقليل من الخارج، لكنهم على الأقل فى مأمن من الرياح، وأتت جان وراءهم وأغلقت الباب، وتطلب الأمر دقائق من مورا لتتكيف مع الظلام داخل المنزل، ونظرت عبر المدخل إلى الردهة الأمامية، ورأت أثاثا مغطى بالأوراق ووميض الأرضية الخشبية الكئيب، وضوء الشتاء الشاحب يدخل من النافذة، ويغمر الغرفة بظلال رمادية.

أشار جيورفيتش إلى أعلى السلالم، قائلاً: "لا يمكنك رؤيتهم، لكن اللومينول أوضح الكثير من بقع الدماء المزالة من على هذه الدرجات وهذا البهو، كما لو كان من قام بالجريمة

أزال بعض الأدلة قبل خروجه من المنزل، لذلك فأى آثار أقدام هنا غير واضحة".

سألته جان: "أبحثت باللومينول فى المنزل بأكمله؟".

"اللومينول، الأشعة فوق البنفسجية، مصدر بديل خفيف، وقد فحصنا كل حجرة، هناك مطبخ وحجرة طعام تصلين إليهما عبر هذا المدخل، وهناك حجرة مكتب وراء الردهة، وباستثناء خطوات الأقدام الموجودة على الردهة، لا يوجد شيء مثير فى الدور الأرضى"، وواجه درجات سلالم الدور الثانى ثم قال: "كل الأحداث حدثت بالأعلى".

قال سانسون: "قلت إن هذا المنزل كان خاليا، فكيف دخل القاتل؟ هل كانت هناك علامات تدل على الدخول باستعمال العنف؟".

"كلا، سيدى، النوافذ كانت مغلقة جيداً، والسمسار يقسم أنه دائما يغلق الباب الأمامى عند رحيله".

"من لديه مفاتيح المنزل؟".

"حسنا، مع السمسار، ويقول إنه لا يترك مكتبه أبدا".

"ما عمر هذا القفل؟".

"أوه، لا أعرف، ربما عشرون عاما".

"أعتقد أن صاحبة المنزل لديها مفتاح أيضا".

"لم تعد إلى بيورتى منذ سنوات، سمعت أنها تعيش فى مكان ما بأوربا ولم نعد قادرين على الوصول إليها"، وأشار جيورفيتش إلى الأثاث المغطى بالأوراق، قائلاً: "هناك طبقة كثيفة من الغبار على كل شيء، وترون أنه لم يعش أحد هنا منذ فترة، ياللخسارة، فمنزل بنى بتلك الجودة والمتانة بغرض أن يظل لقرن من الزمان، ولكنه خال الآن، ويأتى الوكيل مرة فى الشهر ليطمئن على المنزل. وتلك الطريقة التى وجد بها الجسد، فقد رأى سيارة سارا بارملى مصفوفة أمام المنزل ثم وجد الباب الأمامى مغلقاً".

سألت جان: "هل استجوبتم الوكيل؟".

"هو ليس مشتبهًا به".

"لم لا؟".

"حسناً، لنبدأ فى الحديث عن ذلك، إنه عجوز فى الحادية والسبعين من عمره، وخرج من المستشفى منذ ثلاثة أسابيع فقط بعد إجرائه جراحة فى البروستاتا"، ونظر جيورفيتش إلى سانسون قائلاً: "انظر ما الذى ينتظر الرجال فى المستقبل؟".

قال سانسون: "إذن، نحن لدينا عدد من الأسئلة غير مجاب عنها، من فتح الباب الأمامى؟ ما الذى جعل الضحية تقود سيارتها إلى هنا؟".

قالت مورا: "المنزل معروض للبيع، ربما رأت لوحة البيع، فدفعها فضولها إلى قيادة سيارتها للوصول إلى هناك".

قال جيورفيتش: "كل ذلك مجرد تخمينات، تحدثنا كثيرا عن ذلك ولا نعلم لماذا أتت إلى هنا تحديدا".

قال سانسون: "أخبرنا أكثر عن سارة بارملى".

"نشأت فى بيورتى، وتخرجت فى المدرسة الثانوية المحلية، لكن مثلها مثل العديد من الأطفال لم تجد أى شىء يدفعها للبقاء هنا فانتقلت إلى كاليفورنيا ومكثت هناك، والسبب الوحيد لعودتها هنا هو وفاة عمتها".

سأل سانسون: "ما سبب وفاة عمتها؟".

"أوه، حادث، انزلقت قدمها من فوق السلالم فانكسرت رقبتها، وجاءت سارا لحضور مراسم الدفن وبقيت فى نزل بجوار البلدة وحجزت اليوم الذى يسبق الجنازة فقط، وتلك هى آخر مرة رآها أحد فيها، حتى يوم السبت عندما وجد الوكيل سيارتها هنا"، ونظر إلى السلالم المؤدية إلى الأعلى وقال: "سأريكم الغرفة".

قادهم جيورفيتش، وعند منتصف السلالم توقف وأشار إلى الحائط، قائلاً: "هذا أول واحد لاحظناه، هذا الرمز، هناك، إنه نفس الرمز الموجود على جسدها، ويبدو أنه مرسوم بنوع من الطباشير الحمراء".

نظرت مورا إلى الرمز وتجمدت أصابعها داخل قفازيها: "هذا الصليب مقلوب".

قال جيورفيتش: "هناك الكثير منها بالأعلى، الكثير جدا"، وبصعودهم إلى الطابق الثانى رأوا العديد من الصلبان على الحائط، فى البداية كانت صلبانًا متناثرة، وبعد ذلك، فى ردهة الطابق الثانى، تضاعف عدد الصلبان بشكل منفر عبر الرواق تجاه المدخل.

قال جيورفيتش: "بالداخل، تزداد الأمور سوءا".

تحذيره هذا جعل مورا تتردد فى دخول الغرفة، حتى بعدما دخل الآخرون، توقفت عند العتبة لتهيئ نفسها لما ينتظرها على الجانب الآخر من الباب.

ودخلت إلى حجرة الرعب.

لم تكن بحيرة الدماء الجافة هى ما شدت نظراتها؛ بل الكتابات التى تغطى كل حائط، كما لو كان العديد من الأرواح الضائعة تركت عهودها الدموية عند مرورها بهذه الحجرة.

قال جيورفيتش: "هذه الكتابات والرسومات فعلتها نفس اليد، فبصمات راحة اليد متطابقة، ولا أعتقد أن قاتلنا بتلك الدرجة من الغباء ليترك بصماته هو"، ونظر إلى جان، مستطرداً: "أراهن أن القاتل فعل كل هذا بيد سارا بارملى المقطوعة، التى تركت فى مسرح جريمتك".

همهمت جان: "بحق الله، استعمل يدها كنوع من الآلة الكاتبة".

*واستخدم الدماء بدلاً من الحبر،* هذا ما فكرت فيه جان وهى تنظر إلى الجدران، ما عدد الساعات التى قضاها فى هذه

الحجرة، وهو يغمس اليد فى حوض الدماء هذا، ويلصقها بالحائط كطفل يلهو على الشاطئ؟ وبعد ذلك تركزت نظراتها على أقرب حائط، على الكتابة القاتمة المكتوبة بنفس اليد، واقتربت تحدق فى الكلمات المكتوبة على الحائط، كانت الكلمات مكتوبة باللاتينية، والكلمات الثلاث مكررة دائما. تتبعت النص المكتوب فى خط مستقيم حول الحجرة، مرورا بالأركان كأفعى تحيط بهم وتضيق عليهم الخناق.

أبيسوس أبيسيوم إنفوكات أبيسوس أبيسيوم إنفوكات أبيسوس أبيسيوم إنفوكات ...

واتضحت معانى تلك الكلمات فجأة فتراجعت للخلف وهى خائفه حتى النخاع.

همهم سانسون: "*الجحيم يؤدى إلى الجحيم*"، لم تلاحظ مورا حتى أنه تحرك ليقف بجانبها تماماً.

سألت جان: "هل هذا ما تعنيه تلك الكلمات؟".

"هذا هو المعنى الحرفى، ولها أيضا معنى آخر".

"*الجحيم يؤدى إلى الجحيم* عبارة تبدو مشئومة وملعونة بما يكفى".

"*أبيسوس أبيسيوم إنفوكات* مقولة ترجع إلى ألف سنة على الأقل، وهى تعنى *عمل شرير واحد يؤدى إلى التالى*".

حدقت مورا فى الكلمات، قائلة: "إنه يخبرنا أن ذلك مجرد بداية، فهو قد بدأ للتو".

"وهذه الصلبان" - أشار سانسون إلى مجموعة من الصلبان المرسومة على حائط واحد كما لو كانت تتجمع استعداداً للهجوم - "جميعها مقلوبة".

قال جيورفيتش: "نعم، وقد عرفنا أنها رمز شيطانى".

قالت مورا ونظراتها مركزة على أنهار الدماء الصغيرة المنحدرة من الحائط التى تغمر جزءًا من الكلمات اللاتينية المكتوبة على الحائط: "كتبت هذه الكلمات والصلبان المقلوبة

هنا أولا"، وقرأت الكلمات الدموية، ورأت بقع الدماء الناتجة عنها وأكملت حديثها قائلة: "قبل أن يقتلها، قبل أن يصيب رقبتها، أخذ وقته كاملا ليزين هذه الجدران".

قال جيورفيتش: "السؤال هو، هل كتب هذه الكلمات عندما كانت الضحية هنا، تنتظر الموت؟ أم هل كانت الحجرة مجهزة مسبقا كحجرة للقتل قبل وصول الضحية؟".

"وبعد ذلك أغراها بالمجيء إلى هنا؟".

"هناك أدلة واضحة على التجهيزات"، وأشار جيورفيتش إلى الأرضية الخشبية، حيث جفت الدماء وقال: "أترون هذه المسامير؟ فقد أتى مسلحا بمطرقة وحبل من النايلون، حيث ساعده ذلك فى شل حركتها، وربط الحبل حول ساقيها ومعصمها وثبت الحبل بالأرضية، وما إن قيدها أصبح بإمكانه قضاء وقته كما يحلو له".

فكرت مورا فيما تم نحته على جسد سارا بارملى، ثم نظرت إلى نفس الرسوم المرسومة على الحائط بالمغرة الحمراء.

قال سانسون: "لكن كيف جعلها تأتى إلى هنا؟ ما الشىء الذى يفترض أن يجعلها تأتى إلى هذا المنزل؟".

قال جيورفيتش: "عرفنا أن مكالمة وردت إليها فى حجرتها بالنزل الذى كانت تقيم فيه، وذلك هو نفس اليوم الذى دفعت فيه الحساب وتركت النزل، فقد حولت موظفة الفندق المكالمة إلى حجرتها".

قالت جان: "لم تذكر ذلك".

"لأننا غير متأكدين من أهميته، ما أقصده أن سارا بارملى نشأت فى هذه البلدة، وربما عرفت الكثير من الأشخاص، الذين ربما اتصلوا بها بعد الجنازة".

"أكانت مكالمة محلية؟".

"هاتف من محطة بنزين فى بينجهامتون".

"يبعد عن هنا ساعات قليلة؟".

"نعم، وذلك ما يجعلنا نستبعد أن تلك المكالمة قادمة من القاتل".

"هل هناك سبب آخر؟".

"نعم، المتصل كان امرأة".

"هل موظفة الفندق متأكدة من ذلك؟ فقد كان ذلك منذ أسبوعين".

"لم تتزحزح عن موقفها، فقد سألناها مرات عديدة".

قال سانسون: "ليس للشيطان نوع".

قالت جان وهى تشير إلى الحائط، والبصمات الدموية: "وما هى احتمالات ارتكاب امرأة لهذه الجريمة؟".

قال سانسون: "لا يمكننى رفض احتمالية كون القاتل امرأة، فليس لدينا أية آثار أقدام تفيدنا".

"لا أرفض أى شىء، أنا فقط أتابع الاحتمالات الضعيفة".

"هذا كل شىء؛ احتمالية ضعيفة".

ردت جان بحدة: "كم عدد القتلة الذين تتبعتهم؟".

رمقها بنظرة ثابتة وباردة، قائلاً: "أعتقد أن الإجابة ستدهشك، أيتها المحققة".

استدارت مورا لتحدث جيورفيتش: "من المؤكد أن القاتل قضى ساعات هنا، وأنه ترك وراءه خصلات شعر، ألياف من الملابس".

"فحصت وحدات مسح مسرح الجريمة جميع الحجرات بجهاز ALS".

"من المؤكد أنهم لم يخرجوا صفر اليدين".

"أوه، خرجوا بأشياء عديدة، هذا منزل قديم، وسكن فيه أشخاص كثيرون طوال السنوات السبع عشرة الأخيرة، وقد وجدنا خصلات شعر وأليافًا فى كل هذه الحجرات، وجدنا شيئًا فاجأنا، دعينى أريكم بقية المنزل".

وساروا بالردهة ثانية وأشار جيورفيتش إلى أحد الأبواب، قائلاً: " هناك غرفة نوم أخرى، بها الكثير من الغبار بالإضافة إلى القليل من فرو القطط لكن لم نجد شيئاً يجذب انتباهنا"، وأكمل سيره فى الردهة مارا بحجرة نوم أخرى وحمام أرضيته باللونين الأبيض والأسود، مغطية الحجرة بشكل موجات، ووصلوا إلى الباب الأخير، وقال: "هنا، هذه الحجرة حجرة مثيرة جدا".

وسمعت مورا نغمة الشؤم فى صوته، لكن عند دخولها الغرفة لم تر شيئاً مما توقعته، مجرد غرفة خالية من الأثاث، وجدرانها عارية من أى شىء، والأرضية الخشبية بها كانت أفضل بكثير من أرضية باقى المنزل، فقد تم تصليح ألواحها منذ فترة ليست ببعيدة، وبها نافذتان تطلان على التل الصغير والبحيرة المتجمدة.

سألت جان: "إذن، ما الذى يجعل هذه الغرفة مثيرة؟".

"ما وجدناه على الأرضية".

"لا أرى شيئاً".

"ظهر ذلك عندما قمنا برشها باللومينول، فقد مسحت وحدات مسح مسرح الجريمة المنزل بأكمله، ليعرفوا من أين تأتى الدماء، وما إذا كان القاتل قد ترك أدلة لا نراها فى الحجرات الأخرى، فوجدنا آثار أقدامه فى الردهة، وعلى السلالم والسجادة وكل ذلك غير مرئى بالعين المجردة، لذلك فنحن نعلم أنه حاول تنظيف ما خلفه عند خروجه من المنزل، لكن لا يمكنك إخفاء الدماء، كل ما عليك هو رشها باللومينول وستضىء". ونظر جيورفيتش إلى الأرضية، مستطرداً: "أنا متأكد أن الدماء أضاءت هنا".

سألت جان: "آثار أقدام؟".

"ليست مجرد آثار أقدام، كانت مثل موجة من الدماء مسحت بها الغرفة بالكامل، ورشت على الجدران، يمكنك

رؤيتها فى الشقوق الموجودة بين الألواح الخشبية، على هذا الجدار كانت هناك بقعة كبيرة من الدماء حاول شخص ما إزالتها، لكنه لم يتمكن من ذلك، ورغم أنك لا تستطيعين رؤيتها الآن فهى تغطى الغرفة بالكامل، وقد وقفنا هنا ننظر إلى تلك الغرفة الملعونة وهى تلمع بالكامل، وقد أرعبتنا جميعا، لكن عندما انتهينا بدت الحجرة كما نراها الآن، لا شىء، ليس هناك أى دليل على دماء ظاهرة للعين المجردة".

حدق سانسون فى الجدران كما لو كان يحاول رؤية بعض أصداء الموت، ونظر إلى الأرضية الناعمة وهمهم قائلاً: "لا يمكن أن تكون هذه دماء حديثة، هناك شىء آخر حدث فى ذلك المنزل".

تذكرت مورا لوحة "المنزل للبيع" المدفون نصفها فى الثلج، وفكرت فى اللوحة المقشرة والدهان الباهت، لماذا يترك منزل جميل كهذا لسنوات من التجاهل وقالت: "وذلك سبب عدم وجود مشترٍ لهذا المنزل".

أومأ جيورفيتش، قائلاً: "حدث ذلك منذ حوالى اثنتى عشرة سنة مضت، قبل أن أنتقل إلى تلك المنطقة مباشرة، لم أعرف بأمر هذا المنزل إلا عندما أخبرنى السمسار عنه، فذلك ليس شيئاً يرغب البائع فى الإعلان عنه، مادام المنزل معروضا للبيع، لكن هذا أمر يتعلق بالرغبة فى المعرفة، تفاصيل صغيرة يريد أى مشترٍ معرفتها، وذلك يدفعهم بعد ذلك إلى تجنب شراء هذا المنزل".

ونظرت مورا إلى الأرضية، إلى الشقوق والصدوع المخزن فيها الدماء التى لا تراها، متسائلة: "من مات هنا؟".

"حدثت عملية انتحار فى هذه الغرفة، لكن عندما تفكرين فى كل شىء آخر حدث فى هذا المنزل يبدو الأمر أن هذا المنزل سيئ الحظ ملعون بأكمله".

"هل كانت هناك وفيات أخرى؟".

أومأ قائلا: "كانت هناك عائلة تعيش هنا، طبيب وزوجته وابنه وابنته، بالإضافة إلى ابن أخيه الذى كان يقضى معهم فترة الصيف، وكل سكان البلدة يقولون عائلة سول طيبة جدًا، عائلة متحابة لها الكثير من الأصدقاء".

فكرت مورا، *لا شيء يكون كما يبدو عليه بالضبط، لا شيء إطلاقا.*

"مات ابنهم ذو الأحد عشر عاما أولا، كانت سكتة قلبية، توجه الطفل إلى البحيرة ليصطاد، ولم يعد إلى المنزل، خمنوا أنه ربما سقط فى البحيرة وغرق، ووجدوا جثته فى اليوم التالى، ومنذ تلك اللحظة ازدادت أمور تلك العائلة سوءا، وبعد أسبوع، سقطت الأم من فوق السلالم وانكسرت رقبتها، يقولون إنها كانت تتعاطى بعض المهدئات وفقدت توازنها".

قال سانسون: "يا له من تصادف عجيب".

"ماذا؟".

"أليست تلك نفس الطريقة التى ماتت بها عمة سارا بارملى؟ سقوط من فوق السلالم؟ ورقبة مكسورة؟".

توقف جيورفيتش: "نعم، لم أفكر فى ذلك، إنه تطابق، أليس كذلك؟".

قالت جان: "لم تخبرنا عن هذا الانتحار".

أومأ جيورفيتش، قائلاً: "ثم كان الزوج، فكروا فى ذلك - مقدار معاناته، فى البداية مات ابنه غرقا، وبعد ذلك تسقط زوجته من فوق السلالم. عندئذ، بعد يومين، أخذ بندقيته وجلس هنا فى تلك الغرفة وأطلق النار على رأسه"، ونظر جيورفيتش إلى الأرضية، مضيفاً: "هذه دماؤه الموجودة على الأرضية، عائلة كاملة محيت بالكامل خلال أسابيع قليلة".

سألت جان: "ما الذى حدث للابنة؟".

"انتقلت إلى العيش مع الأصدقاء، وتخرجت فى المدرسة الثانوية بعد عام واحد، وتركت المدينة".

"هى من تملك هذا المنزل؟".

"نعم، ما زال باسمها، وهى تحاول التخلص منه طوال هذه السنوات، ويقول السمسار إن هناك القليل من المشترين ألقوا نظرة على المنزل، لكن عند سماعهم ما حدث يسيرون بعيدا، هل يقبل أحدكم العيش فى هذا المنزل؟ لا يمكنكم أن تدفعوا ثمنه، إنه مكان جالب للحظ السيئ، يمكنك الشعور بذلك عندما تدخل فيه".

نظرت مورا إلى الجدران حولها وهزت كتفيها، قائلة: "إذا كانت هناك منازل مسكونة بالأشباح فعلاً، فذلك المنزل أحدها".

قال سانسون بهدوء، *"أبيسوس أبيسيوم إنفوكات،* يوجد لها الآن معنى مختلف، أيضا".

نظروا إليه وسأله جيورفيتش: "ماذا؟".

"هذا سبب اختياره هذا المكان ليكون مسرحا لجريمته، فهو يعرف تاريخ هذا المنزل ويعلم ما حدث هنا وهذا ما شده إليه، يمكنك أن تسميه بوابة إلى بعد آخر أو دوامة، لكن هناك أماكن مظلمة فى العالم، أماكن مخالفة لقواعد اللعبة يمكنك أن تسميها ملعونة".

ضحكت جان قائلة: "أتؤمن بهذا حقا؟".

"ما أؤمن به لا يهمنا الآن، لكن إذا كان قاتلنا يؤمن بذلك، فذلك المنزل ناداه، *الجحيم يؤدى إلى الجحيم"* .

قال جيورفيتش: "أنت تعطينى ضربات ساذجة"، ونظر إلى الجدران العارية وارتعد كما لو كان يشعر برياح باردة وقال: "أنت تعرف ما أفكر فيه؟ عليهم فقط إحراق هذا المكان حتى أساساته، فلن تجد شخصاً بكامل قواه العقلية يوافق على شرائه".

قالت جان: "قلت إن أسرة طبيب كانت تقيم هنا".

"صحيح، عائلة سول".

"وأن ابن أخيه يقيم معهم فى الصيف".

أومأ جيورفيتش، قائلاً: "صبى فى الخامسة عشرة من عمره".

"ماذا حدث لهذا الصبى بعد كل هذه المآسى؟".

"يقول السمسار إن الصبى ترك البلدة بعد فترة قصيرة، فقد أتت والدته وأخذته معها".

"أتعرف عنه شيئاً آخر؟".

"تذكرى، حدث ذلك منذ اثنتى عشرة سنة، لا يعرفه أحد جيدا، فقد كان يجىء إلى هنا فترة الصيف فقط". وتوقف جيورفيتش ثم أردف قائلاً: "أعلم ما تفكرين فيه، الشاب قد يكون فى السابعة والعشرين من عمره الآن، ومن المؤكد أنه يعرف كل شىء عما حدث هنا".

قالت جان: "وربما يكون لديه مفتاح الباب الأمامى، كيف يمكننا أن نعرف أكثر عنه؟".

"ابنة عمه، كما أفترض، المرأة التى تمتلك هذا المنزل، ليلى سول".

"لكنك لا تعرف كيف تصل إليها".

"السمسار يحاول أن يعرف".

قالت جان: "أريد أن أرى تقارير الشرطة عن عائلة سول، أتوقع أن جميع حالات الوفاة تم التحقيق فيها".

"سأتصل بمكتبى، وسأنسخ الملفات من أجلك، ويمكنك أن تأخذيها فى طريقك، هل سترجعين إلى بوسطن الليلة؟".

"خططنا لذلك، بعد تناول الغداء".

"إذن سأحاول تجهيز الملفات قبل موعد الغداء، ربما ترغبين فى التوجه إلى مقهى روكسان، مطعم ممتاز لبيع شطائر لحم الديك الرومى، وهو فى نفس الشارع الذى يقع فيه مكتبنا".

"هل يمنحك ذلك الوقت الكافى لنسخ كل شىء؟".

"ليس هناك الكثير من الملفات تخص عمليات التشريح وتقارير الشرطة، ففى الحالات الثلاث نجد أن طريقة وسبب الوفاة واضح للجميع".

كان سانسون يقف أمام النافذة وينظر إلى الخارج ثم استدار إلى جيورفيتش، قائلاً: "ما هو اسم جريدتك المحلية هنا؟".

"كل أخبار شينانجو تغطيها جريدة (إيفينينج صن)، المكتب فى نورويش"، ونظر جيورفيتش فى ساعته وقال: "ليس هناك شىء آخر لأريكم إياه هنا".

ومرة ثانية بالخارج، وقفوا فى الرياح الشديدة عندما أغلق جيورفيتش الباب الأمامى وهزه هزة قوية ليتأكد من إغلاقه وقال لـ جان: "إذا توصلنا إلى شىء، سأتصل بك، لكن أعتقد أن القاتل سيكون صيدك".

وأغلق سترته وارتدى قفازه.

"إنه يلعب فى حارتك، الآن".

# الثامن والعشرون

قالت جان وهى تعطى الطعام المقلى لـ مورا: "ظهر فى سيارته الفاخرة ودخل مدعوا إلى داخل مسرح الجريمة، ما كل هذا؟ من الذي يعرفه سانسون في وزارة العدل؟ حتى جابريل لا يمكنه معرفة ذلك".

"لابد أن لديهم أسباباً ليثقوا به".

"أوه، نعم". وضعت جان قطعة من الطعام الفرنسى المقلى فى فمها وأمسكت بأخرى، والإثارة تزيد من شهيتها. وفى غضون دقائق قليلة، حولت مجموعة كبيرة من الشطائر إلى فتات من الخبز واللحم، وهى الآن تغمس آخر قطعة طعام لديها فى طبق من الكاتشب، وقالت: "يثقون فى مليونير لديه هواية مكافحة الجريمة؟".

"مليونير فاحش الثراء".

"من يعتقد نفسه، بروس واين؟ أو هذا الشخص الموجود فى العرض التليفزيونى القديم، ذلك الثرى الذى يعمل شرطيا، اعتادت أمى على مشاهدته".

"أعتقد أنك تتحدثين عن *بروكز لاو*".

"نعم، كم عدد رجال الشرطة الأغنياء الذين تعرفينهم؟".

تنهدت مورا وأمسكت بكوب الشاى، قائلة: "ولا واحد".

"بالضبط، هذا خيال، وبعض الأشخاص المصابين بالملل يعتقدون أنه لا بأس بلعب دور هارى المتسخ، باستثناء أنه لا

يريد أن ينغمس ويصبح متسخا، لا يريد أن يكتب تقارير عن الحوادث، يريد فقط أن يقود سيارته ويخبر المغفلين أمثالنا كيف يقومون بعملهم. أتعتقدين أنى لم أتعامل مع أشخاص مثله من قبل؟ الجميع يعتقدون أنهم أذكى من الشرطة".

"جان، لا أعتقد أنه مجرد هاو، أعتقد أنه يستحق أن تستمعى إليه".

"صحيح، بروفيسور تاريخ سابق". أفرغت جان كوب قهوتها ومدت رقبتها باحثة عن النادلة، منادية إياها: "يا آنسة؟ أيمكنك أن تصبى لى كوب قهوة ..." وتوقفت ثم قالت لـ مورا: "انظرى من دخل للتو".

"من؟".

"صديقك وصديقى".

استدارت مورا ونظرت إلى الباب، من وراء الطاولة التى كان يجلس عليها رجال يشربون القهوة ويتناولون الطعام، فرأت سانسون فى نفس اللحظة التى رآها فيها. وبدخوله نظرت الكثير من العيون إلى هذا الشخص الجذاب ذى الشعر الفضى وهو يعبر الطاولات متوجها إلى طاولة مورا.

قال: "يسرنى أنكما مازلتما هنا، أيمكننى مرافقتكما؟".

قالت جان: "نحن على وشك الرحيل". وأمسكت بكيس نقودها، ونسيت أمر كوب القهوة.

"سيحتاج هذا الأمر إلى دقيقة فقط، أم تريديننى أن أقوم بإرساله إليك عبر البريد، أيتها المحققة؟!".

نظرت مورا إلى حزمة الأوراق التى يحملها، قائلة: "ما كل هذا؟!".

"من أرشيف (إيفينينج صن)". ووضع الأوراق أمامها على الطاولة.

تزحزحت قليلاً، لتتيح له مجالا للجلوس على الطاولة حيث جلس بجوارها. وشعرت بأنها أصبحت حبيسة فى الركن

بسبب هذا الرجل، الذى يبدو أن وجوده قد طغى على المطعم كله.

قال: "هذه السجلات الرقمية ترجع إلى خمس سنوات سابقة، إنها عبارة عن نسخ من السجلات الأصلية، لذلك فهى ليست بالجودة التى أريدها، لكنها تسرد القصة".

نظرت مورا إلى الصفحة الأولى، كانت من الصفحة الأمامية لجريدة *إيفينينج صن*، بتاريخ ١١ أغسطس، منذ اثنتى عشرة سنة مضت. وتركزت نظراتها على المقال الموجود بأعلى الصفحة.

## انتشال جثة صبى من بحيرة بايسون

وقد أظهرت الصورة المرفقة طفلاً يحمل قطة مخططة بخطوط كالنمر بين ذراعية. وكان التعليق على الصورة يقول: *تيدى سول أتم الحادية عشرة للتو*.

قال سانسون: "أخته ليلى هى آخر من رآه على قيد الحياة، وهى أيضا من رأته طافيا على سطح البحيرة بعد يوم. وما أدهش الجميع، وفقا للمقال، أن الفتى كان سباحا ماهرا. وهناك تفاصيل شيقة جدا".

نظرت مورا وقالت: "ماذا؟".

"من المفترض أنه ذهب إلى البحيرة ليصطاد، لكن عُثر على صندوق المعدات والصنارة على بعد عشرين ياردة من حافة المياه".

سلمت مورا النسخ إلى جان ونظرت إلى المقال التالى، المنشور فى ١٨أغسطس. بعد أسبوع من العثور على جثة تيدى الصغير، أصابت المآسى عائلة سول من جديد.

## موت الأم الثكلى يبدو حادثا عرضيا

ومع المقال كانت هناك صورة أخرى، وتحتها تعليق يفطر القلوب، كانت صورة لآمى سول فى الأوقات السعيدة، تبتسم ابتسامة مشرقة وهى تحمل طفلا فى حضنها، نفس الطفل، تيدى، الذى فقدته بعد إحدى عشرة سنة فى مياه بحيرة بايسون.

قالت مورا: "عثرت عليها ابنتها ليلى تحت السلم".

"مرة ثانية؟ الابنة وجدت الاثنين؟". وأمسكت جان بصورة المقال، وقالت: "هذا يشبه الكثير من الحظ السيئ".

"وتذكرى هذه المكالمة التى وصلت إلى حجرة سارا بارملى منذ أسبوعين، كانت بصوت امرأة".

قال سانسون: "قبل أن تقفزى إلى الاستنتاجات، لم تجد ليلى سول جثة والدها بل من وجدها هو ابن عمها. وتلك هى المرة الأولى والوحيدة التى يظهر فيها اسم دومينيك سول فى أى من هذه المقالات".

تحولت مورا إلى النسخة الثالثة وحملقت فى صورة د. بيتر سول وهو يبتسم ويوجد تحتها تعليق يقول: *أصابه الاكتئاب بعد وفاة زوجته وابنه*. وقالت مورا: "هل هناك أية صور لـ دومينيك؟".

"كلا، لكنه مذكور فى ذلك المقال لأنه من عثر على جثة عمه، وهو أيضا من اتصل بالشرطة".

سألت جان: "والفتاة؟ أين كانت ليلى عندما حدث ذلك؟".

"المقال لا يوضح ذلك".

"أعتقد أن الشرطة أخذت أقوالها".

"يمكنك تخمين ذلك".

"لا يمكننى تخمين أى شىء".

قال سانسون: "فلنأمل أن نجد هذه المعلومات فى ملفات الشرطة، لأنك لن تحصلى عليها من المحقق نفسه".

"لم لا؟".

"مات العام الماضى بسبب أزمة قلبية، ووجدت النعى فى أرشيف الجرائد، لذلك علينا البحث فى ملفات الشرطة، لكن فكروا فى هذا الموقف: أنتم ضباط شرطة محليون تتعاملون مع فتاة فى السادسة عشرة من عمرها فقدت شقيقها، وأمها، والآن أباها. ربما كانت فى صدمة، ربما أصابتها حالة هيستيرية. أتريدين أن تصدميها الآن بأخذ أقوالها فى وفاة والدها التى تبدو انتحارًا واضحًا؟".

قالت جان: "عملى أن أسأل، وكنت سأسألها".

*نعم، كانت لتفعل ذلك*، هكذا قالت مورا لنفسها وهى تنظر إلى تعبيرات وجه جان التى لا يبدو عليها الاستسلام، وتذكرت الأسئلة التى وجهتها إليها صباح أمس. لا رحمة، ولا تراجع، فليكن الله فى عونك إذا قررت أنك مذنب فى شىء ما. ثم نظرت مورا إلى صورة بيتر سول وقالت: "ليس هناك صورة لـ ليلى، ولا نعلم كيف تبدو".

قال سانسون: "فى الواقع هناك صورة، وستجدينها مثيرة جدا". وقلب الملف إلى الصفحة التالية وأشار إلى مقال محدد.

## جنازة الطبيب تجذب المعزين
## من جميع أنحاء البلدة

*الأصدقاء، العمال المساعدون، وحتى الغرباء تجمعوا فى مدافن آشلاند بعد الظهر فى أحد أيام أغسطس الجميلة ليلقوا نظرة الوداع على د. بيتر، الذى مات يوم الأحد الماضى نتيجة انتحاره بطلقة من بندقيته. وتلك كانت المأساة الثالثة التى تصيب أسرة سول فى الأسبوعين الماضيين.*

"ها هى". قال سانسون وهو يشير إلى الصورة المرفقة: "هذه هى ليلى سول".

كانت تلك صورة غامضة، فوجه الفتاة مغطى جزئيا بوجوه معزين أمامها. كل ما يمكنك رؤيته لمحة من رأسها المنحنية، مغطاة بشعرها الطويل الأسمر.

قالت جان: "لا يظهر ذلك الكثير".

قال سانسون: "لم تكن الصورة هى ما أردت أن أريك إياه، بل التعليق. انظرى إلى أسماء الفتيات الواقفات بجوار ليلى".

فى تلك اللحظة فقط فهمت مورا سبب رغبة سانسون فى أن يريها تلك الصور، فالتعليق الموجود تحت صورة ليلى المصدومة يشتمل على اسمين مألوفين.

*يحيط ب ليلى سول صديقتاها: لورى آن تاكر وسارا بارملى.*

قال سانسون: "هذه هى حلقة الوصل التى تربط الأمور ببعضها؛ ثلاث صديقات، اثنتان منهن بين الأموات الآن وليلى سول هى الوحيدة الباقية على قيد الحياة". سكت قليلا، ثم أضاف: "ولا يمكننا حتى التأكد من *حالتها*".

أمسكت جان الصورة وحملقت فيها، قائلة: "ربما لأنها لا تريدنا أن نعرف".

قال سانسون: "هى من علينا العثور عليه، فهى تعرف جميع الإجابات".

"أو قد تكون هى الإجابة، فنحن لا نعرف شيئا عن هذه الفتاة المسماة ليلى، سواء وهى تعيش مع عائلتها أو وهى تسكن بعيدا".

قالت مورا: "من المؤكد أنك لست جادة".

"علىَّ أن أعترف، فالسيد سانسون قالها منذ فترة: الشر ليس له نوع".

"لكن أتقتل عائلتها يا جان؟!".

"نحن نقتل من نحبهم، أنت تعلمين ذلك". ونظرت جان إلى صورة الفتيات الثلاث، قائلة: "وربما هؤلاء الفتيات يعرفن ذلك أيضاً، فاثنتا عشرة سنة وقت طويل لبقاء الأمر سرًا". ثم نظرت إلى ساعتها وقالت: "أريد أن أسأل فى البلدة، لأرى ما يمكننى معرفته عن ليلى سول، فمن المؤكد أن أحدهم يعرف كيف يجدها".

قال سانسون: "أثناء طرحك الأسئلة ربما عليك السؤال عن هذا أيضا". وقدم نسخة مطبوعة إلى جان يقول عنوانها: *فتى بلايموث الجنوبية يحصل على أعلى أوسمة 4-H*.

سألت جان: "أوه، أعلىَّ السؤال عن الشباب الحاصلين على جوائز أيضا؟".

قال سانسون: "لا، لا، إنها الجزئية الموجودة تحت *ضرب الشرطة*، والحق يقال فأنا أيضا لم أكن لألحظها، لولا أنها فى نفس الصفحة تحت قصة غرق تيدى سول".

"أتقصد تلك؟ تخريب بالمزرعة، وعنزة مفقودة؟".

"انظرى إلى القصة".

قرأت جان المقال بصوت عالٍ: "تلقت الشرطة شكوى من إيبن بونجرز الساكن فى بيورتى يفيد أن بعض المخربين اقتحموا مزرعته مساء يوم السبت، وهربت أربع عنزات وأمسكوا بثلاثة، لكن هناك واحدة مفقودة، وأيضا تم تشويه جدران المزرعة بنقوش على شكل ـــ" - توقفت جان ونظرت إلى مورا - " صلبان".

قال سانسون: "واصلى القراءة".

ازدردت جان لعابها وعادت للمقال: "وتم العثور على نقوش مماثلة موجودة على مبانٍ أخرى بالمنطقة. كل من لدية معلومات عليه الاتصال بمكتب شريف بلدة كاونتى".

قال سانسون: "كان القاتل هنا، منذ اثنتى عشرة سنة، كان يعيش فى تلك المدينة، ولم يدرك أحد ما الذى يجرى بينهم، ولم يعرف أحد ما الذى كان بين ظهرانيهم".

قالت مورا لنفسها: *يتحدث كما لو كان القاتل غير بشرى، ولم يقل من بل قال ما؛ ليس شخصًا ما بل شىء ما.*

قال سانسون: "إذن، فمنذ أسبوعين، عاد القاتل إلى المنزل الذى عاشت فيه عائلة سول، ورسم نفس الرموز على الحائط، وثبت مسامير على الأرضية. كل ذلك تجهيزات لضحيته، لما سيفعله بـ سارا بارملى". ومال سانسون للأمام ونظراته مركزة على جان، مضيفاً: "لا أعتقد أن سارا بارملى هى ضحيته الأولى، كان هناك آخرون قبلها. هل رأيت كم الإتقان والجهد المبذول لتجهيز مسرح جريمة سارا، وكم التخطيط، وكم الشعائر التى اشتمل عليها مسرح الجريمة؟ كانت تلك جريمة سفاح محنك وخبير، قام بها شخص قضى شهورا، بل سنوات ليحسن طقوسه ويعدلها".

"طلبنا السجل الجنائى، وبحثنا عن جرائم القتل السابقة".

"وما هى ضوابط بحثك؟".

"تقطيع الجثث، والرموز الشيطانية. نعم ظهرت بعض الجرائم القليلة من الولايات الأخرى لكن لم نجد شيئا يرضينا".

"إذن، فعليك توسيع نطاق البحث".

"أوسع من ذلك سيصبح بلا فائدة. ذلك أمر عام، فتلك شبكة كبيرة لينقذ فيها القاتل جرائمه".

"أتحدث عن البحث الدولى".

"هذه شبكة كبيرة جدا".

"ليس هناك شبكة كبيرة على هذا القاتل. انظرى إلى الأدلة التى يتركها؛ كتابات لاتينية، ورسوم بالمغرة الحمراء القادمة من قبرص، وصدفة من البحر المتوسط. هو يعلن لكم بوضوح أنه يعيش بالخارج، وربما ارتكب جرائم قتل بالخارج. وأنا أضمن لك أنك إذا بحثت فى قاعدة بيانات البوليس الدولى ستجدين الكثير من ضحاياه".

"كيف لك أن ..." توقفت جان وضاقت عيناها فجأة. "أنت تعرف بالفعل، فحصت سجلات البوليس الدولى".

"لدىَّ الحرية، فالمجرم يترك أدلة مميزة فى كل مكان، وهو لا يخشى الشرطة، فهو واثق جدًا من قدرته على التخفى بعيداً عن الأنظار". وأشار إلى النسخ، مضيفاً: "منذ اثنتى عشرة سنة، كان القاتل يعيش هنا، ويمارس خيالاته المريضة ويرسم رموزه الشيطانية".

نظرت جان إلى مورا، قائلة: "سأبقى هنا ليلة أخرى على الأقل، فهناك أشخاص آخرون أحتاج إلى الحديث معهم".

قالت مورا: "لكنى فى حاجة للذهاب إلى المنزل، لا يمكننى البقاء خارج منزلى كل تلك الفترة".

"يمكن للدكتور بريستول أن يحل محلك، أليس كذلك؟".

"لدىَّ أشياء أخرى لأتابعها". ولم تحب مورا النظرة التى ألقتها عليها جان فجأة. *هل الأشياء الأخرى هى دانيال بروفى؟*

قال سانسون: "سأعود إلى بوسطن الليلة، يمكنك القدوم معى".

# التاسع والعشرون

قال سانسون لـ مورا، "لم يبد على المحققة ريزولى السعادة عندما قبلت عرضى".

قالت مورا وهى تنظر إلى الحقول المغطاة بطبقة ثلجية بيضاء - فرغم تلاشى آخر ضوء للنهار فقد كان القمر مكتملاً، وكان ضوؤه على الثلج مثل المصابيح -: "هى ليست سعيدة بخصوص الكثير من الأشياء هذه الأيام، بمن فيها أنا".

"لاحظت بعض الشد بينكما".

"هل الأمر بذلك الوضوح؟".

"لا يمكنها أن تخفى ما تشعر به، أليس كذلك؟". ونظر إليها قائلاً: "لا يمكنكما أن تكونا مختلفتين هكذا".

"أنا أجد ذلك الاختلاف أكثر فأكثر".

"أتعرفان بعضكما منذ فترة طويلة؟".

"منذ سنتين، عندما حصلت على وظيفتى فى بوسطن".

"هل الأمور بينكما بتلك الحدة دائما؟".

"لا، ذلك فقط بسبب ..." وصمتت. لأنها لا توافقنى. لأنها تمتطى جواد أخلاقها العالى، وأنا غير مسموح لى بأن أكون آدمية من لحم ودم، غير مسموح لى بأن أقع فى الحب. "كانت تلك أسابيع مليئة بالضغوط". تلك كانت الطريقة التى أنهت بها الجملة.

"يسعدنى أن ننتهز هذه الفرصة لنتحدث بمفردنا، لأن ما سأقوله لك يبدو سخيفا. وستلقيه جان وراء ظهرها بدون تفكير". ونظر إليها ثانية، مستطرداً: "آمل أن تكونى راغبة فى الاستماع".

"لأنك تعتقد أننى أقل منها ميلاً إلى الشكك؟ لا تراهن على ذلك".

"ما رأيك فى مسرح جريمة اليوم؟ ماذا يخبرك ذلك عن القاتل؟".

"أرى دلائل على عقل مضطرب بشدة".

"هذا احتمال".

"ما هو تفسيرك؟".

"هناك ذكاء حقيقى وراء ذلك، ليس مجرد مجنون يرضى نفسه بتعذيب النساء، فهذا شخص لديه دوافع مركزة ومنطقية".

"شياطينك الأسطورية، ثانية".

"أعلم أنك لا تؤمنين بنظريتى، لكنك رأيت مقالات الأخبار عن مزرعة الحيوانات التى شوهت منذ اثنتى عشرة سنة. هل هناك شىء آخر فى ذلك المقال شد انتباهك؟".

"أتقصد، باستثناء الرموز المنحوتة على الحظيرة؟".

"العنزة المفقودة، هربت أربع عنزات من المزرعة واستعاد المزارع ثلاثاً منها فقط. ما الذى حدث للرابعة؟".

"ربما هربت، ربما فُقدت فى الغابة".

"فى ليفيتكيس، الفصل السادس عشر، نجد اسما آخر لعزازيل هو كبش الفداء، فهو من يتولى كل الخطايا، وكل شرور البشرية. ووفقا للتقاليد، يتم أخذ الحيوان المختار فى البرية آخذا معه خطايا البشرية، وهناك يتم إطلاقه".

"عدنا لرمز عزازيل ثانية".

"يوجد رسم لرأسه على بابك، أعتقد أنك لم تنسى ذلك".

"لا، لم أنس. كيف أنسى أن بابى يحمل علامات قاتل؟".

قال سانسون: "أعرف أنك متشككة، أعلم أنك تعتقدين أن الأمر سيصبح مثل التحقيقات الأخرى، وسيقودنا إلى شىء غير عادى، حتى لو كانت شخصية جديرة بالشفقة تعيش بمفردها؛ جيفرى دامر، أو ابن سام آخر. ربما يسمع القاتل الأصوات وربما قرأ نصوصاً شيطانية لـ (أنتون لافى) وسجلها فى قلبه. لكن فكرى فى احتمال آخر، شىء أكثر رعباً". ونظر إليها قائلاً: "النيفيلم - الحراس – موجودون حقا. فهم موجودون دائما، ومازالوا بيننا".

"أطفال الأرواح الساقطة؟".

"هذا هو التفسير الوحيد".

"أنت تعرف أننى لا أومن بذلك".

"ذُكرت هذه المخلوقات فى أكثر من مصدر، فقد ظهرت فى أساطير الحضارات الأولى".

"كل حضارة لها أرواحها الشريرة الأسطورية".

"لا أتحدث عن الأرواح، لكن عن لحم ودم بأوجه بشر، نوع مواز للحيوانات المفترسة يعيشون بيننا. ويتناسلون معنا".

"ألا نعلم بوجودهم حتى الآن؟".

"نعرفهم من الشر الذى يرتكبونه، لكن لا نتعرف على كينونتهم الحقيقية، نطلق عليهم المضطربين عقليا أو الطغاة، أو السفاحين، فهم يسحرون ويضلون طريقهم حتى يصلوا إلى مراكز القوة، فهم يزدهرون فى الحروب والثورات والاضطرابات، ولا تدرك أبدا أنهم مختلفون عن بقيتنا، مختلفون بشكل يذهب مباشرة إلى شفرتنا الجينية، لقد ولدوا مفترسين، وكل العالم هو أماكن صيدهم".

"هل هذا كل ما تقوم به مؤسسة مفيستو؟ البحث عن هذه المخلوقات الأسطورية؟". وضحكت قائلة: "ربما تبحثون عن اليونيكورن؛ الحصان وحيد القرن".

"هناك الكثير من المؤمنين بذلك".

"وما الذى ستفعله عندما تجد أحدهم؟ أستطلق عليه الرصاص وتعلق رأسه سعادة بالانتصار؟".

"نحن جماعة بحث فقط، دورنا هو التحديد والدراسة وتوجيه النصح".

"لمن؟".

"الشرطة، وهيئة تنفيذ الأحكام؛ نمدهم بالمعلومات والتحليلات، ويستعملون ما نقدمه لهم".

سألته مورا بنبرة تشتمل على الكثير من الشك: "أتهتم مؤسسات تنفيذ العدالة بما تقولونه؟".

"نعم، يستمعون إلينا". كان هذا كل ما قاله. عبارة هادئة من رجل واثق مما يقوله ولا يجد داعياً ليدافع عن نفسه.

فكرت فى كيفية حصوله على معلومات موثقة متعلقة بالتحقيقات، وكيف قوبلت استفسارات جان عنه بالصمت التام من قبل المباحث الفيدرالية والبوليس الدولى ووزارة العدل. جميعهم يحمونه.

"تمت ملاحظة عملنا". وأضاف بهدوء: "لسوء الحظ".

"كنت أعتقد أن ذلك ما تريدونه، أن تتم ملاحظة عملكم".

"ليس لكل الأشخاص، بطريقة ما اكتشفونا ويعلمون من نحن وما نفعله". وتوقف ثم أردف: "ويعتقدون أنك واحدة منا".

"أنا حتى لا أومن بوجودهم".

"لقد علِموا بأبك، وتعرفوا عليك".

ونظرت إلى الثلج المضاء بضوء القمر، وبياضه الظاهر فى سواد الليل، كان لامعاً كما لو كان فى النهار، لا غطاء ولا ظلام، وحركات أى ضحية ستكون ظاهرة على ذلك المنظر الطبيعى، فقالت: "أنا لست عضوًا فى ناديك".

"ربما تكونين أيضا، فقد رآك الكثير معى بمنزلى وخارج منزلى".

"وقد زرت أماكن حدوث ثلاث جرائم أخرى فأنا أؤدى عملى فقط، فربما لاحظنى القاتل فى أى من هذه الليالى".

"هذا ما اعتقدته فى البداية؛ تصادف مرورك أمامه كضحية عابرة، وهذا ما تصورته بخصوص إيفا كاسوفيتز أيضا – ومن الممكن أنه لاحظها فى مسرح الجريمة الأولى وجذبت انتباهه".

"أنت لم تعد تعتقد أن ذلك هو ما حدث؟".

"لا أعتقد".

"لم لا؟".

"صدفة البحر. لو عرفنا بأمرها مبكرا قليلاً، لأخذنا جميعنا حذرنا، وبقيت جويس على قيد الحياة".

"أتعتقد أن صدفة البحر رسالة موجهة لكم؟".

"لعدة قرون، كان رجال سانسون يحاربون تحت راية صدفة البحر. كان ذلك سخرية منا، وتحديًا موجهًا إلى النادى. إنه تحذير بما سيحدث".

"تحذير بماذا؟".

"إبادتنا". قالها بهدوء، كما لو كان ذكره تلك الجملة سيضع السيف على رقبته، لكنها لم تلاحظ أى نبرة خوف فى صوته، بل مجرد التسليم بأن ذلك هو مصيره الذى يتعامل معه. لا يمكنها التفكير فى الرد، فقد وصلت تلك المحادثة إلى منطقة بعيدة ولا يمكن لـ مورا الوصول إلى أراضيها؛ عالم سانسون كان مجرد مكان كئيب للكوابيس وهى الآن تجلس

بجواره، فى سيارته، وتغيرت نظرتها للعالم وأصبحت كبلدة غريبة يسير فيها الوحوش. قالت لنفسها: دانيال، أحتاج إليك الآن. أحتاج إلى لمستك وأملك وإيمانك بالعالم، فهذا الرجل يمثل كل الظلام وأنت تمثل كل النور.

سألها: "أتعرفين كيف مات والدى؟".

نظرت إليه وقد فاجأها سؤاله وقالت: "عذرا؟".

"صدقينى، هذا الأمر وثيق الصلة بموضوعنا، فتاريخ عائلتى بأكمله يرتبط بذلك الموضوع، وقد حاولت أن أبتعد عن ذلك فقضيت ثلاثة عشر عاماً أدرس فى جامعة بوسطن معتقداً أنه يمكننى عيش حياة طبيعية مثل أى فرد آخر، مقتنعا أن أبى كان مجرد شخص غريب الأطوار، مثل والده، وأن كل القصص الغريبة التى رواها لى عند تربيته لى مجرد مجموعة المعارف الخاصة بالعائلة". ونظر إليها مكملا حديثه: "واعتقدت مثلك أنها مجرد كلام فارغ، لكن ليس كلها".

يبدو أنه يتحدث بعقلانية، رغم أنه ليس كذلك ولا يمكنه أن يكون كذلك.

وأكمل حديثة قائلاً: " ألقيت محاضرات فى التاريخ، إذن، فأنا معتاد على الأساطير القديمة، لكنك لن تصدقينى أبدا عندما أخبرك أنه فى فترة ما كانت هناك جنيات تطير أو عروس بحر أو جياد مجنحة. فلماذا علىَّ أن أصدق قصص والدى عن النيفيليم؟".

"وما الذى غير رأيك؟".

"كنت أعرف أن بعض ما يقوله لى حقيقى مثل موت إيزابيلا. وفى فينسيا، استطعت أن أجد سجلا بسجنها وموتها. لقد تم إحراقها حية، وولدت ابنا، قبل إعدامها بفترة قصيرة جداً، فليس كل ما يجده الفرد فى تاريخ عائلة سانسون أشياء خيالية".

"والجزء الذى يقول إن أسلافك كانوا صيادى شياطين؟".

"أبى كان يؤمن بذلك".

"أتؤمن أنت بذلك؟".

"أؤمن بوجود قوى معادية ستقضى على تنظيم مفيستو، وقد وجدونا الآن بنفس الطريقة التى عثروا بها على والدى".

حدقت فيه منتظرة منه أن يشرح.

قال سانسون: "منذ ثمانية أعوام، سافر إلى نابولى، كان ذاهباً لمقابلة صديق قديم عرفه منذ أيام دراسته الجامعية فى (نيو هيفن). وكلاهما أرمل، ولهما نفس الاهتمام بالتاريخ القديم، وقد خططا لزيارة المتحف القومى للآثار ورؤية حياة الحضارات الأخرى. كان أبى متحمسًا جدًا لتلك الزيارة، وكانت تلك المرة الأولى التى أسمع فيها نبرة حيوية فى صوته منذ موت والدتى، لكن عند وصوله إلى نابولى لم يكن صديقه بانتظاره بالمطار أو فى الفندق، واتصل بى وأخبرنى أن هناك أمرًا خطيراً وسيرجع إلى المنزل غدًا، ولاحظت أنه متضايق لكنه لم يتحدث كثيراً عن ذلك وأعتقد أنه كان يحس أن مكالمتنا مراقبة".

"أكان يعتقد بالفعل أن هناك من يسجل المكالمة الهاتفية؟".

"أترين؟ إن رد فعلك كان مثل رد فعلى بالضبط؛ أبى العجوز عاد يتخيل وحوشاً لا وجود لها. وآخر شىء قاله لى: لقد وصلوا إلىّ يا أنتونى ويعرفون من أنا".

" من هم؟".

"كنت أعلم بالضبط ما يتحدث عنه، نفس الهراء الذى يخبرنى به منذ صغرى؛ القوى الشريرة فى الحكومة، مؤامرة عالمية يدبرها النيفيلم ليساعدوا بعضهم على الوصول إلى مراكز السلطة. وما إن يصلوا إلى مراكز القوى السياسية حتى يكون فى مقدورهم الصيد بدون أى خوف من

العقاب، وقد اصطادوا بنفس الطريقة فى كوسوفا، وكمبوديا، ورواندا. فهم يتشوقون للحرب والاضطرابات وإراقة الدماء، فهم يتغذون على ذلك، وذلك ما تعنيه لهم المعركة الفاصلة: جنة للصيادين، وذلك السبب الذى يجعلهم يتعجلون حدوثها".

"يبدو ذلك كأقصى درجات جنون العظمة".

"وتلك أيضا طريقة لشرح ما يصعب شرحه: كيف يفعل الناس أشياء رهيبة لبعضهم".

"أيؤمن والدك بكل هذا؟".

"أرادنى أن أومن بذلك، لكن تطلب الأمر موته حتى أقتنع".

"ما الذى حدث لوالدك؟".

"يمكن اعتبارها جريمة سرقة عادية حدثت فيها بعض الأخطاء؛ نابولى مكان خطير، وعلى السياح توخى الحذر هناك، لكن أبى كان فى فيا بارتنوب، بجوار خليج نابولى، وهو شارع عادة ما يكون ممتلئا بالسياح. ومع ذلك حدث الأمر بسرعة لدرجة لم تتح له الصياح طالبا النجدة، وانهار ببساطة ولم ير أحد قتلته ولا ما الذى حدث، لكن أبى نزف فى الشارع حتى الموت، وكانت الطعنة تحت القفص الصدرى مباشرة، وقد اخترقت تجويف القلب فى البطين الأيمن".

قالت بهدوء: "نفس الطريقة التى ماتت بها إيفا كاسوفيتز". قتل وحشى متقن.

قال: "والأسوأ فى كل هذا، أنه مات وهو يعتقد أنى لن أصدقه أبدا، فبعد مكالمتنا الأخيرة، أغلقت الخط وقلت لأحد زملائى إن الرجل العجوز جاهز الآن ليفحص التاريخ على طبيعته".

"لكنك تصدقه الآن".

"حتى بعد ذهابى إلى نابولى، بعد أيام قليلة من مقتله، ظللت أعتقد أن ذلك مجرد عنف عشوائى؛ سائح سيئ الحظ، يقف فى المكان والزمان الخطأ، لكن عندما كنت فى قسم الشرطة، منتظرا نسخة من تقرير الشرطة دخل إلى الحجرة رجل محترم أكبر منى وقدم نفسه، وأتذكر أنى سمعت اسمه من أبى كثيرا لكن لم أكن أعلم أن جوتفرايد بوم يعمل لحساب البوليس الدولى".

"لماذا تخبرنى باسمه؟".

"كان أحد المدعوين فى الليلة التى قتلت فيها إيفا كاسوفيتز".

"الرجل الذى غادر إلى المطار؟".

"كانت لديه رحله جوية إلى بروكسل تلك الليلة".

"أهو عضو فى المفيستو؟".

أومأ سانسون وقال: "هو الشخص الذى جعلنى أستمع وأصدق كلام أبى، كل القصص التى أخبرنى بها أبى، وكل نظرياته المجنونة عن النيفيلم - كرر بوم كل نظريات وكل قصص أبى".

قالت مورا: "وَهْمٌ مشترك".

"تمنيت أن يكون وهما، وتمنيت أن أهز كتفى فى لامبالاة كما تفعلين، لكنك لم تسمعى وترى الأشياء التى مررت بها، وما مر به جوتفرايد والآخرون، إن مفيستو تحارب من أجل حياتها، فبعد أربعة قرون نحن آخر الأعضاء". وتوقف لثانية، ثم أضاف: "وأنا آخر فرد من نسل إيزابيلا".

قالت: "آخر صيادى شياطين".

"لم أتقدم ولو خطوة واحدة معك، أليس كذلك؟".

"وهذا هو ما لا أفهمه، فقتل شخص ما ليس بتلك الصعوبة. إذا كنت أنت الهدف، فلماذا لا يقضون عليك فقط؟ فأنت لا تختبئ. كل ما سيتطلبه الأمر هو طلق نارى عبر نافذتك، أو

قنبلة في سيارتك. فلماذا يلعبون ألعاباً غبية بصدف البحر؟ ما هى وجهة نظرهم في تحذيرك حتى تعرف أنك تحت أنظارهم؟".

"لا أعلم".

"يمكنك أن تلاحظ أن الأمر ليس منطقياً".

"نعم".

"أتعتقد أن هؤلاء القتلة يدورون حول مفيستو".

تنهد قائلاً: "لن أحاول حتى أن أقنعك، أريدك فقط أن تفكري في احتمالية صحة ما قلته لك".

"أن هناك تجمعا عالمياً كبيراً للنيفيلم؟ وأن مؤسسة مفيستو، ولا أحد غيركم، يعى تلك المؤامرة واسعة النطاق؟".

"بدأ بعض الأشخاص يستمعون لنا".

"ما الذى ستفعلونه لحماية أنفسكم؟ وضع رصاصات فضية في بنادقكم؟".

"سأعثر على ليلى سول".

نظرت إلية متعجبة: "الابنة؟".

"ألا ترين أنه من الغرابة ألا يكون هناك من يعرف بمكانها؟ ولا يستطيع أحد تحديده؟". ونظر إلى مورا قائلاً: "ليلى تعرف أمرا ما".

"لماذا تعتقد ذلك؟".

"لأنها لا تريد أن يعثروا عليها".

وقال: "أعتقد أن علىَ دخول المنزل معك، لأتأكد فقط أن كل شيء على ما يرام".

صفًا السيارة خارج منزلها، ورأت مورا أضواء عبر ستائر حجرة معيشتها، فقد شغل جهاز ضبط الوقت الأتوماتيكى المصابيح. وقبل أن تغادر بالأمس محت كل العلامات الموجودة على بابها، وتساءلت وهى تنظر في الظلام عما إذا كانت

قنبلة فى سيارتك. فلماذا يلعبون ألعاباً غبية بصدف البحر؟ ما هى وجهة نظرهم فى تحذيرك حتى تعرف أنك تحت أنظارهم؟".

"لا أعلم".

"يمكنك أن تلاحظ أن الأمر ليس منطقياً".

"نعم".

"أتعتقد أن هؤلاء القتلة يدورون حول مفيستو".

تنهد قائلاً: "لن أحاول حتى أن أقنعك، أريدك فقط أن تفكرى فى احتمالية صحة ما قلته لك".

"أن هناك تجمعا عالمياً كبيراً للنيفيلم؟ وأن مؤسسة مفيستو، ولا أحد غيركم، يعى تلك المؤامرة واسعة النطاق؟".

"بدأ بعض الأشخاص يستمعون لنا".

"ما الذى ستفعلونه لحماية أنفسكم؟ وضع رصاصات فضية فى بنادقكم؟".

"سأعثر على ليلى سول".

نظرت إليه متعجبة: "الابنة؟".

"ألا ترين أنه من الغرابة ألا يكون هناك من يعرف بمكانها؟ ولا يستطيع أحد تحديده؟". ونظر إلى مورا قائلاً: "ليلى تعرف أمرا ما".

"لماذا تعتقد ذلك؟".

"لأنها لا تريد أن يعثروا عليها".

وقال: "أعتقد أن علىَ دخول المنزل معك، لأتأكد فقط أن كل شىء على ما يرام".

صفًا السيارة خارج منزلها، ورأت مورا أضواء عبر ستائر حجرة معيشتها، فقد شغل جهاز ضبط الوقت الأتوماتيكى المصابيح. وقبل أن تغادر بالأمس محت كل العلامات الموجودة على بابها، وتساءلت وهى تنظر فى الظلام عما إذا كانت

"سأكون بخير".

"تحتاجين إلى الحذر، مورا، جميعنا نحتاج إليه".

قالت لنفسها: لكن أنا لست واحدة منكم، ولم أرغب فى ذلك أبدا.

رن جرس الباب، ونظر كل منهما إلى الآخر.

قال بهدوء: "لم لا تذهبين لترى من بالخارج؟".

أخذت نفسا وسارت عبر الردهة ونظرت نظرة واحدة عبر النافذة وفتحت الباب مباشرة. حتى كمية الهواء البارد التى ضربت وجهها لم تتمكن من إزالة الحرارة من على وجنتيها بدخول دانيال، وهو يمد ذراعيه لها ثم تجمد فى مكانه عندما رأى الرجل الآخر فى الردهة.

قطع سانسون الصمت وقال وهو يمد يده: "من المؤكد أنك السيد بروفى، أنا أنتونى سانسون. رأيتك فى منزل د. أودونيل تلك الليلة، عندما أتيت لتصطحب مورا".

أومأ دانيال، قائلاً: "سمعت عنك".

تصافح الرجلان، تحية رسمية وحذرة، ثم بدا من سانسون الذكاء عندما رحل سريعا وقال لـ مورا: "تذكرى تشغيل نظامك الأمنى".

"سأفعل".

وقبل أن يخرج من الباب الأمامى، رمق بروفى بنظرة فاحصة. سانسون لم يكن مخمورا أو غبيا: فمن المحتمل أنه خمن ما الذى يفعله رجل الدين هذا بمنزلها وقال: "طاب مساؤكما". وخرج من المنزل.

أغلقت الباب وقالت: "لقد افتقدتك". واندفعت بين ذراعيه.

همهم قائلاً: "بدا اليوم طويلاً جداً".

"كل ما كنت أفكر فيه هو الوصول إلى المنزل لأكون معك".

"وهذا كل ما كنت أفكر فيه أيضا، آسف لأنني جئت بشكل مفاجئ لكن كان عليَّ التوقف بالجوار".

"لكم أحب هذا النوع من المفاجآت".

"اعتقدت أنك ستصلين مبكرا".

"توقفنا في الطريق، لتناول العشاء".

"أقلقني أنك ركبت مع ذلك الرجل بمفردك".

تراجعت للخلف مبتسمة وقالت: "ليس هناك ما يقلق، دعني آخذ معطفك".

لكنه لم يتحرك ليعطيه لها بل قال: "ما الذي عرفته عنه، بما أنك قضيت معه يوماً كاملاً؟".

"أعتقد أنه مجرد رجل غريب الأطوار معه الكثير من المال، ولديه هواية غريبة جدًا".

"البحث عن كل الأمور الشيطانية؟ هذا يبعد قليلا عما أراه غريبا".

"الجزء الغريب حقا أنه تمكن من جمع مجموعة من الأصدقاء الذين يؤمنون جميعا بنفس الشيء".

"ألا يقلقك أنه مركز تماما على الجانب المظلم؟ وأنه يبحث عن الشيطان؟ أتعرفين القول المأثور: عندما تنظر كثيرا في النار...".

"تنظر النار إليك أيضاً. نعم أعرف هذا المثل".

"هذا المثل جدير بأن تتذكريه، مورا. ما مدى سهولة أن يسحبنا الظلام؟".

ضحكت قائلة: "يبدو كلامك كواحدة من مواعظك".

"أنا جاد، لا تعرفين الكثير عن هذا الرجل".

أعرف أنه يقلقك، أعرف أنه يجعلك تشعر بالغيرة.

لمست وجهه، قائلة: "لنتوقف عن الحديث عنه، فهو لا يهمنا. هيا دعني آخذ معطفك".

لم يقم بأى حركة لفك الأزرار، وفى تلك اللحظة فهمت.

وقالت: "لن تبقى معى الليلة؟".

تنهد قائلاً: "لا يمكننى، آسف".

"إذن، فمتى ستأتى؟".

"كما أخبرتك، كنت قلقا جدا وأردت الاطمئنان أنك وصلت سالمة".

"ألا يمكنك البقاء حتى لساعات قليلة؟".

"أتمنى ذلك، لكن فى الدقائق الأخيرة طلبوا منى أن أحضر مؤتمر بروفيدانس. سأقود السيارة طوال الليل".

همهم. لم تجادله، عمله بالطبع هو ما يوجه حياته، فهم يمتلكونه.

ووضع ذراعيه حولها، فشعرت بأنفاسه تدفئ شعرها وهمهم قائلاً: "لنخرج فى وقت ما، إلى مكان خارج المدينة".

حيث لن يعرفنا أحد.

وعند سيره إلى سيارته وقفت فاتحة باب منزلها على آخره وتيار الهواء البارد يدخل من حولها إلى داخل المنزل. وحتى بعد أن قاد سيارته مبتعدا وقفت متجاهلة لدغات البرد القارص. كانت تعتبر ذلك عقابا لنفسها لأنها ترغب فى دانيال. أهذا ما يطلبه عمله منهم: فصل الأسرة، وفصل الحياة. هل يمكن أن يكون الشيطان أكثر وقاحة من ذلك؟

لو كان بإمكانى بيع روحى إلى الشيطان لأحصل على حب دانيال، أعتقد أنى كنت سأفعل.

# الثلاثون

مالت السيدة كورا بونجرز بوزنها الثقيل على باب الحظيرة فانفتح بصوت صرير عالٍ. ومن داخل الحظيرة المظلمة خرج صوت الماعز القلق، وشمت جان الرائحة الكريهة للقش والحيوانات المتكدسة.

قالت السيدة بونجرز وهى توجه ضوء مصباحها اليدوى إلى داخل الحظيرة: "أنا غير واثقة من مدى قدرتك على الرؤية الآن، آسفة لم أتلق رسالتك مبكرا، والسماء مازالت مضيئة".

شغلت جان مصباحها اليدوى، قائلة: "لا بأس، أردت فقط أن أرى العلامات إذا كانت لا تزال موجودة".

"نعم، لا تزال هنا، ويشتكى منها زوجى كلما رآها، لكنى كثيرا ما أخبرته أن يطلى ذلك الحائط ليتوقف عن الشكوى، وكان يقول إنه سيكون مجنونا إذا دهن الحظيرة من الداخل، كما لو أنه سوف يقوم بعمل منزل جميل من أجل الماعز". ودخلت السيدة بونجرز وهى تتصبب عرقاً، فسير تلك المسافة الصغيرة من منزلها إلى الحظيرة جعلتها تعرق، فتوقفت، وهى تتنفس بصوت عالٍ ووجهت ضوء مصباحها اليدوى إلى حظيرة خشبية بها دستة من الماعز تصدر أصواتاً عالية، وقالت السيدة بونجرز: "أتعرفين، مازالوا يفتقدونه. (إبين) يشتكى طوال الوقت من مقدار العمل الذى يقوم به معهم أثناء قيامة

يحلبهم كل صباح. وقد مرت ثلاثة أشهر الآن ولم يحلبهم أحد بعد". وفتحت باب الحظيرة الصغيرة وقالت: "أنت لا تخافين من الماعز، أليس كذلك؟".

"أعلينا الدخول إلى هنا؟".

"أوه، لن يؤذوك. انتبهى لمعطفك فقط فهم يحبون قضم المعاطف".

قالت جان لنفسها وهى تدخل إلى الحظيرة الصغيرة بعدما أغلقت بابها: والآن كونوا ماعز طيبين ولا تأكلوا الشرطية. وحملت ذيل معطفها وهى تسير على القش، وتحاول أن تتجنب إفساد حذائها. وتابعتها الحيوانات بنظرات باردة وخالية من الانفعالات. تتذكر آخر مرة اقتربت فيها بتلك الدرجة من إحدى الماعز كان فى رحلة المدرسة الإعدادية إلى حديقة الحيوانات، ثم نظرت إلى العنزة ونظرت العنزة إليها والشىء التالى الذى تعرفه أنها كانت مستلقية على ظهرها وزملاؤها يضحكون عليها. هى لا تثق فى الحيوانات ومن الواضح أن الحيوانات لا تثق بها أيضًا؛ فحافظوا على المسافة بينهم وبينها أثناء سيرها فى الحظيرة.

قالت السيدة بونجرز: "هنا". ووجهت ضوء مصباحها على الحائط. "هناك بعض منها".

اقتربت جان أكثر وثبتت نظراتها على الرموز المنحوتة بعمق على الألواح الخشبية؛ رموز جولجوثا الثلاثة، لكن كانت تلك نسخة محرفة منها، فالصلبان الثلاثة مقلوبة.

"هناك بعضها بالأعلى". ووجهت السيدة بونجرز ضوء مصباحها للأعلى لتظهر رموزاً أكثر منحوتة أعلى من *الرموز السابقة على الحائط. "كان على من فعل ذلك التسلق* على بعض رزم القش لينحت تلك الرموز، كل هذا الجهد. أتعتقدين أن هؤلاء الأطفال الملاعين لديهم أشياء أفضل ليقوموا بها".

"لماذا تعتقدين أن أطفالاً هم من قاموا بذلك؟".

"من غيرهم سيفعل ذلك؟ إجازة الصيف ويشعرون بالملل ولن يجدوا شيئاً أفضل من الجرى ونحت الجدران وتعليق ذلك السحر الغريب على الأشجار".

نظرت جان إليها: "أى سحر؟".

"بعض العرائس القطنية وأشياء أخرى، أشياء صغيرة مرعبة. ولم يقابل مكتب العمدة ذلك إلا بالضحك، لكن لم أحب رؤيتها معلقة على الأشجار". وتوقفت أمام أحد الرموز وقالت: "مثل هذا".

كان رسماً بسيطاً لإنسان يحمل ما يبدو سيفًا فى إحدى يديه ومكتوب تحته: VII-RXX.

قالت السيدة بونجرز: "مهما كان معنى ذلك".

وتحولت جان لتواجهها قائلة: "قرأت فى تقرير الشرطة أن إحدى عنزاتك فقدت فى تلك الليلة، هل عادت إليك ثانية؟".

"لم نعثر عليها مطلقا".

"ألم تعثروا على أى أثر لها؟".

"حسنا، هناك مجموعة من الكلاب المسعورة بالمنطقة التى تلتهم أى شىء".

قالت جان لنفسها ونظراتها مركزة على الرسوم: لكن لا يفعل كلب ذلك. ورن جرس هاتفها فجأة واندفع الماعز إلى الجانب المعاكس مصدرة أصواتاً تدل على الانزعاج. وقالت جان: "آسفة". وسحبت الهاتف من جيبها متعجبة من وجود شبكة فى هذا المكان وردت قائلة: "ريزولى".

قال فروست: "فعلت ما بوسعى".

"لماذا يبدو ذلك كبداية عذر ما؟".

"لأننى لم أكن محظوظا بما يكفى لأجد ليلى سول. يبدو أنها تتنقل كثيرا. عرفنا أنها فى إيطاليا منذ حوالى ثمانية

أشهر على الأقل، وحصلنا على سجل سحوباتها المالية ببطاقتها الائتمانية فى تلك الفترة فى روما وفلورنس وسورينتو، لكنها لا تستعمل بطاقتها الائتمانية كثيراً".

"ثمانية أشهر سياحة؟ كيف يمكنها تغطية تكاليف ذلك؟".

"تسافر بالوسائل رخيصة التكلفة وأقصد الرخيصة جدا جدا. وتقيم فى فنادق درجة رابعة. بالإضافة إلى ذلك، فربما تعمل هناك بشكل غير قانونى، وعرفت أنها حصلت على مهنة لفترة صغيرة بفلورنس كمساعدة لخبير تحف".

"أهى مؤهلة لذلك؟".

"هى حاصلة على درجة جامعية فى الدراسات القديمة، وعندما كانت طالبة عملت فى موقع أثرى بإيطاليا يسمى باستوم".

"لماذا لا تستطيع العثور عليها بالله عليك؟".

"يبدو لى أنها لا تريد أن يعثر عليها أحد".

"حسناً. ماذا عن ابن عمها دومينيك سول؟".

"أوه، هذا الشخص يمثل مشكلة حقيقية".

"لن تقدم لى أية أخبار جيدة الليلة، أليس كذلك؟".

"حصلت على نسخة من سجله الدراسى من أكاديمية بوتنام، وهى مدرسة داخلية فى كونيكتيكت، التى التحق بها لمدة سته أشهر وهو فى الصف العاشر".

"إذن، كان عمره تقريبا خمسة عشر أو ستة عشر عاما؟".

"خمسة عشر، أنهى تلك السنة الدراسية وانتظروا قدومه فى الخريف لكنه لم يأت".

"هذا هو الصيف الذى قضاه مع عمه فى بيورتى".

"صحيح، فقد توفى والد الفتى حينئذ، فأخذه د. سول معه ليقضى الصيف. وعندما لم يعد الطفل إلى المدرسة فى سبتمبر حاولت أكاديمية بوتنام تحديد مكانه، وفى

النهاية وصلهم خطاب من والدته تطلب سحب ملفه من المدرسة".

"إذن، فأى مدرسة التحق بها بعد ذلك؟".

"لا نعرف، فأكاديمية بوتنام تقول إنها لم تتلق أى طلب لتحويل أوراق الطالب، وهذا هو آخر شيء عنه أمكننى الحصول عليه".

"ماذا عن أمه؟ أين هى؟".

"ليس لدىَّ فكرة، لا يمكننى العثور على أى شيء عنها. فلم يقابلها أى فرد فى المدرسة، كل ما وصلهم منها هو خطاب عليه توقيع مارجريت سول".

"يبدو أن كل هؤلاء الأشخاص أشباح، ابن أخيه ووالدته".

"لدىَّ صورة دومينيك المدرسية، ولا أعرف إن كانت بحالة جيدة الآن، فقد التقطت له منذ أن كان فى الخامسة عشرة من عمره".

"كيف يبدو؟".

"يبدو فتى وسيماً، أشقر الشعر أزرق العينين. وتقول المدرسة إنهم كانوا يضعونه فى فصل المتفوقين. من الواضح أنه كان ذكياً، لكن هناك ملحوظة فى الملف تقول إن الفتى لم يكن له أى أصدقاء".

راقبت جان السيدة بونجرز وهى تهدئ عنزاتها، وجمعتهم فى ركن بصوتها الهادئ فى نفس الحظيرة المظلمة التى قام شخص ما بنحت رموز غريبة على حائطها منذ اثنتى عشرة سنة، وهو نفس الشخص الذى نقل نحوتاته على جسد المرأة الميتة".

قال فروست: "حسنا، هنا الجزء الأكثر إثارة، أنا أبحث فى استمارات قبول الطالب بالمدرسة الآن".

"نعم؟".

"يوجد جزء ملأه والده، يتعلق باهتماماته الخاصة، وكتب والده أن تلك هى تجربة دومينيك الأولى فى المدارس الأمريكية لأنه عاش أغلب حياته بالخارج".

"بالخارج؟". وشعرت بنبضات قلبها تتسارع وتزداد قوة. "أين؟".

"مصر وتركيا". سكت قليلا ثم أضاف: "وقبرص".

رجعت نظراتها ثانية إلى حائط الحظيرة، وما نحت عليه: RXX-V11 وتساءلت: "أين أنت الآن؟".

"أنا بالمنزل".

"ألديك كتاب الملك جيمس بالمنزل؟".

"لماذا؟".

"أريدك أن تنظر على شيء من أجلى".

"دعينى أسأل (أليس) عن مكانه". وسمعته ينادى على زوجته، ثم سمعت صوت خطوات أقدام وقال فروست: "نعم".

"والآن انظر إلى المحتويات وأخبرنى أى الأجزاء تبدأ بالحرف R".

سمعت صوت تقليب صفحات عبر الهاتف، وقال فروست: "هناك ثلاثة أجزاء تبدأ بهذا الحرف".

"من كل جزء اقرأ لى الفصل العشرين، الفقرة السابعة".

"حسنا، دعينى أرى. الجزء الأول لا يحتوى على الفصل العشرين، فهو أربعة فصول فقط".

"والثانى؟".

"ينتهى عند الفصل السادس عشر".

"ماذا عن الثالث".

"انتظرى". وسمعت صوت صفحات كثيرة. "ها هو، الفصل العشرون، الفقرة السابعة: وعند انتهاء الألف عام، سيخرج الشيطان" – وتوقف فروست وأصبح صوته منخفضا فجأة – "سيخرج الشيطان من سجنه".

أحست جان بضربات قلبها، وحملقت فى حائط الحظيرة، على الرسم البسيط لرجل ممسك بالسيف، ليس سيفًا، بل منجل.

قال فروست: "ريزولى؟".

قالت: "أعتقد أننا نعرف اسم القاتل".

# الحادى والثلاثون

تحت مبنى سان كليمنت، كان صدى صوت المياه المندفعة يتردد وسط الظلام، فأضاءت ليلى ضوء مصباحها اليدوى عبر البوابة الحديدية التى تسد الطريق إلى النفق، وأظهر ضوء مصباحها الحوائط الحجرية القديمة والوميض الخافت للمياه الجارية.

وقالت: " توجد بحيرة تحت الأرض أسفل هذا المبنى، ويمكنكم رؤية النهر الجارى الذى لم يتوقف عن التدفق. لقد فتحت روما هنا عالماً آخر، عالماً كبيراً من الأنفاق والمقابر". ونظرت إلى الوجوه التى تحدق فيها عبر الظلام وقالت: "فكروا فى ذلك عندما تعودون إلى سطح الأرض وتسيرون فى الشوارع، فكروا فى كل الأماكن المظلمة والسرية التى تقع تحت أقدامكم مباشرة".

سألت واحدة من النساء: "أيمكننى إلقاء نظره أقرب إلى النهر؟".

"نعم، بالطبع. سأبقى الضوء مفتوحا حتى تلقوا نظرة سريعة عبر البوابة".

وبدأ السياح الموجودون بمجموعتها فى النظر إلى داخل النفق واحدا تلو الآخر. فى الواقع، لم يكن هناك الكثير ليروه، لكن عندما يقطع السائح كل هذا الطريق ليصل إلى روما - ربما تكون تلك المرة الأولى والأخيرة فى حياته -

يكون من واجبه أن ينظر. واليوم مع ليلى ستة سياح فقط؛ اثنان أمريكيان، واثنان إنجليزيان، واثنان من ألمانيا. ليسوا بذلك الجمع الكبير؛ ولن ترجع إلى منزلها بمقدار كبير من البقشيش، لكن ما الذى تتوقعه فى يوم ثلاثاء بارد من شهر يناير؟ والسياح الموجودون فى مجموعة ليلى كانوا هم الزوار الوحيدين للمتاهة فى تلك اللحظة. سمحت لهم جميعا بأخذ وقتهم فى النظر عبر البوابة الحديدية، ومعاطف المطر خاصتهم تحتك بها. واندفع الهواء الرطب عبر النفق، محملا برائحة الأحجار القديمة المبللة: عبق عصور مرت منذ زمن بعيد.

سأل سائح ألمانى: "ماذا كانت هذه الحوائط فى الأصل؟".
خمنت ليلى أنه رجل أعمال فى الستينات من عمره، فهو يتحدث الإنجليزية بطلاقة، ويرتدى معطفا جلديا غاليا، وخمنت كذلك أن زوجته ليست بنفس طلاقته فى الإنجليزية لأن المرأة لم تقل إلا كلمة واحدة طوال النهار.

قالت ليلى: "هذه أسس المنازل التى كانت موجودة هنا فى عهد نيرون، فقد حول الحريق الكبير هذه المبانى إلى حجارة متفحمة".

سأل السائح الأمريكى: "هل هذه هى النيران التى غنى عنها نيرون على الكمان؟".

ابتسمت ليلى، لأنها سمعت هذا السؤال مرات عديدة من قبل ويمكنها توقع من سيسأل هذا السؤال فى كل مجموعه وقالت: "فى الواقع، لم يعزف نيرون على الكمان فلم تكن آلة الكمان قد اخترعت بعد، فعند حريق روما يقال إنه عزف وغنى على القيثارة ".

أضافت زوجة الرجل: "ثم اتهم أعداءه بإضرام النيران".

أطفأت ليلى ضوء المصباح، قائلة: "هيا، لنتحرك. هناك أشياء أخرى يجب علينا رؤيتها".

وقادتهم فى المتاهة. فوق الأرض كان صوت المرور عاليا فى الشارع المزدحم والباعة يبيعون بطاقات البريد والحلى التافهة إلى السياح الذين يتجولون فى بقايا الكولسيوم، أما هنا فلم تكن لتسمع شيئاً سوى صوت المياه الجارية وصوت معاطف السياح السائرين فى النفق.

قالت ليلى وهى تشير إلى الجدران: "هذا النوع من المبانى يسمى أوبس ريتيكيلاتوم، فهذا عمل يستبدل القرميد بالصخور المتكونة من التوفا (صخور بركانية)".

" *تو فير* (حملين)؟". كان سؤال الرجل الأمريكى مرة ثانية، فالأسئلة الغبية دائما ما كانت تصدر منه: "أهذا أقوى من *وان فير* (حمل واحد)؟". لم يضحك سوى زوجته فقط بصوت قهقهة مزعجة.

قال الرجل الإنجليزى: "التوفا، هو رماد بركانى مركب".

قالت ليلى: "نعم، بالضبط. وعادة ما كانت تستعمل فى بناء المنازل الرومانية".

سألت السيدة الأمريكية زوجها: "كيف لم نسمع عن أمر التوفا من قبل؟". معطية الجميع إيحاء بأنهم ماداموا لا يعرفون بشىء فلا يمكن أن يكون موجودا.

حتى فى الظلام، كانت ليلى ترى عين الرجل الإنجليزى تنظر إلى الأعلى معبرا عن ضيقه من الزوجين الأمريكيين، فاستجابت له بهز كتفيها.

سألت الأمريكية ليلى: " يا آنسة، أنت أمريكية، صحيح؟".

توقفت ليلى فهى لا تحب هذه الأسئلة الشخصية وكذبت قائلة: "فى الواقع، أنا كندية".

"أعرفت ما هى التوفا قبل أن تصبحى مرشدة؟ أم أنها مجرد كلمة أوروبية؟".

قالت ليلى: "الكثير من الأمريكيين ليسوا معتادين على الكلمة".

"حسناً، إذن، هذا مجرد شيء أوروبي". قالت المرأة تلك الجملة وهي تشعر بالرضا، فإذا كان الأمريكيون لا يعرفون ذلك الشيء، فمن المؤكد أنه ليس مهما.

قالت ليلى وهي تتحرك بسرعه مع السياح: "ما ترونه هنا هو ما تبقى من فيللا تيتوس فلافيوس كليمنس. فى القرن الأول كان ذلك مكاناً سرياً لاجتماعات معتنقى المسيحية قبل أن يتم قبولهم فى المجتمع؛ حينما كانت تلك الديانة لا تزال جديدة، وليس لها شعبية إلا بين زوجات النبلاء". وأضاءت مصباحها اليدوى ثانية واستعملت الضوء لتوجه انتباههم، قائلة: "والآن، نحن نسير فى أكثر الأماكن تشويقا بتلك البقايا. وقد تم اكتشاف هذا المكان عام ١٨٧٠ فقط. وهنا سنرى معبداً سرياً للطقوس الوثنية".

عبروا الممر، ولاحت أمامهم أعمدة كورنثية من بعيد؛ كانت تمثل حجرة استقبال المعبد، وبها صفوف من المقاعد الحجرية مزينة بلوحات جصية قديمة. تجولوا داخل المعبد أمام محرابين مظلمين، مكان بدء الطقوس. فى العالم بالأعلى، غيرت القرون الشوارع، لكن الزمن تجمد فى هذا الكهف الأثرى. وهنا مازالت رسوم ميثراس وهو يذبح الثور باقية. وهنا مازال صوت صرير الماء يأتى وسط الظلام.

قالت ليلى: "عند ميلاد المسيح، كانت عبادة ميثراس قديمة جداً؛ عبده الفرس لقرون كثيرة. والآن لنرى قصة حياة ميثراس؛ تقول الأساطير إنه ولد فى كهف عند انقلاب شمس السماء فى فصل الشتاء، وأمه، آناهيتا، كانت عذراء وحضر ولادته بعض رعاة الغنم المحملين بالهدايا. وكان معه اثنا عشر تابعا يرافقونه عند ترحاله، ودفن فى مقبرة ثم بعث من موته بعد ذلك، وفى كل عام يتم الاحتفال بقيامته كيوم ميلاد". وتوقفت لتعطى التأثير الدرامى المناسب، ونظرت إلى وجوههم قائلة: "أيبدو أى شىء من ذلك مألوفا؟".

قالت المرأة الأمريكية: "إنها نفس القصة التى يرويها المسيحيون عن المسيح".

"قبل قرون من مولد المسيح، كان ذلك جزءاً من ديانة الفرس".

نظرت السيدة إلى زوجها وقالت: "لم أسمع عن ذلك من قبل، هل سمعت أنت عنه؟".

"كلا".

قال الرجل الإنجليزى: "إذن، ربما عليكما زيارة معابد أوسيتيا، أو متحف اللوفر، أو متحف فرانكفورت الأثرى. ربما تجدان فى هذه المتاحف وسيلة تعليمية".

تحولت إليه السيده الأمريكية، قائلة: "لا ينبغى عليك أن تتفضل علينا وترعانا".

"صدقينى، يا سيدتى. لا يوجد شىء غير طبيعى أو يسبب الصدمه فيما قالته مرشدتنا المرحة".

"والآن أنت تعرفين مثلنا تماما أن السيد المسيح لم يكن فارسياً يرتدى قبعة مضحكة ويقتل الثيران".

قالت ليلى: "أردت فقط أن أوضح لكم التشابه المثير فى الفنون والثقافات بين الحضارات".

"ماذا؟".

"انظرى، الأمر ليس بتلك الأهميه". قالت ليلى ذلك وهى تأمل أن تمرر السيدة الأمر مرور الكرام، مدركة أن أى أمل يراودها فى الحصول على بقشيش من زوجين أمريكيين غاضبين قد تلاشى منذ فترة طويلة، وقالت: "هذه مجرد أساطير".

"المسيحية ليست أساطير".

"لم أعن الأمر بتلك الطريقه".

"ما الذى يعرفه أى شخص عن الفرس، بأية حال؟ أقصد، أين كتابهم المقدس؟". لم يقل السياح الآخرون شيئا، بل وقفوا حولهم يبدو عليهم عدم الراحة.

*دعى الأمور تمر، فذلك لا يستحق مناقشة.*

لكن لم تكن المرأة انتهت بعد، فمنذ استقلت هذه المرأة السيارة السياحية فى هذا الصباح شكت من كل شىء يتعلق بإيطاليا والإيطاليين. فطرق روما مزعجة وليست مثل طرق أمريكا، والفنادق غالية جدا وليست كما فى أمريكا، والآن هذا الغضب الأخير، فقد سارت فى مبنى سان كليمنت لترى واحداً من أوائل أماكن الاجتماعات الدينية، وبدلاً من ذلك وجدت نفسها تتلقى دعاية وثنيه ملء السمع والبصر.

وسألتها: "كيف نعلم ما الذى يؤمن به عابدو ميثراس؟ وأين هم الآن؟".

قال الإنجليزى: "تم إفناؤهم، لقد دمرت معابدهم منذ زمن بعيد. ما الذى تتوقعين حدوثه بعدما أعلنت الدولة أن عبدة الميثراس هم أبناء الشيطان؟".

"هذا يبدو كتاريخ مكتوب".

"من الذى أعاد كتابة كل ذلك برأيك؟".

قاطعتهم ليلى: "وهنا تنتهى جولتنا، شكرا لكم. لكم الحرية فى التجول هنا إذا رغبتم. وسيكون السائق فى انتظاركم بالسيارة إذا كنتم جاهزين للرحيل وسيعيدكم جميعا إلى الفندق. وإذا كان لديكم أية أسئلة فيسعدنى الإجابة عنها".

قالت السيدة الأمريكية: "أعتقد أنك يجب أن تخبرى السياح بالسياق الزمنى".

"السياق الزمنى؟".

"اسم هذه الجولة (فجر الدين) لكنها ليست عن التاريخ، بل هى جولة عن الأساطير".

تنهدت ليلى، قائلة: "فى الواقع، هذا تاريخ. لكنه ليس التاريخ الذى نعرفه فى المعتاد".

"وأنت خبيرة؟".

"أنا حاصلة على درجة علميه فى" – توقفت ليلى. كونى حذرة – "لقد درست التاريخ".

"ثم؟".

أجابت ليلى وهى متضايقة جدا من فضول السيدة: "عملت أيضاً فى متاحف حول العالم، فى فلورنس وباريس".

"وأنت الآن مرشدة سياحية".

حتى فى هذه الحجرة البارده تحت الأرض، شعرت ليلى بالسخونة فى وجهها وقالت بعد صمت طويل: "نعم، أنا مجرد مرشدة سياحية، ولا شىء آخر. والآن بعد إذنك سأذهب إلى السائق". واستدارت وتوجهت ثانية إلى متاهه الأنفاق. من الواضح أنها لن تحصل على أى بقشيش اليوم، إذن فيمكنهم أن يجدوا طريقهم بمفردهم. وصعدت السلالم، كل خطوة تصعدها تتقدم بها فى الزمن، حتى وصلت إلى المنشآت البيزنطية. وهناك، تحت مبنى سان كليمنت، توجد ردهات مهجورة تابعة لدار عبادة بالقرن الرابع ظلت مخفية لمدة ثمانية قرون، مدفونة تحت دار العبادة التى حلت محلها فى العصور الوسطى. وسمعت أصواتا تقترب تتحدث الفرنسية، كانت مجموعة سياحية أخرى فى طريقهم على السلالم، وساروا فى الرواق الضيق فتنحت ليلى جانبا لتسمح للسياح الثلاثة ومرشدهم بالمرور. وعندما تلاشت أصواتهم، توقفت تحت بعض اللوحات المنهارة، وشعرت بالذنب فجأة لأنها تركت مجموعتها. لماذا تركت تعليقات سائحة جاهلة تضايقها هكذا؟ ما الذى كانت تفكر فيه؟

واستدارت لترجع لهم، لكنها تجمدت فى مكانها وهى ترى خيالاً بعيدًا لرجل يقف عند نهاية الرواق.

وقال: "آمل ألا تكون قد ضايقتك". تعرفت على صوت السائح الألمانى وتنهدت، فقد تلاشى كل الشد الذى أصاب أعصابها فجأة.

"أوه، لا مشكلة فقد قيلت لى أشياء أسوأ من ذلك".

"أنت لا تستحقين ذلك، كنت فقط تشرحين التاريخ".

"بعض الناس يفضلون نسخة التاريخ الخاصة بهم".

"إذا لم يكونوا يحبون تحدى معلوماتهم فعليهم عدم الذهاب إلى روما".

وابتسمت، ابتسامة ربما لم يرها من مكانه فى نهاية النفق المظلم، وقالت: "نعم فروما لديها القدرة على تحدينا جميعاً".

وسار تجاهها ببطء، كما لو كان يقترب من ذكر غزال خائف وقال: "هل لى أن أقدم اقتراحًا".

توقف قلبها، إذن فلديه ما ينتقده أيضا، وماذا سيكون ذلك النقد؟ ألا يمكنها إرضاء أى شخص اليوم؟

قال: "فكرة عن نوع مختلف من الجولات السياحية، شىء سيجذب نوعًا مختلفًا من الزوار بكل تأكيد".

"ما هو موضوع الجولة؟".

"أنت جيدة فى التاريخ الدينى".

"لست خبيرة لكننى درسته".

"كل مكتب سفريات يقدم جولات إلى الأماكن الدينية فى إيطاليا، للسياح أمثال صديقينا الأمريكيين، لكن بعضا منا لا يهتم بزيارة تلك الأماكن". واقترب منها أكثر لدرجة أنها تشم رائحة التبغ فى ملابسه وقال بهدوء: "بعض منا يبحث عن الأماكن الملعونة وغير الدينية".

تجمدت فى مكانها تماما.

"أقرأت كتاب الملك جيمس؟".

همست: "نعم".

"أتعرفين الوحش".

ابتلعت ريقها. نعم.

سألها: "ومن هو؟".

تراجعت إلى الخلف ببطء، قائلة: "ليس من هو، بل ما هى. إنها ... تجسيد لروما".

"آه، أنت تعرفين التفسير الثقافى".

"الوحش كان الإمبراطور الرومانى". واستمرت فى التراجع إلى الخلف "والعدد ٦٦٦ رمز الإمبراطور نيرون".

"أتؤمنين بذلك حقا؟".

نظرت من فوق كتفيه تجاه باب الخروج، ولم تر أحداً ليخرجها من ذلك الموقف.

واستمر فى الضغط عليها: "أتؤمنين أنه حقيقى من لحم ودم؟ يقول البعض إن الوحش هنا، فى تلك المدينة، وأنه ينتظر وقت خروجه، ويراقب أحوال الأرض".

"هذا - هذا الأمر متروك تحديده للفلاسفة".

"ليلى سول، أخبرينى ما الذى تؤمنين به؟".

*إنه يعرف اسمى.*

واستدارت لتهرب، لكن ظهر فجأة شخص ما من ورائها. كانت المرأة التى سمحت بدخول ليلى ومجموعتها إلى ذلك المكان. وقفت المرأة بثبات ناظرة إلى ليلى وتسد عليها الطريق.

*لقد عثر شياطينه علىّ.*

فى لحظة اتخذت ليلى قرارها، حنت رأسها واندفعت بعنف تجاه المرأة ودفعتها على الأرض وخدشت أظافر تلك المرأة كاحل ليلى، وهى تنطلق هاربة.

*اذهبى إلى الشارع.*

كانت أصغر من الرجل الألمانى بثلاثة عقود على الأقل، وبالخارج يمكنها أن تهرب منه فى الجموع المحتشدة حول الكولسيوم. وصعدت السلالم، مندفعة عبر باب إلى الإضاءة الشديدة لصحن دار العبادة، متوجهة إلى باب الخروج. وتمكنت من السير خطوات قليلة عبر الأرضية الفسيفسائية اللامعة، ثم توقفت مرعوبة.

فقد ظهر ثلاثة رجال من خلف العواميد الرخامية، ولم يقولوا شيئا وهم يقتربون منها ليضيقوا الخناق عليها. وسمعت بابا يغلق من ورائها وصوت خطوات أقدام تقترب: الألمانى والمرأة.

لماذا لا يوجد سياح آخرون؟ ألا يوجد أحد بالجوار ليسمع صراخى؟

قال الرجل الألمانى: "ليلى سول".

استدارت لتواجهه، وهى تعلم أن الرجال الثلاثة الآخرين يقتربون منها أكثر. إذن، فهنا ينتهى الأمر، فى هذا المبنى الدينى. لم تتخيل أبدًا أن ذلك سيحدث فى دار عبادة، اعتقدت أنه سيحدث فى زقاق مظلم وربما فى غرفة كئيبة بأحد الفنادق، لكن ليس هنا.

وقال: "وجدناك أخيرا".

وقفت منتصبة رافعة رأسها، فلو كان عليها مواجهة الشيطان فلتواجهه مرفوعة الرأس.

سألها الألمانى: "إذن أين هو؟".

"من؟".

"دومينيك".

حدقت فيه، فلم يكن هذا السؤال الذى توقعته.

قال: "أين ابن عمك؟".

هزت رأسها فى ذهول وسألته: "أليس هو من أرسلك لتقتلنى؟".

نظر إليها الرجل الألمانى مندهشاً، وأومأ إلى أحد رجاله الواقفين وراء ليلى. وأصابها الرعب عندما لوى ذراعيها وراء ظهرها وقيد معصميها.

وقال الألمانى: "ستأتين معنا".

"أين؟".

"إلى مكان آمن".

"أتقصد ... أنك لن -".

"أقتلك؟ كلا". وسار تجاه الحائط وفتح لوحاً مخفياً، ووراءه رأت نفقاً لم تعرف أبداً بوجوده. "لكن ربما يفعل ذلك شخص آخر".

# الثانى والثلاثون

نظرت ليلى عبر نافذة الليموزين المغطاة بالستائر وهم يمرون على ريف توسكان. فمنذ خمسة أشهر سافرت إلى الجنوب عبر نفس الطريق لكن فى ظروف مختلفة فى شاحنة مزعجة مع رجل طويل الذقن كل هدفه هو النظر إلى مفاتنها، وفى تلك الليلة كانت جائعة ومجهدة، وتشتكى قدماها من السير حتى منتصف الليل تقريباً. والآن كانت فى نفس الطريق لكن متوجهة إلى الشمال، عائدة إلى فلورنس، ليست مسافرة متطفلة تلك المرة بل مسافرة بأناقة. ورأت الرفاهية فى كل مكان نظرت إليه، من مقعدها الخلفى بالليموزين. كان المقعد مغطى بالجلد الأسمر الطرى كبشرة البشر. ومحفظة المقعد الموجودة أمامها بها أنواع كثيرة من الجرائد: نسخ اليوم من *إنترناشيونال هيرالد تريبيون، ولندن تايمز، ولى فيجارو، وكورير ديلا سيرا* . إضافة إلى الهواء الدافئ القادم من فتحات التدفئة، وفى رف الزجاج كانت هناك زجاجات من المياه والعصير ومجموعة من الفواكه الطازجة، وجبن وبسكويت فاخر. لكن رغم كل هذه الرفاهية فمازالت فى سجن لأنها لا يمكنها فتح الباب. والزجاج المقوى يفصلها عن السائق ومرافقه فى المقعد الأمامى. وطوال الساعتين الفائتتين لم يهتم أحد الرجلين بالنظر إليها. هى ليست واثقة من أنهم بشر أصلا فربما كانوا مجرد آليين فكل ما رأته هو مؤخرة رؤوسهم.

واستدارت ونظرت عبر النافذة الخلفية إلى السيارة المرسيدس التى تتبعهم ورأت الرجل الألمانى ينظر إليها، كان يرافقها إلى الشمال ثلاثة رجال لا تعرفهم فى سيارتين فارهتين جداً. هؤلاء الناس لديهم مصادرهم ويعرفون ما يفعلونه بالضبط، فما حظوظها معهم؟

*أنا حتى لا أعرف من هم.*

لكنهم يعرفون من تكون، ورغم حذرها الكبير فى الشهور الفائتة، فقد تمكن هؤلاء الرجال من الوصول إليها.

أخذت الليموزين طريقا جانبيا متفرعا من الطريق السريع، إذن فهم ليسوا ذاهبين إلى فلورنس. بدلا من ذلك فهم يتوجهون إلى الريف صاعدين تلال توسكان الصغيرة. وبدأت الشمس تغيب، وفى ضوء الغسق رأت أشجار العنب، ومنازل حجرية قديمة مهجورة منذ فترة طويلة. لماذا سلكوا هذا الطريق؟ لا يوجد شىء هنا إلا المزارع الصفراء المهجورة.

ربما تلك هى وجهة نظرهم، هنا لن يوجد أى شهود.

كانت تريد تصديق الرجل الألمانى عندما قال لها إنه سيأخذها إلى مكان آمن، هل قصد بذلك أن يتم تدليلها مؤقتا بقليل من الرفاهية، ووسيلة مواصلات مريحة. وشعرت بقلبها يخفق بين ضلوعها، عندما قللت الليموزين من سرعتها وسارت فى طريق جانبى ترابى، وشعرت بيديها تتصببان عرقا. كانت السماء مظلمة الآن وسيأخذونها فى رحلة قصيرة فى الحقول ويضعون رصاصة فى رأسها. وبوجود ثلاثة رجال، سيتم الأمر سريعا بحفر القبر ووضع الجثة فيه.

لابد أن التربة باردة فى يناير.

وسارت الليموزين بين الأشجار، والمصابيح الأمامية توضح الكثير من الشجيرات الصغيرة. ورأت الانعكاس الأحمر لعينى أحد الأرانب. ثم ظهر طريق تصطف على جانبيه الأشجار ووجدت السيارة تقف أمام بوابة حديدية. فأضاءت كاميرا

المراقبة المعلقة بالأعلى وفتح السائق نافذته وقال بالإيطالية: "لدينا الطرد".

وأضيئت مصابيح غامرة وتوقفوا قليلا لأن الكاميرا تفحص راكبى السيارة. ثم فتحت البوابة.

ودخلوا تتبعهم المرسيدس التى كانت وراءهم طوال الطريق من روما. وعندما اعتادت عينا ليلى على الظلام مجددا رأت ظلال تماثيل وسياجاً من الشجيرات بطول طريق السيارت. وفى الأمام عند نهاية الطريق المفروش بالحصى، كانت هناك فيلا تلمع أضواؤها. انحنت للأمام مندهشة وهى تنظر إلى الحدائق ذات الجدران الحجرية والجرار الضخمة والأشجار الطويلة، كصف من السيوف المظلمة الموجهة إلى السماء. توقفت الليموزين بجانب نافورة رخامية جافة وهادئة الآن بسبب الشتاء. ووقفت السيارة المرسيدس وراءهم، ونزل الألمانى منها وفتح الباب.

"آنسة سول، أيمكننا الدخول إلى المنزل؟".

نظرت إلى الرجلين بجواره، هؤلاء الرجال لا يعطونها أى فرصة للهروب. لم يكن لديها خيار إلا السير معهم فصعدت السلالم وقدماها متصلبتان من الجلوس فى السيارة، وتبعت الألمانى على السلالم الحجرية. وأزاحت الرياح الباردة أوراق الشجر الميتة من طريقها، تبعثرها مثل الرماد. حتى قبل وصولهم إلى باب الفيلا، انفتح الباب ووقف رجل عجوز ليحييهم، ونظر إلى ليلى نظرة سريعة، ثم حول انتباهه إلى الرجل الألمانى.

تحدث بلغه إيطالية تغلب عليها اللكنة الإنجليزية: "الغرفة جاهزة من أجلها".

"سأبقى أيضا، إذا لم يكن هناك مشكلة. هل سيصل غدًا؟".

أومأ الرجل العجوز، قائلاً: "رحلة طيران ليلية".

تساءلت ليلى: من سيأتى غدا؟ صعدوا سلماً ضخماً إلى الطابق الثانى. وعندما مروا باللوحات المعلقة اهتزت وضربت الحائط الحجرى، ولم يكن لدى ليلى وقت لتتأمل الأعمال الفنية، بل حثوها على الإسراع عبر الردهة، مرورا بلوحات لأشخاص تراقبها عيونهم فى كل خطوة.

وفتح الرجل العجوز باباً ثقيلاً من خشب البلوط وأومأ لها بالدخول. دخلت غرفة نوم مفروشة جيدًا بأثاث من الخشب الأسمر والأقمشة الثقيلة.

قال الرجل الألمانى: "هذه من أجل الليلة فقط".

واستدارت ولاحظت عدم دخول أى فرد معها إلى الغرفة وقالت: "ماذا سيحدث غدا؟".

أغلق الباب، وسمعت صوته وهو يغلق بالمفتاح ليحبسوها.

*لم لا يجيب أحد على أى سؤال بسيط؟*

وسارت مسرعه إلى الستائر الثقيلة ونحتها جانبا، لتظهر أمامها نافذة مؤمنة بقضبان حديدية، حاولت كسرها وأخذت تجذبها حتى تعبت ذراعاها، لكنها كانت مثبتة جيدًا، وهى لم تكن إلا بشرًا من لحم ودم. وفى شدة غضبها، استدارت لتنظر إلى سجنها المريح. رأت سريرًا ضخمًا من البلوط المنحوت، مغطى بملاءة حمراء اللون. ونظرت للأعلى إلى الحلى المعمارية الخشبية، إلى صور منحوتة لحيوانات ونبات العنب بطول السقف. وقالت لنفسها: قد يكون هذا سجنا، لكن سيكون فيه أفضل غرفة نوم نمت فيها طوال حياتى، غرفة تليق بملكة.

كانت هناك أيضاً طاولة مزخرفة مغطاة بالقماش وحينما رفعت الغطاء رأت لحوماً باردة مقطعة، وسلاطة خضراوات، وخبز توسكان غير مملح. همت بمد يدها ثم توقفت فجأة.

لمَ يضعون لى السُمّ عندما يكون من الأسهل أن يضعوا رصاصة فى رأسى؟

فهجمت على صينية الطعام، تقطع قطعة من الخبز، وتضع قطع لحم فى فمها. كان اللحم رقيقاً ومقطعًا بمهارة، فكان مثل شرائح الجبن. وأكلت كل الطعام تقريبا. وفى الوقت الذى نهضت فيه من الكرسى، كانت تشعر بالتخمة لدرجة أنها وصلت إلى السرير بصعوبة. وقالت لنفسها: *ليس مسموما بل أنا التى أكثرت من الطعام.* وبغض النظر عما سيحدث غداً، فلم تهتم حتى بأن تغير ملابسها بل انهارت نائمة بكامل ملابسها على الفراش الأحمر.

أيقظها صوت عميق وغير مألوف لرجل ينادى باسمها، وفتحت عيناً واحدة ونظرت إلى الضوء القادم من النافذة. وأغلقت عينها بسرعة. من ذا الذى فتح النافذة؟ متى أتت الشمس؟.

"آنسة سول، استيقظى".

غمغمت قائلة: "فيما بعد".

"لم أسافر بالطائرة طوال الليل لأراك نائمة، نحتاج إلى أن نتحدث".

تأوهت وتحولت عنه قائلة: "لن أتحدث مع رجال لا يخبروننى بأسمائهم".

"اسمى أنتونى سانسون".

"أيفترض أن أعرفك؟".

"هذا منزلى".

جعلتها هذه الكلمة تفتح عينيها، واستدارت لترى رجلاً فضى الشعر ينظر إليها. رغم إسرافها فى الطعام لاحظت أنه شخص حسن المظهر على الرغم من الإرهاق الظاهر على عينيه. قال إنه سافر بالطائرة طوال الليل وهى لا تشك بذلك، وهى تنظر إلى قميصه المجعد وذقنه. لم يأت سانسون إلى تلك الغرفه بمفردة؛ فالرجل الألمانى كان هناك أيضا واقفا بجوار الباب.

اعتدلت فى جلستها على السرير، وقالت: "أتملك هذه الفيلا؟".

"هى من أملاك عائلتى منذ قرون".

"يالك من محظوظ". وتوقفت قائلة: "يبدو أنك أمريكى".

"أنا كذلك".

ورفعت يدها وأشارت تجاه الألمانى، قائلة: "وهذا الشخص الواقف هناك، أيعمل عندك؟".

"لا، السيد بوم صديق لى، ويعمل فى البوليس الدولى".

صمتت تماما، ونظرت إلى السرير ثانية لكى لا يريا وجهها.

قال بهدوء: "آنسة سول، لم أشعر بأنك تخافين من الشرطة؟".

"أنا لا أخاف منهم".

"أعتقد أنك تكذبين".

"وأعتقد أنك لست مضيفًا كريمًا، تحبسنى فى منزلك بتلك الغرفة وتدخل علىَّ بدون أن تطرق الباب".

"طرقنا الباب لكنك لم تستيقظى".

قالت له: "إذا كنت ستقبض علىَّ أريدك أن تخبرنى بالسبب؟". لأنها أدركت الآن ما الذى يدور حولها. فبطريقة ما توصلوا إلى ما فعلته منذ اثنتى عشرة سنة وقد تعقبوها. ومن ضمن كل النهايات التى افترضتها لنفسها لم تكن تلك واحدة منها: قبر بارد وغير معلم، نعم - لكن الشرطة؟ وشعرت برغبة فى الضحك. *حسنا ألقوا القبض علىَّ. فقد مررت بأشياء مرعبة أكثر من خطر السجن.*

سألها السيد بوم: "أهناك سبب يدعونا للقبض عليك؟".

ما الذى يتوقعه، أن تعترف هنا والآن؟ يجب عليهم أن يعملوا أكثر من ذلك.

"ليلى". قالها سانسون وهو يجلس على السرير كنوع من التعدى على مساحتها الشخصية مما جعلها منتبهة. "أتعلمين ما حدث ببوسطن منذ أسابيع قليلة؟".

"بوسطن؟ أنا لا أعرف ما الذى تتحدث عنه".

"أيعنى اسم لورى آن تاكر أى شىء لك؟".

توقفت ليلى، فقد فاجأها هذا السؤال. هل تحدثت لورى آن إلى الشرطة؟ هل توصلوا لما فعلته بتلك الطريقة؟ لقد وعدتنى لورى آن أنها ستبقى الأمر سرا.

سألها: "كانت من أصدقائك، أليس كذلك؟".

اعترفت ليلى، قائلة: "نعم".

"وسارا بارملى؟ أكانت صديقتك أيضا؟".

وفجأة لاحظت أنه يستعمل السؤال بـ *أكانت*. وليس بـ *أهى*. وجف حلقها فالأمر بدأ يبدو سيئًا جدًا.

ضغط عليها قائلاً: "أتعرفين هاتين السيدتين؟".

"لقد - لقد نشأنا معا. ثلاثتنا، لم تسأل عنهما؟".

"إذن فلم تسمعى عما حدث؟".

"كنت بعيدة، ولم أتحدث إلى أى فرد فى الولايات المتحدة منذ شهور".

"ولم يتصل بك أحد؟".

"كلا". وكيف يمكنهم ذلك فقد فعلت كل شىء لأبقى بعيدة عن الأنظار.

ونظر إلى بوم، ثم نظر إليه ثانية وقال: "يؤسفنى جداً أن أخبرك بذلك. لكن صديقتيك – كلتيهما – توفيتا".

هزت رأسها: "لا أفهم، أكانت حادثة؟ كيف ...؟".

"ليست حادثة، بل تم قتلهما".

"معًا؟".

"لا، كل واحدة بمفردها. حدث ذلك وقت عيد رأس السنة تقريبا. قُتلت لورى آن فى بوسطن، وعثر على جثة سارا فى

منزل والدك، المنزل الذى تحاولين بيعه. وذلك السبب الذى تبحث عنك الشرطة من أجله".

همست: "عذراً أعتقد أننى أشعر بالغثيان". وهرعت إلى الحمام مغلقة الباب وراءها ووضعت رأسها فى المرحاض. وتقيأت كل الطعام الذى تناولته بالأمس.

وأمسكت بالمرحاض حتى أفرغت كل ما بجوفها، وتركت المرحاض وسارت مترنحة إلى الحوض حيث تمضمضت ورشت الماء على وجهها وحدقت إلى انعكاس وجهها على المرآة، وتعرفت على نفسها بصعوبة، ما الفترة التى مرت عليها بدون أن تنظر - تنظر بالفعل - إلى نفسها فى مرآة؟ ومتى تحولت إلى ذلك المخلوق المرعب؟ فقد أخذ الهروب حقه منها تماما، اهرب كثيرا وستجد روحك تزهق فى النهاية.

جففت وجهها بمنشفة قطنية سميكة، واستعملت أصابعها لتمشط شعرها للخلف وإعادة ربط الضفيرة، فالسيد حسن المظهر الغنى ينتظرها ويجب أن تكون مستعدة لذلك، وتخبره ما يكفى لجعله راضيًا وسعيدًا، وذلك إذا لم يعلم بما فعلته، ولذلك فهى متاكدة أنها لن تخبره.

بدأت الحيوية تعود إلى وجهها مجددا، فرفعت رأسها ورأت وميض المحارب القديم فى عينيها. لقد توفيت صديقتاها وهى الوحيدة الباقية. ساعدونى يا فتيات، ساعدونى على البقاء. وأخذت نفسا عميقا وخرجت من الحمام.

نظر الرجال إليها بتعبير ينم عن القلق وقال سانسون: "آسف على إخبارك بتلك الأخبار بهذا النحو الفظ".

قالت ليلى ببرود: "أخبرنى التفاصيل، ما الذى عثرت عليه الشرطة؟".

بدا عليه الاندهاش من أسلوبها المباشر البارد، فقال: "التفاصيل ليست سارة".

"لا أتوقع أن تكون سارة". وجلست على السرير وأكملت حديثها بهدوء: "أريد أن أعرف كيف ماتتا".

قال الرجل الألمانى، السيد بوم: "أولا، أيمكننى توجيه سؤال إليك". واقترب تجاهها أكثر. والآن كلا الرجلين يقف أمامها، ينظران إلى وجهها، وقال بوم: "أتعرفين معنى الصليب المقلوب؟".

توقفت عن التنفس لثوان قليلة، ثم عاد صوتها ثانية: "الصليب المقلوب ... يعتبره البعض رمزا شيطانيا".

ورأت سانسون وبوم يتبادلان نظرات الدهشة.

"وماذا عن هذا الرمز؟". أخرج بوم قلمًا وورقة من جيبه ورسم رسما سريعا وأراه لها قائلا: "يقال عنها فى بعض الأوقات العين التى ترى كل شىء، أتعرفين مغزاها؟".

"هذه (يودات)، عين لوسيفر".

مرة ثانية، تبادل بوم وسانسون النظرات.

قال بوم: "وإذا كنت سأرسم صورة لرأس ماعز ولها قرون؟ أيعنى ذلك أى شىء لك؟".

قابلت نظرته اللطيفة وقالت: "أعتقد أنك تتحدث عن رموز بافوميت؟ أو عزازيل؟".

"أنت معتادة على كل هذه الرموز".

"نعم".

"لماذا؟ أتعبدين الشيطان، آنسة سول؟".

شعرت برغبة فى الضحك، قائلة: "إطلاقاً. تصادف فقط أننى أعرف بعض الأشياء عن هذه الرموز. فهذه هى اهتماماتى الخاصة والغريبة فى الوقت ذاته".

"هل ابن عمك، دومينيك، من عبدة الشيطان؟".

تسمرت ليلى فى مكانها تماما، وتجمدت يداها وهى تضمهما إلى صدرها.

"آنسة سول؟".

همست قائلة: "ربما عليك سؤاله".

قال سانسون: "نرغب فى ذلك، أين يمكننا العثور عليه؟".

ونظرت إلى يديها المعقودتين بشدة، قائلة: "لا أعرف".

تنهد قائلاً: "خصصنا الكثير من الطاقات البشرية لنتتبعك، واستغرق الأمر منا عشرة أيام لنصل إليك".

عشرة أيام فقط، لقد أصبحت متهورة.

"إذا كان يمكنك إخبارنا بمكان دومينيك تكونين قد وفرت علينا الكثير من المشاكل".

"أخبرتك، لا أعرف".

سألها سانسون: "لماذا تحمينه؟".

جعل هذا السؤال فكها يرتعد. "لماذا سأحميه بحق الله؟".

"هو قريبك الوحيد الباقى على قيد الحياة، ولا تعرفين مكانه؟".

ردت عليه بسرعة: "لم أره منذ اثنتى عشرة سنة".

ضاقت عينا سانسون وقال: "أتتذكرين بالضبط تلك المدة؟".

ابتلعت ريقها. *كان هذا خطأ، علىّ أن أكون أكثر حذرا.*

"يا ليلى، دومينيك هو من فعل ذلك بـ لورى آن وسارا".

"كيف عرفت ذلك؟".

"أتودين سماع ما فعله بـ سارا؟ وعدد الساعات التى ظلت تصرخ فيها وهو ينحت الصلبان على بشرتها؟ وخمنى ما الذى رسمه فى غرفة نوم لورى آن وهو نفس المكان الذى فصل فيه رأسها عن جسمها؛ صلبان مقلوبة. نفس الرموز التى نحتها فى تلك الحظيرة عندما كان فى الخامسة عشرة من العمر، يقضى معكم ذلك الصيف فى بيورتى، الذى فقدت فيه عائلتك". واقترب سانسون منها أكثر وأصبح اقترابه منها يشتمل على التهديد. "أليس ابن عمك دومينيك هو من تهربين منه؟".

لم تقل شيئا.

"من الواضح أنك تهربين من شيء ما، فمنذ أن تركت باريس، لم تستقرى فى أى مكان أكثر من ستة أشهر، ولم تعودى إلى بيورتى منذ سنوات. ليلى، ما الذى حدث فى ذلك الصيف؟ الصيف الذى فقدت فيه عائلتك؟".

لفت ذراعيها حول نفسها، كما لو كانت تحيط نفسها بدائرة وهمية قوية، وبدأت ترتعش فجأة فى لحظة كانت تحتاج فيها إلى أن تضم نفسها بشدة أكثر من أى مرة.

"فى البداية غرق أخوك تيدى، ثم سقطت والدتك من فوق السلالم، وبعد ذلك أطلق والدك النار على نفسه. كل ذلك فى غضون أسابيع قليلة، تلك كثير من المآسى بالنسبة لفتاة فى السادسة عشرة من عمرها".

وحضنت نفسها بقوة متزايدة، خوفا من أنها لو لم تفعل فستنهار وتتقطع إلى أجزاء.

"أكان ذلك مجرد حظ سيئ، ليلى؟".

همست قائلة: "ما الذى يحتمل أن يكون غير ذلك؟".

"أم أكان هناك شيء فى ذلك الصيف، شيء بينك وبين دومينيك؟".

ارتفع رأسها فجأة وقالت: "ما الذى ترمى إليه؟".

"أنت ترفضين مساعدتنا فى العثور عليه، كل ما يمكننى استنتاجه هو أنك تحمينه".

"أنت تعتقد أن بيننا علاقة؟". وارتفع صوتها إلى نغمة هيستيرية وقالت: "أتعتقد أننى أردت أن تموت عائلتى؟ كان أخى فى الحادية عشرة من عمره فقط!". وتوقفت، ثم كررت هامسة: "كان فى الحادية عشرة من عمره فقط".

قال سانسون: "ربما لا تدركين مدى خطورة كل هذا، ربما شاركته فقط فى بعض التعويذات، قليل من الطقوس غير الضارة. يفعل ذلك العديد من الأطفال، كما تعرفين، بدافع

الفضول. ربما ليظهروا أنهم مختلفون عن كل فرد آخر، مميزون. ربما ليصدموا آباءهم، أكان والداك مصدومين؟".

همست قائلة: "لم يفهموا، لم يدركوا ...".

"والفتاتان الأخريان، صديقتاك، لورى آن وسارا. هل كانتا تشاركان فى طقوسكما؟ متى بدأت اللعبة تبدو مرعبة؟ متى أدركت بوجود قوى لا ترغبين فى إيقاظها؟ هذا ما حدث، أليس كذلك؟ فقد أغراكن دومينيك".

"لا، ليس هذا ما حدث على الإطلاق".

"وبعد ذلك أصابكم الرعب وحاولتم الابتعاد عن ذلك لكن كان الوقت قد فات لأن أعينهم كانت عليكم، وعلى عائلتك. فمادمت قد دعوت الظلام إلى حياتك، فليس من السهل التخلص منه. إنه يختبئ فيك، ويصبح جزءا منك، كما أصبحت جزءا منه".

نظرت إلية قائلة: "لم أفعل، لم أرد أن أكون جزءا من هذا!".

"إذن لماذا تستمرين فى البحث عن الظلام؟".

"ماذا تقصد؟".

نظر سانسون إلى بوم، الذى فتح حقيبته وأخرج منها حزمة من الأوراق وقال: "هذه تقارير جمعناها عن مكانك فى السنوات الماضية، وحوارات مع الأشخاص الذين عملت معهم: جامع تحف فى فلورنس وباريس وشركة السياحة بروما، وخبير تحف فى نابولى. يبدو أنك أثرت فى كل هؤلاء آنسة سول، من خلال معرفتك السرية، بعلم الشياطين". وألقى بالأوراق على الطاولة قائلاً: "أنت تعرفين الكثير عن الموضوع".

قالت: "لقد علمت نفسى بنفسى".

سألها سانسون: "لماذا؟".

"أردت أن أفهمه".

"دومينيك؟".

"نعم".

"وهل تفهمينه الآن؟".

"كلا، أدركت أنني لن أفهمه أبدا". وتلاقت نظراتهم معا وقالت: "كيف لنا أن نفهم شيئا ليس بشرياً بالمرة؟".

قال بهدوء: "لا يمكننا، ليلى. لكن يمكننا بذل ما في وسعنا لهزيمته، لذلك ساعدينا".

قال بوم: "أنت ابنة عمه، وعشت معه ذلك الصيف، وربما تعرفينه أفضل من أي فرد آخر".

"كان ذلك منذ اثنى عشر عاما".

قال سانسون: "وهو لم ينسك، وهذا هو السبب وراء مقتل صديقتيك، كان يستعملهما ليعثُر عليك".

قالت: "إذن فقد قتلهما بلا سبب، فلَم يكونا يعرفان مكاني، ولم يكن بمقدورهما البوح بأي شيء".

قال بوم: "وقد يكون هذا هو السبب الوحيد لبقائك على قيد الحياة".

قال سانسون: "ساعدينا على العثور عليه، تعالى معي إلى بوسطن".

جلست على السرير لفترة طويلة، تحت نظرات الرجلين.

*ليس لديّ خيار بخصوص هذا الأمر، عليّ أن ألعب طويلا.*

أخذت نفسا عميقا ونظرت إلى سانسون قائلة: "متى سنغادر؟".

# الثالث والثلاثون

بدت ليلى سول كشابة مدمنة للمخدرات تم إحضارها من الشارع للتو، فقد كانت عيناها حمراوين وشعرها الأسمر الدهنى مربوطًا للخلف فى ضفيرة على شكل ذيل حصان، ويبدو أنها نامت فى قميصها، وبنطالها الجينز الأزرق الذى بلى بعد قليل من الغسيل، أو ربما كان ذلك هو زى الأطفال فى تلك الأيام؟ ثم تذكرت جان أن من تنظر إليها ليست طفلة، فـ ليلى سول كانت فى الثامنة والعشرين من عمرها، هى امرأة بالتأكيد، لكنها بدت صغيرة وحساسة جدا فى تلك اللحظة وهى تجلس على مائدة طعام أنتونى سانسون المزخرفة، وجسدها النحيل بدا أكثر نحافة وهى جالسة على هذا الكرسى الضخم. لم يكن لدى ليلى مكان تذهب إليه، وهى تعرف ذلك. تحركت نظراتها بعصبية بين جان وسانسون، فى محاولة منها لتخمين من أى جهة سيأتى الهجوم.

فتحت جان ملفًا وأخرجت منه النسخة المكبرة لصورة الكتاب السنوى لأكاديمية بوتنام وسألت ليلى: "أيمكنك تأكيد أن هذا ابن عمك، دومينيك؟".

تثبتت نظرات ليلى على الصورة، فى الواقع، كانت صورة جذابة: وجه منحوت بشعر ذهبى وعيون زرقاء، أمير رسمه أحد رسامى المدرسة الرفائيلية.

قالت ليلى: "نعم، هذا ابن عمى".

"مر على هذه الصورة أكثر من اثنى عشر عاما، وليس لدينا أية صور حديثه، أتعرفين أين نجد صورة حديثه؟".

"لا".

"تبدين متأكدة جداً".

"لقد انقطعت علاقتى بـ دومينيك، ولم أره منذ سنوات".

"ومتى كانت آخر مرة رأيته فيها؟".

"غادر بعد أسبوع من جنازة أبى، وكنت أقيم بمنزل سارا، ولم يهتم حتى بأن يزورنى ويودعنى، كتب لى رسالة ورحل، يقول فيها إن والدته أتت لتأخذه وسيتركون المدينة فى الحال".

"ولم تريه أو تسمعى عنه شيئا؟".

ترددت ليلى، كانت لحظات قليلة من التوقف لكنها جعلت جان تميل إلى الأمام، وتيقظت فجأة قائلة: "فعلت، أليس كذلك؟".

"لست واثقة".

"ما الذى يعنيه هذا؟".

"فى العام الماضى عندما كنت أعيش فى باريس وصلنى خطاب من سارا، فقد تلقت بطاقة بريدية عبر البريد من المتحف الملكى فى بروكسل، صورة رسمها أنتونى ويرتز، أمير الشر".

"أكانت هناك رسالة؟".

"لم يكن بها كلمات بل مجرد رموز تعرفت عليها أنا وسارا لأننا رأيناها منحوتة على الأشجار فى ذلك الصيف".

سلمت جان قلما وكراسة إلى ليلى، قائلة: "ارسميها لى".

أمسكت ليلى القلم، وتوقفت لدقيقة كما لو كانت تشمئز من إعادة كتابة ما رأته، وفى النهاية رسمت على الورقة، وما رسمته ألقى بشظية من الثلج داخل جان: ثلاثة صلبان مقلوبة، وهذا الرمز: R17:16.

سألت جان: "أيشير ذلك إلى اقتباس من كتاب -؟".

"إنه من كتاب الملك جيمس".

نظرت جان إلى سانسون وقالت: "أيمكنك أن تبحث عنه؟".

قالت ليلى بهدوء: "يمكننى إعادة تسميع النص: والقرون العشرة التى رأيتموها على الوحش، ستكره الساقطة وستجعلها بائسة وعارية، وسيأكل لحمها، وسيحرقها بالنار".

"أنت تحفظينه عن ظهر قلب".

"نعم".

وقلبت جان صفحة جديدة ووضعت الكراسة أمام ليلى قائلة: "أيمكنك كتابته من أجلى؟".

لدقيقة حدقت ليلى فى الورقة البيضاء، ثم بدأت تكتب على مضض، كانت تكتب ببطء كما لو كانت كل كلمة تؤلمها، وأعطت الورقة لـ جان فى النهاية بتنهيدة ارتياح.

ونظرت جان إلى الكلمات وشعرت بشظية من الثلج فى عمودها الفقرى ثانية.

*وسيأكل لحمها، وسيحرقها بالنار.*

قالت جان: "يبدو لى ذلك كتهديد، أو تحذير".

"إنه كذلك، أنا واثقة أننى المقصودة بذلك".

"إذن لماذا وصل إلى سارا؟".

"لأنه كان من الصعب العثور علىَّ، فقد تنقلت مرات عديدة، إلى مدن عديدة".

"إذن أرسلها إلى سارا، وهى تعرف كيف تجدك". وتوقفت جان مستطردة: "كانت تلك البطاقة منه، أليس كذلك؟".

هزت ليلى رأسها، قائلة: "لا أعلم".

"هيا ليلى، من سيكون غير دومينيك؟ هذا هو نفس ما نحته فى المزرعة منذ اثنتى عشرة سنة، فلماذا يبحث عنك؟ لماذا يهددك؟".

حنت ليلى رأسها وقالت بهدوء: "لأننى أعلم ما فعله فى ذلك الصيف".

"لعائلتك؟".

نظرت ليلى أمامها، وعيناها مليئتان بالدموع، قائلة: "لا يمكننى إثبات ذلك، لكنى أعلم".

"كيف؟".

"أبى لم يقتل نفسه أبدا! فهو يعلم مدى احتياجى إليه، لكن لن يستمع إلىّ أحد، لم يستمع أحد إلى فتاة فى السادسة عشرة من عمرها!".

"ما الذى حدث لتلك البطاقة البريدية الموجود عليها الرموز؟".

رفعت ذقنها قائلة: "أحرقتها، وتركتها فى باريس".

"لماذا؟".

"ماذا ستفعلين إذا تلقيت تهديدا بالموت؟ تجلسين بلا حراك وتنتظرينه؟".

"كان يمكنك الاتصال بالشرطة، لماذا لم تفعلى ذلك؟".

"وبماذا أخبرهم؟ أن شخصا ما أرسل لى نصا من كتاب تراثى؟".

" ألم تفكرى أبداً فى عمل محضر؟ تعرفين داخلك أن ابن عمك قاتل، لكنك لم تتصلى بالسلطات أبدًا؟ وهذا ما لا يمكننى فهمه، ليلى، لقد هددك، وأخافك لدرجة كافية جعلتك تتركين باريس، لكنك لم تطلبى المساعدة، بل اكتفيت بالهرب".

نظرت ليلى إلى الأرضية، وساد سكون طويل، ودقت عقارب الساعة بصوت عالٍ فى غرفة أخرى.

نظرت جان إلى سانسون الذى يبدو عليه الحيرة، ثم ركزت نظراتها ثانية على ليلى التى رفضت أن تنظر إليها حتى قالت جان: "حسنا، ما الذى لم تخبرينا به؟".

لم تجب ليلى.

نفد صبر جان وقالت: "لم لا تساعدينا على الإمساك به بالله عليك؟".

قالت ليلى: "لا يمكنكم الإمساك به؟".

"لمَ لا؟".

"لأنه ليس بشريا".

ساد الصمت من جديد وسمعت جان صدى صوت دقات عقارب الساعات الموجودة فى الغرف المجاورة وشعرت بتلك القشعريرة تسرى فى ظهرها فجأة.

ليس بشريًا. *والقرون التى رأيتموها على الوحش...*

انحنى سانسون مقتربا منها وسألها برقة: "إذن فما هو، يا ليلى؟".

ارتعدت المرأة الشابة واحتضنت نفسها قائلة: "لا يمكننى تجنبه، فهو يعثر علىَّ دائما، وسيجدنى هنا أيضا".

"حسنا"، قالتها جان وبدأت تتحكم فى أعصابها، فقد سارت تلك المحادثة فى طرق بعيدة جعلتها تشك فى كل شىء قالته تلك المرأة، وليلى سول إما كاذبة أو مريضة بالوهم، ولم يكن سانسون يلف حول كل تفصيلة غريبة فقط، لكنه كان يغذى أوهامها بأوهامه هو أيضاً وقالت: "كفى قصصا مرعبة، أنا لا أبحث عن الشيطان بل أبحث عن رجل".

قالت ليلى: "إذن، فلن تمسكى به أبداً ولا يمكننى مساعدتك"، ثم نظرت إلى سانسون وقالت: "أريد استعمال الحمام".

قالت جان: "لا يمكنك مساعدتنا؟ أم لن تساعدينا؟".

أجابت ليلى بحدة: "انظرى، أنا متعبة، نزلت من الطائرة للتو، ومرهقة من السفر ولم أستحم منذ يومين، ولن أجيب عن أية أسئلة أخرى".

وسارت خارجة من الحجرة.

قالت جان: "لم تخبرنا بمعلومة واحدة مفيدة".

نظر سانسون إلى الباب الذى خرجت ليلى منه للتو وقال: "أنت مخطئة، أعتقد أنها أخبرتنا بالكثير".

"إنها تخفى شيئا"، رن هاتفها الخلوى فتوقفت جان قائلة: "عذرا". وأخرجته من حقيبتها.

لم يهتم فينس كورساك بالمقدمات وقال بحدة: "يجب عليك الحضور حالاً"، وعبر الهاتف سمعت موسيقى ومحادثة صاخبة، فقالت لنفسها: *يا إلهى، لقد نسيت أمر حفلته الغبية.*

وقالت: "انظر، أنا آسفة حقاً، لا يمكننى القدوم الليلة فأنا فى منتصف استجواب".

"لكنك الوحيدة التى يمكنها التعامل مع الأمر!".

"فينس، لا أستطيع".

"إنهما والداك، ما الذى يفترض علىَّ فعله معهما بالله عليك؟".

توقفت جان وقالت: "ماذا؟".

"إنهما يصرخان فى بعضهما هنا"، وسكت للحظة ثم أضاف: "أوه، من المؤكد أنهما دخلا إلى المطبخ، علىَّ الذهاب لأخفى سكاكين المطبخ".

"أبى فى حفلتك؟".

"ظهر فجأة، فأنا لم أدعه! وصل إلى هنا بعد وصول والدتك مباشرة وهما يتشاجران منذ عشرين دقيقة، هل ستأتين؟ لأنهما إذا لم يلتزما الهدوء فسأتصل بالنجدة".

"لا! لا تفعل ذلك بالله عليك!"، *أبى وأمى مصفدان بأغلال الشرطة؟ لن أحيا حتى تأتى تلك اللحظة،* فقالت: "حسنا، سأكون عندك حالا". أنهت المكالمة ونظرت إلى سانسون قائلة: "علىَّ الرحيل".

سار معها إلى الردهة الأمامية حيث شدت معطفها، وقال: "هل ستعودين الليلة؟".

"هى ليست مستعدة للتعاون الآن، سأحاول معها غداً".

أومأ قائلاً: "إذن سأبقيها آمنة".

"آمنة؟". قالتها بنبرة لا تخلو من السخرية، وأكملت: "ما رأيك بمنعها من الهروب فقط؟".

بالخارج، كان الجو باردًا والسماء صافية. عبرت جان الشارع لتصل إلى سيارتها السوبارو وكانت تفتح بابها عندما سمعت صوت إغلاق باب سيارة، ونظرت لترى مورا تسير تجاهها.

سألتها جان: "ما الذى تفعلينه فى الجوار؟".

"سمعت أنه وجد ليلى سول".

"وما أهمية ذلك؟".

"هل استجوبتها بالفعل؟".

"لم تفدنا بأى شىء، واستجوابها لم يقربنا خطوة واحدة"، وتوقفت جان وهى تنظر إلى شاحنة أوليفر ستارك وهى تقف فى آخر الشارع بمكان صف السيارات وقالت: "ما الذى يحدث هنا الليلة؟".

"جميعنا هنا لنرى ليلى سول".

"جميعنا؟ لا تخبرينى أنك التحقت بمجموعة غريبى الأطوار تلك؟".

"لم ألتحق بأى شىء، لكن تم تعليم منزلى وأردت أن أعرف السبب، أريد سماع ما ستقوله هذه المرأة". واستدارت مورا متوجهة إلى بيت سانسون.

نادتها جان: "أيتها الطبيبة".

"نعم".

"خذى حذرك وأنت مع ليلى سول".

"لماذا؟".

"هى إما مجنونة أو تخفى شيئاً ما"، وسكتت ثم أكملت قائلة: "أو الاثنان".

حتى عبر باب شقة كورساك المغلق، يمكن لـ جان سماع صوت ضربات موسيقى الديسكو مثل ضربات قلب تضرب فى الحائط، كان الرجل فى الخامسة والخمسين من عمره ولديه مشاكل فى القلب، و Staying Alive هى الأغنية المفضلة لديه. طرقت الباب وهى تتخيل كورساك يرتدى الملابس الفضفاضة.

فتح الباب ونظرت إلى قميصه الحريرى اللامع، وتحت إبطيه دائرتان من العرق، وكان يفتح أزرار قميصه العلوية بدرجة كافية تظهر شعر صدره الكثيف كالغوريلا، الشىء الوحيد الذى ينقصه هو سلسلة ذهبية حول رقبته.

وتنهد قائلاً: "شكرا لله".

"أين هما؟".

"مازالا بالمطبخ".

"ومازالا أحياء، كما أفترض".

"مازالا يصيحان بصوت عالٍ، يا إلهى! لا أتخيل الألفاظ التى تتفوه بها والدتك!".

دخلت جان لتجد الضوء المميز لدائرة الديسكو، وفى ظلام الصالة كان يمكنها رؤية نحو اثنى عشر من مرتادى الحفلات الكسالى متجمعين حول المشروبات أو جالسين على أريكة وهم يأكلون شرائح البطاطس، كانت تلك هى المرة الأولى التى تدخل فيها جان إلى شقة كورساك الجديدة التى اشتراها بعد طلاقه، وكان عليها التوقف، مذهولة من المشهد. رأت طاولة قهوة زجاجية بلون العنب وسجادة بيضاء خشنة، بالإضافة إلى جهاز تلفاز كبير الشاشة ومكبرات صوت ضخمة لدرجة أنه يمكنك تثبيت سقف على واحد منها وتسميه بيتا، ورأت جلداً أسود - الكثير والكثير من الجلد الأسود، ويمكنها تقريبا تخيل هرمون التوستيرون يتسرب من الجدران.

ثم سمعت صوت شخصين يصيحان بالمطبخ، على ضربات موسيقى أغنيةStaying Alive .

"لن تظلى هنا، ما هذا بحق الجحيم؟ أتعتقدين أنك عدت طفلة فى السابعة عشرة من عمرها؟".

"ليس لديك أى حق لتملى علىَّ ما ينبغى فعله، فرانك".

دخلت جان إلى المطبخ لكن لم يلاحظها والداها، فقد كان تركيزهما منصبا على بعضهما. تساءلت جان ما الذى فعلته أمى بنفسها؟ وهى تنظر إلى فستان أنجيلا الأحمر الضيق، متى اكتشفت أحذية الكعب الرفيع جدا وطلاء العينين الأخضر؟

قال فرانك: "أنت جدة، بحق الله كيف يمكنك الخروج مرتدية ملابس كهذه؟ انظرى إلى نفسك!".

"على الأقل ينظر *أحدهم* إلىَّ، أما أنت فلم تفعل ذلك أبدًا".

"عدلى من وضعية ملابسك التى تظهر جسدك".

"إذا كان لديك جسد أنثى فاستعرضه".

"ما الذى تحاولين إثباته؟ هل أنت والمحقق كورساك هذا -".

"فينس يعاملنى بشكل لائق، شكراً لك".

قالت جان: "أمى، أبى؟".

"فينس؟ إذن فأنت تدعينه فينس؟".

قالت جان "مرحى".

قالت أنجيلا: "أوه، جان، لقد حضرت أخيراً!".

قال فرانك وهو ينظر إلى ابنته: "أرأيت؟ أعرفت أن أمك تلهو بالجوار؟".

ضحكت أنجيلا قائلة: "انظرى من يتحدث".

"أتركت والدتك تخرج مرتدية ملابس كتلك؟".

قالت جان: "هى فى الخامسة والخمسين من عمرها، أيفترض علىَّ تتبع طريقة ملبسها؟".

"هذا - هذا غير *مناسب!*".

قالت أنجيلا: "سأخبرك ما هو غير المناسب: إنه أنتَ يا من سرقت شبابى وجمالى ثم وضعتنى فى كومة النفايات، أنت يا من تهوى فتاة حقيرة تصادف سيرها بالجوار".

*أقالت أمى هذا للتو؟*

"إنه أنت يا من تأتى بكل وقاحة لتخبرنى ما هو غير المناسب! استمر، اذهب إليها، أنا باقية هنا، فللمرة الأولى فى حياتى سأمتع نفسى، سأحتفل!"، واستدارت أنجيلا وطرقت بالكعب الرفيع على أرضية المطبخ.

"أنجيلا، عودى إلى هنا!".

جذبت جان ذراع فرانك، قائلة: "أبى، لا تفعل".

"على أحدنا إيقافها قبل أن تؤذى نفسها!".

" تقصد قبل أن تؤذيك".

أبعد فرانك يد ابنته عنه قائلاً: "هى والدتك، عليك أن تشعرى ببعض المسئولية تجاهها".

"هى فى حفلة، فماذا فى الأمر؟ إنها لا تبدو كمن ارتكبت جريمة".

"فستانها هذا يعد جريمة، وأنا سعيد بوصولى إلى هنا قبل أن تفعل شيئا تندم عليه".

" ما الذى تفعله هنا بأية حال ؟ وكيف عرفت أنها هنا؟".

"هى أخبرتنى".

"هى؟!".

"اتصلت لتخبرنى أنها سامحتنى، وقالت إنه علىّ الاستمرار والحصول على بعض المرح لأنها تفعل ذلك أيضاً، وأنها ذاهبة إلى حفلة الليلة قائلة إن تركى لها كان أفضل شىء حدث لها، أعنى، ما الذى يحدث فى عقلها بالله عليك؟".

قالت جان لنفسها: *ما الذى يحدث، هل تحصل أمى على أقصى درجات انتقامها، وتريه أنها لا تهتم مطلقا برحيله.*

قال فرانك: "وهذا الشخص المسمى كورساك، أليس أصغر منها!".

"بسنوات قليلة فقط".

"أتقفين فى صفها الآن؟".

"لا أقف مع أى منكما، أعتقد أن كلا منكما يحتاج إلى وقت مستقطع والبقاء بعيدين عن بعضكما، ارحل فقط، اتفقنا؟".

"لا أريد الرحيل، حتى أنهى هذا الأمر معها".

"ليس لك الحق فى إجبارها على أى شىء، أنت تعرف ذلك".

"إنها زوجتى".

"ما الذى ستقوله صديقتك عن ذلك، هه؟".

"لا تتحدثى عنها بتلك الطريقة".

"ما الذى يمكننى قوله عنها؟ الشقراء الجذابة غريبة المظهر؟".

"أنت لا تفهمين".

"ما أفهمه أن والدتى حصلت أخيرًا على بعض المرح، فهى لم تحصل على القدر الكافى منه أبداً".

أشاح بيديه تجاه صوت الموسيقى قائلاً: "أتسمين هذا مجرد مرح؟ هذا الفسق الجماعى الذى يحدث بالخارج؟".

"إذن، ماذا تسمى ما تفعله أنت؟".

تنهد فرانك تنهيدة عميقة وجلس على مقعد من مقاعد المطبخ، ووضع رأسه بين كفيه قائلاً: "يا لها من فوضى! يا له من خطأ كبير لعين!".

حدقت فيه، مصدومة باستعماله كلمة لعين بدلا من الاعتراف بندمه.

وقال: "لا أعلم ما علىَّ فعله؟".

"ما الذى تريد فعله، أبى؟".

رفع رأسه ونظر إليها بعينين قلقتين وقال: "لا أستطيع تحديده".

"نعم، ذلك سيجعل أمى سعيدة، وهى تسمع هذا".

"لم أعد أعرفها! بملابسها الخليعة تبدو امرأة غريبة وربما ينظر كل هؤلاء الرجال بالخارج إلى ملابسها". ونهض فجأة قائلاً: "حسنا، سأضع حدا لهذا الموضوع".

"لا، لن تفعل، ستغادر الآن".

"لن أغادر مادامت هى موجودة هنا".

"أنت تزيد الأمور سوءاً". وأمسكت بذراعه وقادته إلى خارج المطبخ قائلة: "أبى، اذهب فقط".

وعند مرورهم بغرفة المعيشة، نظر إلى أنجيلا واقفة وفى يدها كوب من الشراب، وأضواء دائرة الديسكو الملونة تمر على فستانها فهتف إلى زوجته قائلاً: "أريدك فى المنزل بحلول الحادية عشرة!"، وخرج من الشقة وأغلق الباب وراءه بعنف.

قالت أنجيلا: "هيهات".

جلست جان على مائدة مطبخها، والعديد من الأوراق مفروشة أمامها، ونظرت إلى الساعة التى كانت عقاربها تشير إلى العاشرة وخمس وأربعين دقيقة مساءً.

قال جابريل: "لا يمكنك الذهاب وجرها إلى المنزل، فهى بالغة وإذا أرادت قضاء الليل بأكمله هناك، فلها مطلق الحرية".

"لا تذكر هذا الاحتمال مطلقا"، ضغطت جان على أسنانها محاولة إبعاد فكرة نوم أمها فى شقة كورساك، لكن جابريل فتح الباب لتلك الأفكار وتتابعت الصور فى عقلها. "علىَّ الرجوع الآن قبل حدوث أى شىء، قبل -".

"ماذا؟ إنها تقضى وقتا ممتعًا؟".

ووقف وراءها ووضع كفيه على كتفيها، مدلكا عضلاتها المتوترة قائلاً: "هيا يا حبيبتى، هونى عليك، ما الذى ستفعلينه، هل ستطبقين حظر التجول على والدتك".

"أفكر فى ذلك".

فى حجرتها، بكت ريجينا فجأة.

"لا توجد واحدة من النساء الموجودات فى حياتى سعيدة الليلة"، تنهد جابريل وخرج من المطبخ.

ونظرت إلى ساعة الحائط مرة أخرى، فوجدتها الحادية عشرة، وقد وعدها كورساك أن يعيد أنجيلا سالمة فى سيارة أجرة، ربما فعل ذلك الآن، *ربما علىّ الاتصال واكتشاف ذلك بنفسى.*

بدلا من ذلك ركزت انتباهها على الأوراق الموضوعة على المنضدة، كانت الأوراق عبارة عن ملف دومينيك المحير، يوجد فى ذلك الملف بعض المعلومات الضئيلة عن شاب، سار فى الضباب واختفى منذ اثنتى عشرة سنة، وفحصت صورة الفتى مرة أخرى، وهى تنظر إلى وجه ملائكى جميل: شعر ذهبى، عينان زرقاوان جميلتان، وأنف معقوفة.

وتحولت إلى الخطاب الذى كتبته والدته، مارجريت، بخط يدها لتسحب أوراق ابنها من أكاديمية بوتنام.

*لن يعود دومينيك فى الفصل الدراسى التالى، سآخذه معى إلى القاهرة ...*

وهناك اختفيا ببساطة، ولم يعثر البوليس الدولى على أية وثائق تؤكد وصولهما، ولا أى توثيق يؤكد أن مارجريت سول رحلت إلى مصر من الأساس.

وفركت عينيها، وشعرت بالتعب فجأة لدرجة أنها لم تعد قادرة على التركيز فى الصفحة، وبدأت تجمع الأوراق وتعيدها

إلى الملف، وأمسكت بالكراسة، وتوقفت فجأة محدقة فى الصفحة الموجودة أمامها، فقد رأت الاقتباس الذى كتبته ليلى سول من كتاب الملك جيمس:

*والقرون العشرة التى رأيتموها على الوحش، ستكره الساقطة وتجعلها بائسة وعارية، وسأكل لحمها ويحرقها بالنار.*

لكن لم تكن الكلمات هى ما جعلت ضربات قلب جان تتزايد، بل خط اليد.

فتحت الملف مرة أخرى وسحبت خطاب مارجريت سول الذى سحبت به أوراق ابنها من الأكاديمية، ووضعت الخطاب بجانب الكراسة وقارنت بين خط النص الكتابى وخطاب مارجريت سول.

نهضت مسرعة وقالت: "جابريل، علىَّ الخروج".

خرج من غرفة الطفلة، حاملا ريجينا قائلاً: "تعرفين أنها لن تقدر ذلك، لم لا تدعينها تقضى ساعة أخرى بالحفل؟".

"هذا لا يتعلق بأمى"، وذهبت جان إلى حجرة المعيشة، ونظر إليها عابسا وهى تفتح الخزانة وتسحب معطفها وأضافت: "إنه يتعلق بـ ليلى سول".

"ماذا عنها؟".

"إنها تكذب، فهى تعرف مكان اختباء ابن عمها بالتحديد".

# الرابع والثلاثون

قالت ليلى: "أخبرتكم بكل ما أعرفه".

وقفت جان فى حجرة الطعام بمنزل سانسون، حيث لم تتم إزالة الأطباق الخالية من فوق المائدة بعد. ووضع جيرمى كوبا من القهوة أمام جان، لكنها لم تلمسه. كما لم تنظر إلى أى ضيف آخر من الجالسين حول المائدة، فنظراتها مثبته على ليلى.

"ليلى، لم لا نذهب إلى الغرفة الأخرى؛ حيث يمكننا الحديث بمفردنا؟".

"ليس لدىَّ شىء آخر لأخبرك به".

"أعتقد أن لديك أشياء لتخبرينى بها".

قالت إدوينا فيلواى: "إذن وجهى إليها أسئلتك هنا، أيتها المحققة، فجميعنا نود سماعها".

نظرت جان إلى الجالسين حول المنضدة: إلى سانسون وضيوفه، المسمين بنادى مفيستو. ورغم أن مورا تدعى أنها ليست واحدة منهم، فقد جلست معهم فى دائرتهم. هؤلاء الأشخاص ربما يعتقدون أنهم يفهمون الشر، لكنهم لا يستطيعون التعرف عليه حتى وهو جالس هنا على نفس المائدة. عادت نظرات جان مرة أخرى إلى ليلى سول التى جلست بعناد فى مكانها، رافضة التحرك من مقعدها. قالت جان لنفسها: حسنًا، أتلك هى الطريقة التى تريدين أن نلعب بها؟ سنلعب بها، بجمهور يشاهدنا.

وفتحت جان الملف الذى جلبته معها من المنزل ووضعت الصفحة أمام ليلى، بعدما أزالت أكواب القهوة والأوانى الخزفية، ونظرت ليلى إلى الخطاب المكتوب بخط اليد.

قالت جان: "والدة دومينيك لم تكتب ذلك الخطاب".

تساءلت إدوينا: "ما هذا؟".

إنه خطاب لسحب أوراق دومينيك البالغ من العمر خمسة عشر عاما من المدرسة الداخلية بأكاديمية بوتنام بـ كونيكتيكت. ويفترض أن والدته، مارجريت سول، هى من كتبت هذا الخطاب.

"يفترض؟".

نظرت جان إلى ليلى، قائلة: "مارجريت سول لم تكتب هذا الخطاب، بل أنت من كتبته".

ضحكت ليلى، قائلة: "هل أبدو كبيرة بما يكفى لأكون والدته؟".

وضعت جان الملف على المائدة، وفتحت على الصفحة المكتوب فيها النص المذكور بكتاب الملك جيمس، وقالت: "كتبت هذه القطعة من أجلى هذا المساء، ونعرف أن هذا هو خط يدك". وأشارت إلى الخطاب، مكملة: "وهذا أيضًا".

ساد الصمت، وضمت ليلى شفتيها لتصبحا مجرد خطين نحيلين.

"عندما كنت فى السادسة عشرة من عمرك، فى ذلك الصيف، أراد ابن عمك دومينيك أن يتوارى عن الأنظار، بعد الأشياء التى فعلها فى بيورتى، ربما كان عليه التوارى عن الأنظار". وضيقت عينيها وهى تنظر إلى ليلى. "وأنت ساعدته، وأخبرت الجميع بقصة ملائمة لتخفى الأمر: أن والدته أتت فجأة لتأخذه، وأنهما غادرا البلاد، كانت تلك كذبة، أليس كذلك؟ فلم تأت مارجريت سول أبدا إلى ابنها، ولم تظهر على الإطلاق. أليس هذا صحيحا؟".

قالت ليلى: "لست فى حاجة للإجابة عن أسئلتك، فأنا أعرف حقوقى".

"أين هو؟ أين دومينيك؟".

"عندما تجدينه، أخبرينى". دفعت ليلى شعرها إلى الخلف ونهضت واقفة.

"ما الذى حدث بينكما فى ذلك الصيف؟".

"أنا ذاهبة للنوم". استدارت ليلى للخروج من الغرفة.

"هل فعل كل أفعالك القذرة بدلا منك؟ هل هذا سبب حمايتك له؟".

توقفت ليلى، واستدارت ببطء وعيناها تتطايران شرراً.

قالت جان: "عندما توفى والداك، ورثت إرثا جيدا".

"ورثتُ منزلا لن يرغب أحد فى شرائه، ورصيداً فى البنك غطى مصاريفى الجامعية، لا شىء أكثر من ذلك".

"هل كانت علاقتك جيدة مع والديك، ليلى؟ هل كانت تحدث خلافات بينكما؟".

"إذا اعتقدت أننى -"

"كل المراهقين يفعلون ذلك، لكن ربما سارت خلافاتك معهما إلى طريق أبعد قليلا، ربما لم يمكنك الانتظار للخروج من هذه المدينة الميتة وعيش حياتك. وبعد ذلك جاء ابن عمك فى ذلك الصيف وأمدك بالأفكار، والطرق لجعل هروبك يتم بسهولة أكثر، وسرعة أكبر".

"ليس لديك فكرة عما حدث!".

"إذن، أخبرينى. أخبرينى سبب كونك من وجد جثة تيدى فى البحيرة، وسبب كونك من وجد جثة أمك أسفل السلالم".

"لم أكن لأؤذيهم أبداً. لو كنت أعرف -"

"أكنتما عاشقين؟ أنت ودومينيك؟".

احمر وجه ليلى فجأة وبدا عليها الغضب الشديد، ولدقيقة ظنت جان أنها ستهجم عليها.

وساد هدوء لم يقطعه إلا صوت جرس عالٍ، ونظر الجميع إلى سانسون.

"إنه إنذار الاقتحام". ونهض وسار إلى لوحة التحكم المثبتة فى الحائط، ثم قال: "هناك ثغرة فى نافذة الحديقة".

سألت جان: "أهناك أحد بالمنزل؟".

قالت ليلى بهدوء: "إنه هو".

دخل جيرمى إلى غرفة الطعام، قائلاً: "لقد فحصتها للتو، والنافذة مغلقة".

"ربما كان ذلك مجرد قصور فى النظام". ونظر سانسون إلى الآخرين قائلاً: "فى تلك اللحظة أعتقد أنه يستحسن بكم أن تبقوا جميعكم هنا، أثناء فحصى للنظام".

قالت ليلى: "لا". ونظراتها تثب من باب إلى آخر كما لو كانت تتوقع هجوماً يأتى من أحدهم. "أنا لن أبقى، ليس فى هذا المنزل".

"ستكونين فى أمان تام، سنحميك جميعا".

"ومن سيحميكم أنتم؟". ونظرت حولها إلى مورا وإدوينا وأوليفر وأكملت حديثها: "واحد منكم؟ أنتم حتى لا تعرفون ما الذى تتعاملون معه!".

قالت جان: "انظروا، فليبق فقط كل منكم فى مكانه، اتفقنا؟ سأذهب إلى الخارج وألقى نظرة".

قال سانسون: "سأذهب معك".

توقفت جان، وكانت على وشك رفض عرضه، ثم فكرت فى إيفا كاسوفيتز عندما طُعنت على الممشى الجانبى المغطى بالثلج وسلاحها لم يتحرك من جرابه وقالت: "حسنا، فلنذهب".

وسحبا معطفيهما وسارا إلى الخارج.

تحت أضواء عواميد الإضاءة، لمعت أحواض من الضوء على الثلج. كان الشكل فى الخارج يبدو كعالم متجمد، فأسطح كل الأشياء مصقولة ولامعة كالزجاج. حتى لو سار أحد الدخلاء فى هذا الطريق، فلن يريا أية آثار أقدام. وانزلق شعاع مصباحها اليدوى على الرصيف الصلب مثل الماس. سارت هى وسانسون حتى البوابة الحديدية وخرجا منها إلى الفناء الجانبى الضيق. هذا هو نفس المكان الذى أحضر فيه القاتل إيفا كاسوفيتز، وعبر هذا الطريق قام بسحب جسدها، والدماء تسقط من رأسها على الرصيف الجرانيتى، كخطوط حمراء متجمدة.

كان سلاح جان خارج جرابه بالفعل، والمسدس يبدو امتداداً لذراعها، وكأنه التصق بقبضتها. وسارت تجاه الحديقة الخلفية، وضوء مصباحها يعكس الظلال، وتسمع صوت حذائها على الجليد، ومر ضوء مصباحها على أشجار لبلاب صغيرة أضعفها الشتاء. كانت تعرف أن سانسون خلفها مباشرة لكنه كان يسير بهدوء شديد فكان عليها النظر وراءها كل فتره لتتأكد فقط من وجوده، وأنه يحمى ظهرها بالفعل.

ودارت تجاه أحد جوانب المبنى وألقت ضوء مصباحها على الحديقة المغلقة، فعلى أرضية ذلك الفناء كانت إيفا كاسوفيتز مستلقية هنا منذ أسابيع قليلة، عضلاتها متصلبة ودماؤها متجمدة على الأحجار الباردة. لم تلاحظ جان أى حركة، ولا أى ظلال ضخمه ولا أى شيطان يرتدى ملابس سوداء.

سألت سانسون: "أهذه هى النافذة؟". ووجهت ضوء مصباحها ورأت الضوء يرتد عائدا من فوق الزجاج وقالت: "التى يقول نظامك إنه تم اختراقها؟".

"نعم".

عبرت الفناء لتحصل على نظرة أقرب، وقالت: "ألا يوجد هنا شاشات مراقبة؟".

"أنزلها جيرمى خوفا من تلفها بسبب الشتاء".

"وهل يتم تثبيتها داخل المنزل وراء النوافذ بحيث ترى ما يحدث فى الخارج؟".

"بالطبع، فالأمن من أهم اهتماماتنا".

ووجهت الضوء على عتبة النافذة ورأت خدشاً على الخشب. *إنه خدش حديث.*

قالت بهدوء: "لدينا مشكلة هنا، لقد حاول شخص ما فتح النافذة عنوة".

نظر إلى العتبة قائلاً: "هذا لن يشغل جرس الإنذار، والطريقة الوحيدة لتشغيله هى فتح النافذة".

"لكن خادمك يقول إنها مغلقه من الداخل".

"هذا يعنى ...". توقف سانسون. "يا إلهى!".

"ماذا؟".

"وصل ودخل إلى هنا، إنه داخل المنزل بالفعل!". استدار سانسون وجرى عبر الفناء الجانبى، بسرعة لدرجة أن حذاءه انزلق على الممر. وسقط بالفعل لكنه تماسك وتابع الجرى. وفى الوقت الذى وصلت فيه جان إلى الباب الأمامى، كان قد وصل إلى غرفة الطعام بالفعل وهو يحث الجميع، قائلاً: "رجاء احملوا معاطفكم، أريدكم أن تغادروا المنزل جميعاً. جيرمى سأساعد أوليفر على نزول السلالم، حتى تحضر الكرسى المتحرك الخاص به".

تساءلت إدوينا: "ما الذى يحدث هنا؟".

قالت جان بلهجة آمرة: "فقط قومى بذلك، اتفقنا؟ شدوا معاطفكم واخرجوا إلى الباب الأمامى".

كان سلاح جان هو ما جذب انتباههم، وكون سلاحها خارجا من جرابه فإن ذلك لا يعنى إلا شيئا واحدًا: هذه ليست لعبة؛ والأمر جد خطير.

كانت ليلى أول من تحرك، اندفعت كالسهم تقود المجموعة المسرعة إلى الردهة وتزاحموا ليحصلوا على معاطفهم. وعندما دفع كل فرد الباب الأمامى وخرجوا فى البرد، كانت جان وراءهم تماما، ممسكة بهاتفها وتتصل طالبة تعزيزات. قد تكون مسلحة، لكنها ليست متهورة؛ فلم يكن لديها أية نية لفحص هذا المنزل بمفردها.

بعد دقائق، ظهرت أول سيارة شرطة تلمع أضواؤها لكن دون أن يصدر بوقها صوتاً حتى توقفت ونزل منها رجلا شرطة.

أمرتهما جان: "أريد محاصرة مداخل ومخارج المنزل، لا تدعا أحداً يخرج من ذلك المبنى".

"من بالداخل؟".

"سنعرف". ونظرت أمامها لاقتراب أضواء سيارة شرطة أخرى؛ حيث وصل رجلا شرطة آخران إلى المكان، فقالت مشيرة إلى أحد رجال الدورية الشباب: "أنت، تعال معى". فاليوم تريد ردود أفعال سريعة وبصراً حاداً.

دخلت جان المنزل أولا، ورجل الدورية وراءها مباشرة وسلاحه فى يده، وبدا مأخوذاً لفترة قليلة بسبب ما رآه من الأثاث الفاخر الأنيق، واللوحة الزيتية المعلقة فوق المدفأة. وعرفت ما يفكر فيه بالتحديد : *هذا منزل رجل غنى.*

فتحت اللوحة المخفية وألقت نظرة سريعة على الخزانة لتتأكد من خلوها، ثم تحركا، عبر حجرة الطعام، وعبر المطبخ، ثم المكتبة الضخمة. لم يكن هناك وقت للنظر إلى أرفف الكتب التى تصل إلى السقف، فقد كانا يطاردان وحشاً.

وصعدا السلم، مستندين على الدرابزين المزخرف، وهناك عيون تحدق إليهما من الصور الزيتية، ومرا تحت رجل مكتئب، وامرأة لها عينى أنثى الأيل، وتحت بنتين رقيقتى الوجهين جالستين على بيانو. وفى أعلى السلم، حدقا فى الردهة المغطاة بالسجاد، الموجود بها العديد من الأبواب. كانت جان لا

تعلم تصميم هذا المنزل أو ما يمكنها توقعه. ورغم وجود أحد رجال الدورية لمساندتها وارتكاز ثلاثة آخرين خارج المنزل، فقد كانت يداها تتصببان عرقاً وقلبها يدق بعنف وتشعر أنه سيقفز من حلقها. تحركا من غرفة إلى أخرى، يفتحان الخزانات والدواليب، ويبحثان وراء الأبواب. أربع غرف نوم، وثلاثة حمامات.

ووصلا إلى درجات سلم ضيقة.

توقفت جان وهى تنظر إلى الباب المصنوع على الطراز الإغريقى، وقالت لنفسها: *يا إلهى، لا أريد الصعود إلى هناك.*

أمسكت بالدرابزين وصعدت أول درجة، وسمعت صريرا تحت قدميها فأدركت أنه إذا كان أحد بالأعلى فقد سمعها قطعًا، وعرف أنها آتية. ومن خلفها كانت تسمع أنفاس رجل الدورية المتسارعة.

إنه يشعر بذلك أيضا. *الخبث.*

وصعدت درجات السلم محدثة صريرا عاليا ووصلت إلى الباب. ترددت يدها وهى ممسكة بالمقبض، ثم نظرت إلى مساندها ورأته يومئ لها إيماءة سريعة مشدودة.

وفتحت الباب ودخلت بحذر وضوء مصباحها اليدوى يبدو كقوس مضىء وسط الظلام الدامس، ينزلق على الأشكال المظلمة. ورأت انعكاس الضوء على النحاس الأصفر، ورأت أشكالاً ضخمة مستعدة للهجوم.

ثم فى النهاية، عثر الشرطى على مفتاح الكهرباء وأضاء المصباح. وأصاب جان عمى مؤقت بسبب الضوء المفاجئ. وفى لحظة، تحول المهاجمون الرابضون إلى قطع أثاث ومصابيح وسجاجيد مطوية. ففى هذا المكان اكتشفوا كنزا للتحف المخزنة. كان سانسون غنيا لدرجة كبيرة، فحتى أثاثه الذى لا يستعمله يساوى ثروة. سارت عبر التحف، وقد هدأت ضربات

قلبها، وذهبت مخاوفها وحل محلها الراحة. فلا يوجد وحوش بالأعلى.

وضعت مسدسها فى جرابه ووقفت بين هذه الكنوز، تشعر بالخجل، فمن المؤكد أن الإنذار كان خاطئاً. إذن فما الذى خدش الخشب الموجود عند عتبة النافذة.

دبت الحياة فجأة فى جهاز اللاسلكى الخاص بالشرطى.

"جرافام، ما هى الحالة عندك؟".

"يبدو أنه لا يوجد خطر هنا".

"هل المحققة ريزولى معك؟".

"نعم، هى معى".

"لدينا موقف معقد بالأسفل". وجهت جان نظرة متسائلة إلى الشرطى، فقال عبر جهاز اللاسلكى: "ما الذى يحدث عندكم؟".

"د. آيسلز تريدها بالخارج بأسرع ما يمكن".

"نحن فى طريقنا".

ألقت جان نظرة أخيرة على التحف، ثم توجهت نازلة السلالم، ومرت ثانية بالردهة، وغرف النوم التى بحثت فيها بالفعل، وبنفس الصور التى حدقت إليهما منذ دقائق مضت. ومرة ثانية دق قلبها بعنف وهى تخرج من الباب الأمامى، إلى ليل مغمور بأضواء سيارات الشرطة. وقد وصلت سيارتان إضافيتان بالفعل، فتوقفت مصابة بعمى مؤقت بسبب أضواء السيارات القوية.

"جان، لقد هربت".

نظرت إلى مورا التى كانت تغطيها أضواء سيارات الشرطة وقالت: "ماذا؟".

"ليلى سول، كنا نقف جميعا هنا على المشى الجانبى. وعندما استدرنا، لم نجدها".

قالت جان: "اللعنة". ونظرت على الشارع، فرأت خيالات رجال الشرطة المبهمة، وأحد المشاهدين الفضوليين الذى خرج من بيته فى ذلك الجو البارد ليشاهد الإثارة.

قالت مورا: "كان ذلك منذ دقائق قليلة مضت، لا يمكن أن تذهب بعيداً".

# الخامس والثلاثون

اندفعت ليلى سول فى أحد الشوارع الجانبية، ثم دخلت منه إلى شارع جانبى آخر، وهى تسير فى متاهة من الأماكن غير المألوفه، فهى لا تعرف بوسطن وليس لديها فكرة إلى أين ستذهب. يمكنها سماع أبواق السيارات وهى تدور مثل أسماك القرش. وهداها ضوء السيارات إلى زقاق جانبى، ومع اقتراب سيارة شرطة تسير ببطء فى الشارع سارت منحنية وراء صفائح القمامة. وفى اللحظة التى اختفت فيها السيارة من الزقاق، وقفت ليلى على قدميها وسارت فى الاتجاه المخالف لاتجاه السيارة. كانت تسير فى مستوى منحدر، تنزلق على الحصى الصغير المغطى بالثلج، وحقيبة ظهرها منسدلة من فوق كتفيها. لم تكن ترتدى ملابس مناسبة لهذا الطقس القاسى، وبالفعل شعرت بالألم فى قدميها بسبب البرد، ولم تعد تشعر بيديها غير المغطاة بالقفازات، وانزلق حذاء التنس الذى كانت ترتديه ووقع منها ثم سقطت على ظهرها، ونتج عن هذا شعورها بسيف من الألم فى عمودها الفقرى، فجلست مذهولة لعدة ثوان، وهى تشعر بألم كبير فى جمجمتها. وعندما اتضحت رؤيتها تدريجيا وجدت أنها أسفل تل. وعبر الشارع توجد حديقة مزينة بالشجيرات، أشجار عارية تعكس كآبتها الطويلة على الثلج المحيط بها. ثم رأت رمزا مضيئا شد

كانت إشارة مترو الأنفاق.

يمكنها فقط القفز فى أى قطار، ثم فى دقائق ستكون فى طريقها لأى مكان بالمدينة، ويمكنها أيضا أن تشعر بالدفء.

وقفت على قدميها، وعظم مؤخرتها يؤلمها بسبب السقطة، وراحة يدها المصابة تؤلمها بشدة، وسارت عبر الشارع وخطت عدة خطوات تجاه الممشى الجانبى ثم توقفت.

لقد ظهرت سيارة شرطة من أحد الجوانب للتو.

اندفعت إلى الحديقة واختبأت خلف الشجيرات. وهناك انتظرت، وسمعت صوت ضربات قلبها، لكن السيارة لم تمر، فعندما نظرت عبر الشجيرات وجدت السيارة تقف خارج محطة المترو ولم تتحرك. اللعنة! حان وقت تغيير الخطة.

ونظرت حولها فلمحت علامة مضيئة لمحطة مترو أخرى على الجانب الآخر من الحديقة. سارت عبر الشارع تحت ظل الأشجار، وقد غطى الجليد الثلج ونتج عن كل خطوة تخطوها صوت تكسر جليد مزعج وغاص حذاؤها فى الثلج. صارعت لتتقدم إلى الأمام، وهى فاقدة فردة حذاء تقريبا، ورئتاها تلهثان بسبب الجهد الذى تبذله لتتقدم. ثم، عبر صوت أنفاسها المتقطعة سمعت صوتا آخر من ورائها، صوت أقدام، فتوقفت ثم استدارت وشعرت بقلبها يتجمد.

وقف ظل لشىء أو لشخص وراء شجرة - لا يبدو له وجه أو ملامح، ظل أسود بدا أنه ليس بجماد بل شىء حى. *إنه هو.*

وبتنهيدة، هربت ليلى، وهى تسير على الثلج وحذاؤها يكسر القشرة الجليدية الصغيرة التى تغطى الأرضية. وحجب صوت أنفاسها وصوت ضربات قلبها أية أصوات أخرى لمن يطاردها، لكنها كانت تعرف أنه وراءها مباشرة، فقد كان دائما وراءها، وفى كل دقيقة وكل نفس كان يتبع خطواتها، يهمس باقتراب يومها المشئوم، لكن ليس بهذا القرب، لم يكن بهذا القرب مطلقا! ولم تنظر وراءها، لا تريد أن ترى المخلوق الذى

يظهر في كوابيسها يتحرك أمامها. اندفعت بسرعة، وقد فقدت الفردة الأخرى من حذائها الآن، وجوربها يتشرب المياه المتجمدة.

حدث ذلك بسرعة، اندفعت خارج الجرف إلى المشى الجانبى. ومدخل محطة المترو كان أمامها مباشرة. فانطلقت تعدو عبر السلالم، وهى تتوقع أن تسمع صوت خفقان الأجنحة وتشعر بضربات المخالب فى ظهرها، ولكن، بدلاً من ذلك، شعر وجهها بدفء نفق المترو ورأت الركاب يسيرون تجاه السلالم.

ليس هناك وقت لتضييعه مع النقود، اقفزى من فوق ماكينة التذاكر!

وقفزت من فوقها، وانزلق من قدميها جوربها المبلل على الرصيف. وخطت خطوتين وأرغمت على التوقف.

كانت جان ريزولى تقف أمامها مباشرة.

استدارت ليلى عائدة إلى الماكينة التى قفزت فوقها للتو، لكنها رأت شرطياً يعيق هروبها.

ونظرت باهتياج فى محطة المترو من حولها، باحثة عن المخلوق الذى يطاردها، لكنها رأت فقط بعض الركاب يحدقون فيها.

وشعرت بأصفاد تقيد معصمها.

جلست فى سيارة جان ريزولى المواقفة، مرهقة جدًا بحيث لم تستطع التفكير فى الهروب. وشعرت أن الجورب المبلل أصبح كيساً من الثلج يغطى قدمها، ورغم تشغيل جهاز التدفئة لم تتمكن من الشعور بالدفء، ولم تتوقف عن الارتعاش.

قالت جان: "حسنا ليلى، الآن ستخبريننى بالحقيقة".

"لن تصدقى الحقيقة".

"جربينى".

جلست ليلى ساكنة، وبعض خصلات شعرها منسدلة على وجهها فلم تعد تهتم لأنها متعبة جدا من الجرى. *أنا أستسلم.*

سألتها جان: "أين دومينيك؟".

قالت ليلى: "إنه ميت".

مرت دقيقة حتى أدركت المحققة تلك المعلومة، وتوصلت إلى استنتاجاتها الخاصة، وأتى صوت بوق سيارة إطفاء عبر النافذة المغلقة، لكن داخل السيارة لم يكن هناك صوت إلا صوت جهاز التدفئة.

قالت جان: "هل قتلته؟".

ابتلعت ليلى ريقها، قائلة: "نعم".

"إذن، لم تأت والدته إليه أبدا، أليس كذلك؟ ولم تأخذه إلى الخارج. وهذا سبب مراسلتك للمدرسة".

انخفض رأس ليلى، فلم تعد لديها أية رغبة فى الإنكار، فقد ربطت تلك المرأه كل شيء. "اتصلت المدرسة، واستمرت فى الاتصال ليعرفوا ما إذا كان سيأتى ثانية. فاضطررت لكتابة الخطاب ليتوقفوا عن سؤالى عن مكانه".

"كيف قتلته؟".

أخذت جان نفسا مرتعداً وقالت: "حدث هذا فى الأسبوع التالى لوفاة والدى، وكان دومينيك فى مرآب السيارات الخاص بنا ينظر إلى سيارة أمى، وقال إنها لم تعد تحتاج إليها فيمكنه أخذها". وتحول صوت ليلى إلى همس خفيف وهى تضيف: "وفى تلك اللحظة أخبرته أنى أعلم، أعلم أنه هو من قتلهم".

"وكيف عرفت؟".

"لأننى وجدت مذكراته، كان يخفيها تحت فراشه".

"ماذا كان يوجد فى مذكراته؟".

"كلها عنا، صفحات وصفحات عن عائلة سول المملة. ما نفعله كل يوم، وما نقوله لبعضنا. وكانت لديه مذكرات عن

الطريق الذى يسلكه تيدى كل يوم إلى البحيرة، ونوع الأقراص التى نضعها فى خزانة الحمام، وما أكلناه فى وجبة الإفطار، وكيف قلنا مساء الخير". سكتت ثم أردفت قائلة: "وعرف أين يخبئ أبى مفتاح خزانة البندقية". ونظرت إلى جان.

"كان كالعلماء، يقوم بدراستنا. ولم نكن فى نظره أكثر من فئران تجارب".

"وهل كتب فى مذكراته بالفعل أنه يريد قتل هذه العائلة؟".

ترددت ثم قالت: "لا، آخر ما كتبه كان فى الثامن من أغسطس، فى اليوم الذى كان فيه تيدى ...". سكتت للحظة ثم أضافت: "عرف أن يفعل ما هو أفضل من الكتابة".

"أين هذه المذكرات؟ أمازلت تحتفظين بها؟".

"لقد أحرقتها مع كل كتبه الأخرى، لم أستطع تحمل منظرها".

تمكنت ليلى من قراءة نظرات جان إليها. *لقد دمرت الدليل؟ فكيف أصدقك الآن؟*

قالت جان: "حسناً، قلت إنك وجدت دومينيك فى المرآب، واجهته هناك".

"كنت منفعلة جدًا، ولم أفكر فيما سيحدث بعد ذلك".

"ما الذى حدث؟".

"عندما أخبرته أننى أعلم ما فعله، حدق إلىّ بدون خوف، أو شعور بالذنب، وقال لى لا يمكنك إثبات ذلك. وحتى لو أمكننى إثبات ذلك فقد كان فى الخامسة عشرة من عمره فقط ولن يُسجن، وسيطلقون سراحه في غضون سنوات قليلة، أما عائلتى فستظل ميتة".

"وماذا حدث بعد ذلك؟".

"سألته عن السبب: لماذا يفعل شيئاً رهيباً كهذا. أتعرفين ما قاله؟".

"ماذا؟".

"كان رده وكل ما قاله: يجب أن تعامليني بطريقة ألطف. وابتسم وخرج من المرآب كما لو كان لا يهتم بأى شيء". وتوقفت ثم قالت: "وحينئذ قمت بقتله".

"كيف؟".

"حملت مجرفة، كانت مسنودة على الحائط، ولا أتذكر كيف وصلت إليها، ولا أتذكر أنى شعرت بثقلها. كان الأمر يبدو كأن ذراعي كانت ذراع شخص آخر. وسقط على الأرض لكنه مازال واعيًا، وبدأ في الزحف مبتعدًا عنى". وتنهدت تنهيدة عميقة ثم أضافت بهدوء: "فقمت بضربه مرة ثانية".

بالخارج ساد هدوء الليل، وقد أدى الطقس القاسى إلى إبعاد المشاة عن الشوارع حتى أنه لم تمر فى الطريق سوى سيارة واحدة مصادفة.

سألتها جان: "وبعد ذلك؟".

"كل ما فكرت فيه هو كيفية التخلص منه. وضعته فى سيارة أمى. وفكرت فى جعل الأمر يبدو حادثا. كان الوقت ليلا فلن يرى أحد شيئا. وقدت سيارة فريسته خارج المدينة بعدة أميال وجعلتها تنزلق من فوق حافة مرتفعة إلى المياه. وافترضت أن شخصًا ما سيراها مصادفة وسيبلغ الشرطة أن سيارة سقطت من هنا". وضحكت ليلى ضحكة استنكارية. "لكن لم يفعل أى شخص، أتتخيلين ذلك؟ لم يعثر عليها أحد".

"ثم عدت إلى حياتك العادية".

"تخرجت فى المدرسة الثانوية، وتركت البلدة، وكان هذا أفضل لى فلم أكن راغبة فى التواجد عندما يعثرون على جثته".

نظرا إلى بعضهما لدقائق، وقالت جان: "أتدركين أنك اعترفت بقتل دومينيك سول، وسأضطر إلى إلقاء القبض عليك".

لم يرمش لـ ليلى جفن وقالت: "وكنت لأفعل ذلك ثانية لو عاد الزمن بنا إلى الوراء فهو يستحق ذلك".

"من يعرف هذا الأمر؟ من عرف أنك قتلته؟".

توقفت ليلى، فبالخارج مر زوجان من أمامهما وهما يحنيان رؤوسهما متجنبين الرياح، وواضعين أيديهما فى جيوب معاطف المطر.

"أعرفت سارا ولورى آن بالأمر؟".

"كانتا أقرب صديقاتى، كان علىَّ إخبارهما، وتفهمتا سبب قيامى بذلك وأقسمتا على إبقاء الأمر سرا".

"والآن، صديقتاك ميتتان".

ارتعشت ليلى وعقدت ذراعيها قائلة: "نعم، هذا خطئى".

"من يعرف غيرهما؟".

"لم أخبر أى فرد آخر، واعتقدت أن الأمر انتهى حتى تسلمت سارا تلك البطاقة البريدية".

"المدون عليها نص من كتاب الملك جيمس؟".

"نعم".

"من المؤكد أن هناك شخصاً آخر يعلم ما فعلته؛ شخص ما رآك تلك الليلة أو سمع عما فعلته؛ شخص ما يستمتع الآن بتعذيبك".

هزت ليلى رأسها قائلة: "دومينيك فقط هو من يمكنه إرسال هذه البطاقة البريدية".

"لكنه ميت الآن، كيف يمكنه ذلك؟".

صمتت ليلى لدقيقة، فهى تعرف أن ما ستقوله سيبدو أمرا تافها بالنسبة لهذه المرأة الباردة المتعقلنة وسألتها: "أتؤمنين بتناسخ الأرواح، أيتها المحققة؟".

كما توقعت ليلى، عبرت جان عن سخريتها قائلة: "أؤمن أننا نتعرض لرصاصة واحدة فى حياتنا، فتنتهى حياتنا الدنيا".

"آمن قدماء المصريين بالحياة بعد الموت، وآمنوا أن كل فرد لديه ما يسمى (با)، التى صوروها بطائر له وجه بشر. والـ (با) هى روحك. بعد موتك، تتحرر الـ (با) ويمكنها الطيران إلى عالم الأحياء".

"ما علاقة مصر القديمة بابن عمك؟".

"ولد فى مصر، ويمتلك العديد والعديد من كتب والدته، بعضها قديم جدا، به تعاويذ من كتاب الموتى، وتعاويذ سحرية لإعادة الـ (با) إلى الحياة ثانية. أعتقد أنه وجد طريقة لذلك".

"أتتحدثين عن البعث؟".

"كلا، أتحدث عن المس".

ساد الصمت وبدا أنه سيستمر إلى الأبد.

وسألتها جان أخيراً: "أتقصدين المس الشيطانى؟".

قالت ليلى بهدوء: "نعم، وجدت الـ (با) منزلا آخر".

"هل استولى على جسم شخص آخر؟ وجعله يرتكب جرائم القتل؟".

"الروح ليس لها شكل مادى، فهى تحتاج إلى أن تأمر جسداً مكونًا من لحم ودم، وفكرة المس الشيطانى ليست جديدة والكثيرون يعرفون ذلك، وتم توثيق حالات عنه. وللبعض طقوس للتخلص من المس الشيطانى".

"تقولين إن روح ابن عمك استولت على جسد آخر، وبذلك تمكن من العودة بعد موته، وتمكن من قتل صديقتيك؟".

سمعت ليلى الشك فى صوت جان، فتنهدت قائلة: "ليس هناك مجال للتحدث عن هذا الأمر معك، فأنت لا تؤمنين بأى من هذا".

"وهل تؤمنين أنت به؟ أقصد، تؤمنين حقا؟".

قالت ليلى بهدوء: "منذ اثنى عشر عاما لم أكن مؤمنة بذلك". ثم نظرت إلى جان، مضيفة: "لكنى الآن أؤمن به".

قالت جان لنفسها: *اثنا عشر عاما تحت الماء.* وقفت ترتجف على حافة الجرف عند دوران المحركات وتم شد الحبل الغليظ الذى يسحب ثقل سيارة مغمورة لفترة طويلة تحت الماء. ما الذى يحدث للحم عندما يترك تحت الماء وتمر عليه حرارة اثنى عشر صيفا وبرد اثنى عشر شتاء؟ والأشخاص الواقفون بجوارها كانوا صامتين بنحو مخيف، بلا شك يشعرون بالتردد مثلها تماما لينظروا النظرة الأولى على جثة دومينيك سول. رفع د. كيبى، الطبيب الشرعى الخاص بالبلدة، ياقة قميصه ووضع كمامة على وجهه كما لو كان يرغب فى الاختفاء داخل معطفه، يرغب فى أن يكون بأى مكان آخر باستثناء ذلك المكان. وعلى الأشجار فوقهم، نعقت ثلاثة غربان كما لو كانت متشوقة لرؤية وتذوق الجثة المتحللة. قالت جان لنفسها: *أتمنى ألا يكون هناك أى لحم متبق.* فيمكنها التعامل مع العظام فقط، فالجماجم المصنوعة من البلاستيك تستعمل كزينات فى عيد الهالوين، فهى لا تخص بشراً على الإطلاق.

ونظرت إلى ليلى الواقفة بجوارها. *من المؤكد أن الأمر أسوأ كثيرا بالنسبة لك، فقد عرفته وقتلته.* لكن ليلى لم تستدر؛ بل ظلت بجوار جان، ونظراتها مركزة على الرافعة الموجودة بالأسفل.

وانشد الحبل، رافعاً حمله من المياه السوداء، وتمايلت قطع من المياه المتجمدة. ونزل غواص ليتأكد أن السيارة موجودة هنا بالفعل، لكن المياه مظلمة جدا، وتحتوى على رواسب كثيفة جدا لا تمكن من رؤية ما بداخل المياه. والآن بدأت المياه تحدث فقاقيع هوائية. وتم رفع السيارة، وتسبب الهواء الموجود بإطاراتها فى سقوطها على ظهرها عند سقوطها فى الماء، والجزء السفلى للسيارة صعد أولا والمياه تتسرب من الحديد الصدئ. وبصوت ضخم مثل صوت حوت يقترب، ظهر مصد السيارة على سطح الماء ولوحة أرقام السيارة المعدنية مغطاة

بطحالب ورواسب عقد من الزمان. ودار محرك الرافعة بشكل أكبر، وصوت الماكينة الصاخب دخل مباشرة إلى جمجمة جان. وشعرت بليلى تقترب منها واعتقدت أن السيدة الشابة ستجرى بكل تأكيد وتتراجع. لكن تمكنت ليلى من الثبات لأن الرافعة رفعت حملها من الماء ووضعته برفق على الثلج.

ثبت أحد العمال الحبل، ودار المحرك دورة أخرى تبعته رفعة خفيفة من الرافعة ومالت السيارة على جانبها الأيسر. وتدفقت المياه من السيارة ملونة الثلج باللون البنى المتسخ.

لدقيقة لم يقترب أحد من السيارة، تركوها فى مكانها لتجف المياه منها. ثم ارتدى د. كيبى قفازات مطاطية وسار على الجليد المختلط بالطين ليصل إلى مقعد قائد السيارة. وشد الباب لكنه لم يفتح. فدار إلى باب المسافرين وشد مقبض الباب. وقفز للخلف عندما فتح الباب، ناتجا عنه اندفاع مفاجئ للمياه بللت بنطاله وحذاءه.

ونظر إلى الآخرين، وكر ثانية على الباب المفتوح الذى استمر فى إصدار المياه. وأخذ نفسا عميقا، ومال إلى داخل السيارة. وظل على هذا الوضع لدقيقة طويلة، جسده محنى من عند خصره، وردفه يخرج من السيارة. وفجأة فرد جسده واستدار مواجها الآخرين.

قال د. كيبى: "ليس هناك شىء بالداخل؟".

تساءلت جان: "ماذا؟".

"إنها فارغة".

"ألا ترى أية بقايا؟".

هز د. كيبى رأسه قائلاً: "لا يوجد جسد داخل هذه السيارة".

"لم يتوصل الغطاسون إلى شيء، يا ليلى. لا جسد، لا جمجمة. لا دليل على وجود ابن عمك في هذه المياه".

جلسوا في سيارة جان الواقفة أثناء سقوط شرائح رقيقه من الثلج على زجاج سيارة جان مكونة حجاباً رقيقاً. قالت ليلى: "لم أحلم بذلك، أعلم أنه حدث". ونظرت إلى جان بأعين مترددة وقالت: "لماذا أختلق كل هذا؟ لماذا أعترف بقتله لو لم يكن ذلك حقيقياً؟".

"تأكدنا أنها سيارة والدتك، فالرخصة لم يتم تجديدها منذ اثنى عشر عاما. والمفاتيح مازالت في المحرك".

"أخبرتك بذلك، وأخبرتك أين ستجدين السيارة بالضبط".

"نعم، كل ما قلته صحيح باستثناء تفصيلة واحدة صغيرة؛ وهي أنه ليست هناك جثة".

"ربما تكون قد تحللت".

"يفترض أن يكون هناك جمجمة، لكن ليس هناك شيء؛ لا ملابس، لا عظام". سكتت جان ثم قالت: "أتعرفين ما معنى هذا".

بلعت ليلى ريقها وحملقت في زجاج السيارة الأمامي، الذي أصبح مغطى بالثلج الآن وقالت: "إنه حي".

"لم تكوني تهربين من شبح أو روح شريرة، فهو مازال حيا من لحم ودم وأعتقد أنه غاضب منك كثيراً لأنك حاولت قتله. هذا كل ما في الأمر يا ليلى؛ الانتقام. منذ اثنى عشر عاما، كان مجرد فتى، لكنه صار الآن رجلاً، ويستطيع أن يأخذ حقه. في أغسطس الماضي فقد أثرك في إيطاليا ولم يكن يعرف كيف يعثر عليك، فانطلق وراء سارا ولوري آن للحصول على معلومات، لكنهما أيضا لم يكونا يعرفان مكانك؛ فكانتا غير مفيدتين له، وكان عليه استعمال طريقة جديدة ليصل إليك".

همهمت ليلى: "نادي مفيستو".

"إذا كان نادى مفيستو يحظى بالإعجاب والتقدير كما يقول سانسون، فمن المؤكد أن سمعته جيدة عند مؤسسات العدالة. ومن المؤكد أن دومينيك سمع عنهم أيضا. ومن المؤكد أنه عرف كيف يجذبهم، بتلك المكالمة الهاتفية إلى جويس أودونيل، والكلمات اللاتينية، وصدفة البحر، والرموز الشيطانية - كل ذلك جعل أعضاء نادى مفيستو يعتقدون أنهم أخيرا يقتفون آثار الشيطان، لكنى أعتقد أنه كان يتلاعب بهم".

"استعملهم دومينيك كطعم ليصل إلى".

"وقاموا بعملهم على نحو جيد، أليس كذلك؟ ففى خلال عشرة أيام عثر عليك أعضاء نادى مفيستو".

فكرت ليلى فى هذا الأمر لدقيقة، وقالت: "ليس هناك جسد، لا يمكنك اتهامى بأية جريمة الآن، لا يمكنك الإمساك بى أكثر من ذلك".

نظرت جان إلى عينين ممتلئتين بالخوف والتفكير: *إنها تريد الهروب.*

"لى مطلق الحرية فى الذهاب أينما شئت، أليس كذلك؟".

"حرية؟ تسمين حياتك كأرنب مذعور حرية؟".

"لقد بقيت على قيد الحياة، أليس كذلك؟".

"ومتى ستصارعينه ثانية؟ متى ستأخذين موقفاً؟ لسنا نتحدث عن الشيطان، فهو بشر ويمكن هزيمته".

"من السهل عليك قول ذلك، فليس أنت من يرغب فى صيدك!".

"كلا، لكن أنا من يصطاده، وأحتاج إلى مساعدتك. تعاونى معى يا ليلى، فأنت تعرفينه أكثر من أى شخص آخر".

"وهذا السبب الذى يجعله لا يبقى على حياتى".

"أعدك، ستكونين بأمان".

"لا يمكنك المحافظة على ذلك العهد، أتعتقدين أنه لا يعلم مكانى بالضبط؟ فأنت لا تعرفين مدى دقته، إنه لا يترك

تفصيلة واحدة، ولا فرصة واحدة. ربما يكون حيا ويتنفس لكنك لن تقتنعى أبدًا أنه بشر".

وأرعب رنين هاتف جان السيدتين، وعند ردها على الهاتف شعرت بنظرة ليلى المليئة بالتوتر والاستفسار، *فهى تتوقع الأسوأ*.

كان بارى فروست على الهاتف."أين أنت الآن؟".

"مازلنا فى نوريش، والوقت متأخر، لذلك ربما نبيت فى فندق الليلة ونرجع غدًا إلى المدينة".

"أعتقد أنه من الأفضل ألا تجلبيها معك إلى هنا".

"لم لا؟".

"لأن لدينا مشكلة كبيرة، مات أوليفر ستارك؟".

"ماذا؟".

"توصلنا إلى الأمر عندما استعمل شخص ما هاتف ستارك ليتصل بالنجدة، ثم ترك السماعة معلقة، وأنا فى المنزل الآن. يا إلهى! توجد هنا فوضى دموية، وهو مازال مربوطاً بكرسيه المتحرك، لكن لا يمكنك حتى التعرف عليه فالفتى المسكين لم يكن أمامه أية فرصة". وصمت قليلاً منتظرا أن تتحدث ريزولى، ثم قال: "ريزولى؟".

"علينا تحذير الآخرين، سانسون والسيدة فيلواى".

"لقد اتصلت بهما بالفعل، واتصلت بالدكتورة آيسلز أيضا. وتنظيم مفيستو لديه أعضاء فى أوروبا أيضاً، وجميعهم يتحدثون عن اتخاذ الاحتياطات".

فكرت جان فيما قالته ليلى للتو: *لن تقتنعى أبدا أنه بشرى*. ما الاحتياطات التى يمكن لأى فرد اتباعها فى مواجهة قاتل يبدو أنه قادر على اختراق الجدران؟

وقالت: "إنه يصطادهم واحدا تلو الآخر".

"هذا ما يبدو عليه الأمر، فقد كبر هذا الأمر لدرجة أكبر مما تخيلنا، فالأمر لا يتعلق بـ ليلى سول فقط، بل يتعلق بالتنظيم كله".

"لماذا يفعل ذلك هذا السافل؟ لماذا يتعقبهم جميعاً؟".

قال فروست: "أتعرفين ما الذى أطلقه سانسون على ذلك: إبادة. ربما كنا مخطئين بخصوص ليلى سول، وربما هى ليست الهدف الحقيقى".

"بأية حال لا يمكننى إعادتها ثانية".

"يعتقد الملازم ماركويتى أنها ستكون فى أمان أكثر خارج بوسطن، وأنا أوافقه الرأى. ونحن نعمل وفقا لخطة طويلة المدى، لكن قد يتطلب الأمر يوما أو يومين".

"وحتى ذلك الحين ما الذى سأفعله معها؟".

"اقترح سانسون نيو هامبشير، فى منزل فوق الجبل الأبيض ويقول إنه منزل آمن".

"منزل من هذا؟".

"إنه يخص أحد أصدقاء السيدة فيلواى".

"وهل سنثق بحكم سانسون على هذا المنزل؟".

"وافق ماركويتى على ذلك، ويقول إن كبار الضباط ليس لديهم شكوك بشأن سانسون".

*إذن فهم يعرفون أشياء عن سانسون أكثر مما أعرف.*

قالت: "حسنا، كيف سأجد ذلك المنزل؟".

"ستتصل بك السيدة فيلواى لتعطيك اتجاه السير وأنت فى الطريق".

"ماذا عن سانسون ومورا؟ ما الذى سيفعلانه؟".

"جميعهم متوجهون إلى نفس المكان، وسيقابلونك هناك".

# السادس والثلاثون

كانت الساعة الواحدة ظهرا عندما عبرتا حدود ولاية ماساتشوسيتس إلى نيو هامبشير. ومنذ الصباح لم تقل ليلى كلمة واحدة، منذ أن غادرتا ذلك المنزل الموجود في أونيونتا. والآن أثناء قيادتهما شمالا إلى الجبل الأبيض، كان الصوت الوحيد هو صوت المساحات وهي تزيل الكتل الثلجية الصغيرة من فوق زجاج السيارة الأمامي. قالت جان لنفسها وهي تنظر إلى رفيقتها الصامتة: إنها متوترة جدا بسبب هذا الكلام الفارغ، ففي الليلة الماضية، داخل غرفتهما المشتركة بالفندق، سمعت جان تقلب ليلى طوال الليل على السرير المجاور، واليوم يبدو الإرهاق على عينيها ووجهها هزيل بدرجة تكفي لظهور بياض عظامها من تحت بشرتها الشاحبة. وربما تكون ليلى سول جميلة إذا زادت بعض الوزن. لكن الآن عندما نظرت جان إليها، لم تر إلا جثة تسير على الأرض.

*وقد تكون هذه هي حالة ليلى سول.*

سألت ليلى جان: "هل ستمكثين معي الليلة؟". طرحت السؤال برقة شديدة لدرجة أن صوت المسّاحات غطى على صوتها.

قالت جان: "سأفحص الموقف، وأرى ما يمكنني فعله".

"إذن، فربما لا تبقين".

"لن تكوني هناك بمفردك".

تنهدت ليلى، قائلة: "أفترض أنك ترغبين فى العودة إلى المنزل، أليس كذلك؟ هل أنت متزوجة؟".

"نعم، أنا متزوجة".

"وهل لديك أطفال؟".

ترددت جان، ثم قالت: "لدىَّ ابنة".

"لا تريدين أن تخبرينى بشىء عن نفسك، أنت لا تثقين بى فعليًا".

"لا أعرفك بدرجة كافية".

نظرت ليلى إلى الخارج عبر النافذة، قائلة: "مات كل من يعرفنى جيدًا" – وسكتت – "باستثناء دومينيك".

وبالخارج، كان الثلج المتساقط يكون غطاءً متزايداً من اللون الأبيض، وسارتا بالسيارة عبر غابة صنوبر كثيفة، وللمرة الأولى شعرت جان بالقلق فيما يتعلق بإمكانية استمرار سيارتها السوبارو فى هذا الطريق إذا استمر سقوط الثلج.

"لماذا عليك أن تثقى بى؟". قالتها ليلى بضحكة مريرة. "أقصد، كل ما تعرفينه عنى أننى حاولت قتل ابن عمى، وفشلت فى ذلك".

قالت جان: "كانت الرسالة الموجودة على حائط لورى آن موجهة إليك؟ *لقد ارتكبت خطيئة*".

همهمت ليلى: "لأنى فعلت ذلك بالفعل، ومازلت أدفع الثمن".

"ومائدة الطعام المجهزة بأربعة مقاعد، كان ذلك يعنى عائلة سول، أليس كذلك؟ عائلة مكونة من أربعة أفراد".

مسحت ليلى عينيها بيدها ونظرت عبر النافذة قائلة: "وأنا الأخيرة، صاحبة الكرسى الرابع على المائدة".

قالت جان: "أتعرفين؟ لو كنت مكانك لقتلت ابن الساقطة هذا، أيضاً".

"ربما عليك بذل جهد أفضل منى".

أصبح الطريق أكثر انحدارا، وكافحت السيارة لصعود الجبل، وإطاراتها تخوض فى الثلج الساقط للتو. ونظرت جان إلى شاشة هاتفها الخلوى فلم تجد شبكة، لكنهما لم يمرا بأى منزل منذ خمسة أميال على الأقل. وقالت لنفسها: *ربما علينا الرجوع للخلف، يفترض علىّ إبقاء هذه السيدة حية، وليس تركها فى جبل حيث ستتجمد حتى الموت.*

أكان هذا هو الطريق الصحيح؟

ومالت متجنبة حاجز الريح الموجود فى السيارة محاولة أن ترى قمة التل. وهناك لمحت منزلا، جاثما بالأعلى كعش نسر على قمة الجرف. لم تكن هناك منازل أخرى بالقرب منه وهذا هو الطريق الوحيد الذى يقود إلى أعلى الجبل. وتأكدتا من ذلك عندما وصلتا إلى القمة ونظرتا إلى الوادى. ومرتا عبر بوابة تركت مفتوحة ليسمح لهما بالدخول.

قالت جان: "يبدو ذلك كمكان آمن، فما إن تُغلق البوابة سيصبح من الصعب الاقتراب من هذا المكان، ولن يصل إليك إلا إذا كان لديه جناحان".

نظرت ليلى إلى الجرف وقالت برقة: "ولا يمكننا الهروب أيضًا".

كانت هناك سيارتان واقفتان أمام المنزل، فصفّت جان سيارتها وراء سيارة سانسون المرسيدس ونزلتا من السيارة. توقفتا فى ممشى السيارات، ونظرت جان إلى المنزل غير المكتمل، وإلى سطح محدب يطل على السماء الملبدة بالغيوم. وذهبت إلى السيارة لتحمل حقائبهما، وكانت قد أغلقت حقيبة السيارة عندما سمعت صوت زمجرة متذمرة وراءها مباشرة.

ظهر كلبان من فصيلة الدوبرمان من الغابة كالأشباح السوداء، وتحركا بهدوء شديد لدرجة أنها لم تسمعهما وهما يقتربان منهما. واقترب الكلبان مظهرين أنيابهما فتجمدت السيدتان فى مكانيهما.

همست جان إلى ليلى: "لا تجرى، لا تتحركى" وسحبت سلاحها.

"بالان! باكو! تراجعا!".

توقف الكلبان ونظرا إلى سيدتهما، التى خرجت للتو من المنزل ووقفت على السلالم.

قالت إدوينا فيلواى : "آسفة، إذا كانا قد أخافاكما، كان علىَّ إخراجهما للتنزه".

لم تنزل جان سلاحها، فهى لا تثق بهذه الحيوانات ومن الواضح أنها لا تثق بالسيدة فيلواى. وتسمر الكلبان فى مكانيهما أمامها يراقبانها بعيون سوداء مثل أعين الثعابين.

"إنهما يدافعان عن البيت الذى يكونان فيه، لكنهما يميزان سريعا بين الصديق والعدو. ستكونين بخير الآن، ضعى السلاح جانبا وتعاليا إلىَّ، لكن ليس بسرعة كبيرة".

وضعت جان سلاحها فى جرابه على مضض، وسارت هى وليلى ببطء من أمام الكلبين وصعدتا السلم، والكلبان يراقبان كل خطوة. وقادتهما إدوينا إلى الداخل، إلى حجرة كبيرة وضخمة تفوح منها رائحة الخشب. وكانت هناك دعائم خشبية ضخمة بالسقف، وعلى الحوائط المبطنة بخشب الصنوبر علقت رءوس الأيائل. وفى المدفأة الحجرية، كانت النيران تأكل ألواحاً من خشب البتولا.

نهضت مورا من أريكتها لتحييهما، قائلة: "وأخيرًا فعلتها، فمع تلك العاصفة بالخارج بدأنا نقلق عليكما".

قالت جان: "الطريق إلى هنا كان سيئًا جدًا، متى وصلت إلى هنا؟".

"انطلقنا بالسيارة الليلة الماضية بعد مكالمة فروست مباشرة".

سارت جان إلى نافذة تطل على الوادى. ورأت صورة مشوشة لما يشبه القمم عبر ستارة من الثلج المتساقط فسألت قائلة: "ألديكم الكثير من الطعام والوقود؟".

قالت إدوينا: "يوجد ما يكفى لأسابيع، فقد خزنها صديقى جيداً فى القبو ولدينا الكثير من الأخشاب، ومولد كهرباء تحسبا لانقطاع التيار الكهربى".

قال سانسون: "وأنا مسلح".

لم تسمعه جان وهو يسير داخلا إلى الحجرة، واستدارت وفاجأها مدى التغير الذى طرأ على شكله، فقد غيرته الأربع والعشرون ساعة الماضية، فقد أصبح وكل أصدقائه الآن تحت الحصار، وذلك يظهر على وجهه المرهق.

وقال: "يسعدنى أنك ستبقين معنا".

"فى الواقع" – نظرت جان إلى ساعتها – "أعتقد أن الوضع آمن جدًا".

قالت مورا: "لا تفكرى فى الرحيل الليلة".

"كنت آمل الرحيل".

"سيحل الظلام فى غضون ساعة، ولن يتم تمهيد وتنظيف الطرق إلا فى الصباح".

قال سانسون: "عليك البقاء حقا، ستكون الطرق سيئة".

نظرت جان مرة ثانية عبر النافذة على الثلج المتساقط، وفكرت فى الإطارات المنزلقة وطريق الجبل الموحش، وقالت: "أعتقد أن ذلك كلام معقول".

سألت إدوينا: "الجميع هنا هذه الليلة؟ إذن سأذهب لأغلق البوابة".

جلسوا جميعا فى الحجرة الكبيرة متجمعين حول المدفأة الحجرية، وصبت لهم إدوينا القهوة الساخنة لتدفئة أجسادهم. وألقى سانسون لوحاً من خشب البتولا فى النيران، وأحدث اللوح وميضاً وهسيسًا عند احتراقه. وبالخارج كان الظلام قد حل، وعلا صوت صفير الرياح، واهتزت النوافذ وسقط بعض الثلج من أعلى المدخنة مما أدى إلى خروج سحابة صغيرة من

الدخان عبر المدخنة إلى داخل الغرفة. وقالت جان لنفسها: *هذا مثل إعلان الشيطان عن دخوله إلى المكان*. ورفع الكلبان اللذان كانا مستلقيين بجوار مقعد إدوينا رأسيهما كما لو كانا يشعران بوجود دخيل.

نهضت ليلى من الأريكة واقتربت من المدفأة، ورغم النيران المتقدة كانت الحجرة باردة جدًا، ووضعت بطانية حول كتفيها وهى تنظر إلى النار، وانعكس وهج النار البرتقالى على وجهها. كانوا جميعاً محبوسين بالداخل، لكن ليلى كانت هى السجينة الحقيقية، وهى الوحيدة التى يحيط بها الظلام، ولم تقل شيئا طوال المساء، ولم تأكل من عشائها شيئاً.

قالت إدوينا: "نحتاج إلى دماء جديدة يا أنتونى بعد رحيل أوليفر. أفكر الآن فى المرشحين".

"لا يمكننى توجيه طلب إلى أى شخص ليشترك معنا. ليس الآن". ونظر إلى مورا قائلاً: "يؤسفنى أننا سحبناك إلى كل هذا. لم ترغبى أبدا فى أن تكونى جزءاً مما يجرى".

قالت إدوينا: "أعرف رجلا فى لندن، ومتأكدة أنه سيكون راغبًا فى الانضمام إلينا، وقد اقترحت اسمه بالفعل على جوتفرايد".

"هذا ليس الوقت المناسب، وينى".

"متى إذن؟ هذا الرجل عمل مع زوجى منذ سنوات مضت، وهو عالم مصريات ويمكنه أن يفسر أى شىء بدلا من أوليفر-".

"لا أحد يحل محل أوليفر".

بدا أن رد سانسون الجاف جعل إدوينا تتراجع، وقالت: "بالطبع، لم أكن أقصد ذلك".

سألت جان: "أكان طالبك فى جامعة بوسطن؟".

أومأ سانسون: "كان فى السادسة عشرة من عمره، أصغر طالب مستجد فى الحرم الجامعى. عرفت أنه موهوب منذ

اليوم الأول الذى دخل فيه بكرسيه إلى فصلى، فقد كان يسأل أسئلة أكثر من أى شخص آخر. وكونه بارعا فى الرياضيات كان من أسباب براعته فيما كان يفعله، فيمكنه توجيه نظرة واحدة إلى شفرة قديمة ويرى القوالب ويفهم معناها مباشرة. لم أعرف شخصا مثله أبدا، فمنذ اللحظة التى قابلته فيها، عرفت أنه متقد الذكاء".

قالت إدوينا بضحكة حذرة: "بخلاف معظمنا، فأنا واحدة من الأعضاء غير متقدى الذكاء التى زكاها الآخرون". ونظرت إلى مورا مكملة: "أعتقد أنك تعرفين أن أودونيل هى من اقترحت ضمك إلينا؟".

قال سانسون: "مورا لديها مشاعر متضاربة بشأن ذلك".

"لم تحبى جويس كثيرا، أليس كذلك؟".

قالت مورا: "أفضل ألا أذكر سيئات الموتى".

قالت جان: "أما أنا فلا أمانع فى ذكرها؛ أى تنظيم به جويس أودونيل كعضوة ليس هو التنظيم الذى أود الالتحاق به".

قالت إدوينا: "لا أعتقد أنك ستنضمين إلينا بأية حال، طالما أنك لا تؤمنين بذلك".

ضحكت جان: "بالرموز الشيطانية؟!".

قال سانسون: "تقولين هذا بعد كل الأهوال التى رأيتها فى عملك، أيتها المحققة؟".

"من ارتكب هذه الأهوال بشر عاديون".

مال سانسون تجاهها، وانعكس ضوء اللهب على وجهه وقال: "أتسمعين عن قضية واضع السم فى أكواب الشاى؟".

"لا".

"كان هناك فتى إنجليزى يسمى جراهام يونج. وبدأ وهو فى الرابعة عشرة من عمره فى تسميم أفراد عائلته، أبيه، وأمه وأخته. وفى النهاية تم سجنه بتهمة قتل والدته. وبعد أن تم

الإفراج عنه بعد أعوام فى السجن، بدأ فى تسميم الناس مرة أخرى وعندما سئل عن السبب قال إنه يفعل ذلك بغرض المتعة، والشهرة، فهو لم يكن إنساناً عادياً".

قالت جان: "يبدو كمريض نفسى".

"هذه كلمة لطيفة ومريحة؛ أعطها فقط تعريفا متعلقا بالتحليل النفسى وسيفسر ما لا يمكن تفسيره، لكن توجد بعض الأفعال الرهيبة إلى درجة لا تستطيعين شرحها، ولا يمكنك فهمهم أبدًا". سكت للحظة ثم أضاف: "وألهم جراهام يونج قاتلة صغيرة أخرى؛ فتاة يابانية تبلغ من العمر ستة عشر عاما قمت باستجوابها العام الماضى، فقد قرأت الفتاة يوميات جراهام يونج المنشورة وتأثرت بها وقررت أن تقلده، فبدأت قتل الحيوانات فى البداية وتقطيع جسمها والعبث بها. ودونت ما فعلته بالتفصيل فى سجل إلكترونى واصفة فيه بالتفصيل الدقيق كيفية غرس سكين فى لحم حى. ودفء الدماء، ورعشة الحيوان الميت. ثم تطورت وبدأت فى قتل البشر. فسممت والدتها بالثاليوم وسجلت فى مذكراتها كل الأعراض المؤلمة التى عانت منها أمها". ومال بجسده للوراء لكن نظراته مازالت مثبتة على جان قائلاً: "أتسمينها مجرد مريضة نفسياً؟".

"وتسميها أنت شيطانا؟".

"ليس هناك كلمة أخرى لتصفها أو لتصف رجلاً مثل دومينيك سول إلا هذه الكلمة. ونحن نعلم بوجودهم". واستدار وهو ينظر إلى النيران وأضاف بهدوء: "المشكلة هى أنهم يعرفون بوجودنا أيضا".

سألت إدوينا: "هل سبق لك وسمعت عن كتاب إينوخ، أيتها المحققة؟".

"لقد ذكرته من قبل".

"عثر عليه بين مخطوطات البحر الميت، وهو عبارة عن كتابات أثرية، قبل ميلاد المسيح. جزء من الأدب الأبوكريفى، وتنبأ بدمار العالم، وهو يخبرنا أن الأرض ستحل بها كارثة متمثلة فى جنس آخر يسمى الحراس، وهم أول من علمونا صنع السيوف والسكاكين والدروع. وقدموا لنا أدوات لتدميرنا. حتى فى العصور القديمة من الواضح أن البشر عرفوا هذه المخلوقات وعرفوا أنها تختلف عنا".

قالت ليلى بهدوء: "سلالة الأرواح الساقطة".

نظرت إدوينا إليها، قائلة: "أسمعت عنهم؟".

"أسمع أن لديهم أسماء متعددة".

قالت جان: "لم أسمع عما يسمى بالأرواح الساقطة".

قالت إدوينا: "هناك الكثير من أجزاء التاريخ تم ضغطها وحذف أشياء منها. والآن فقط، بعد ألفى سنة، تمكنا فقط من قراءة نبوءة يوداس".

"وسلالة الأرواح الساقطة هؤلاء – أهؤلاء هم الحراس؟".

"كان لديهم أسماء مختلفة عبر العصور: الحويم، النيفيلم. وفى مصر، سموهم شيمسو حور. كل ما نعرفه أن أصلهم قديم جدا، وأننا سنواجههم يوماً ما".

"متى؟".

"كتاب إينوخ لم يحدد الوقت بدقة، ولكنه يخبرنا أنه سيكون علينا قتالهم فى النهاية لنصارع على بقائنا، وسنمر بوقت رهيب وهم يذبحوننا ويضطهدوننا ويدمروننا". توقفت إدوينا، ثم أضافت: "وفى النهايه سيُتخذ القرار، وستكون هناك معركة فاصلة، الأبوكاليبس". ونظرت إلى جان قائلة: "سواء كنت مؤمنة بذلك أم لا، فالعاصفة قادمة لا محالة".

بدت النار زرقاء فى عينى جان المرهقتين.

ولدقيقة تخيلت بحرا من النيران، تلتهم كل شىء. وقالت لنفسها: *إذن فهذا هو العالم الذى تسكنون فيه أيها الناس، عالم لا أعرفه.*

ونظرت إلى مورا، قائلة: "رجاء لا تخبرينى أنك تؤمنين بذلك، يا دكتورة".

لكن مورا أنهت كوب القهوة الخاص بها ونهضت واقفة وقالت: "أنا مرهقه، وسأذهب للنوم".

# السابع والثلاثون

**كان هناك شخص ما يدق على حافة وعى ليلى، يريد أن يتم السماح له بالدخول إلى الجانب الخفى من أحلامها، فاستيقظت من نومها فى الظلام وشعرت بالرعب عندما لم يبد أى شىء معتادا لها، ثم رأت ضوء القمر وتذكرت أين هى الآن. وعبر النافذة نظرت إلى ثلج لامع بشكل مرعب، فقد انتهت العاصفة وضوء القمر يسقط على عالم من اللون الأبيض النقى. وشعرت بالأمان للمرة الأولى منذ شهور. وقالت لنفسها: لن أكون بمفردى بعد ذلك، أنا مع أشخاص يتفهمون مخاوفى، أشخاص سيحموننى.**

**وسمعت حركة تحدث صوتا مثل النقر تمر من أمام حجرتها ثم تلاشت فى الردهة، واعتقدت أنه كان مجرد أحد الكلبين باكو أو بالان. يا لها من أسماء بشعة. واستلقت فى سريرها وهى تستمع إلى صوت المخالب تمر من أمام الباب ثانية لكن لم يعد الكلب مرة أخرى.**

**جيد، لأنها كانت تريد الذهاب إلى المرحاض ولم تكن راغبة فى مواجهة أى من هذه الحيوانات فى الردهة.**

**نزلت من سريرها سائرة إلى الباب، وهى تطل برأسها على الردهة بحثا عن الكلاب، لكنها لم تر أية علامة على وجودهما، ولم تسمع أى طرق لمخالب على الأرضية. وكان هناك ضوء باهت يأتى من ناحية السلم يكفى ليوضح لها**

طريقها إلى المرحاض. وعندما وصلت إلى العتبة تماما لمست قدماها العاريتان شيئا مبللا، ونظرت للأسفل ورأت انعكاس الضوء الباهت على بركة صغيرة فسحبت قدميها فى تقزز. الكلبان بالطبع. ما هى الحوادث الأخرى التى تسببا فيها على الأرضية؟ لم تكن راغبة فى أن تخطو فوق أى شىء أسوأ.

فبحثت عن مفتاح الإضاءة وشغلته ونظرت إلى الأرضية، ورأت بركاً أكثر لكنها أدركت أنه لا يمكن أن يكون الكلبان من أحدثاها؛ كانت البرك عبارة عن ثلج منصهر فى شكل آثار حذاء، كان شخص ما يسير بالخارج وجلب معه الثلج إلى الداخل. ونظرت إلى المرآة، ورأت ذبول وجهها وعينيها اللتين يغلب عليهما النعاس، ورأت شيئاً آخر، شيئًا جعل شعر رأسها يقف، وهو انعكاس لما تم رسمه باللون الأحمر على الحائط وراءها.

الصلبان الثلاثة المقلوبة.

تراجعت للخلف وهى تلهث وخرجت مسرعة من المرحاض. ودمعت عيناها خوفا وهى تسير فى الردهة، وقدماها العاريتان تنزلقان عبر الأرضية المبللة وهى تجرى تجاه أقرب باب، والذى كان باب حجرة نوم مورا. وهمست قائلة: "استيقظى! يجب أن تستيقظى!". وهزت المرأة النائمة بقوة لدرجة اهتزاز مقدمة السرير، ونتج عن ذلك تثاؤب مورا، لكنها لم تتحرك.

ماذا بك؟ لماذا لا أستطيع إيقاظك؟

وأحدث شىء ما صريرا فى الردهة. ونظرت ليلى مباشرة إلى الباب، وأثناء سيرها إلى الباب شعرت بأن ضربات قلبها ستكسر ضلوعها. ووقفت عند الباب تستمع، تحاول أن تسمع أى شىء فوق صوت ضربات قلبها القوية.

لا شىء.

وأمالت رأسها لتنظر إلى الردهة عبر فتحة الباب، فوجدتها خالية.

أيقظى الآخرين، يجب أن يعرفوا بوجوده فى المنزل!

تسللت إلى الردهة وانطلقت حافية القدمين إلى الحجرة التى اعتقدت أنها يجب أن تكون حجرة جان، وأمسكت بالمقبض وتنهدت تنهيدة غاضبة عندما وجدته مغلقًا. أتريد الطرق على الباب لأوقظها؟ هل أجرؤ على عمل أى ضوضاء؟ ثم سمعت بعد ذلك نحيب كلب ما، والصوت الخافت لطرق المخالب على الأرضية يتحرك عبر الحجرة الكبيرة بالأسفل، فسارت بهدوء إلى السلالم ناظرة من فوق الدرابزين وضحكت ضحكة تعبر عن شعورها بالراحة.

فبالأسفل، كانت النيران موقدة فى المدفأة، وكانت إدوينا تجلس على أريكة مواجهة للنار.

ونظر الكلبان إلى الأعلى وأطلق أحدهما هديرا تحذيريا عندما رأيا ليلى تعدو نازلة السلالم. وتجمدت ليلى فى مكانها عند آخر درجات السلم.

قالت إدوينا: "هنا، هنا، بالان. ما الذى أزعجك؟".

همست ليلى: "إدوينا!".

استدارت إدوينا لتنظر إليها: "أوه، استيقظت. كنت على وشك إضافة بعض الألواح إلى النار".

ونظرت ليلى إلى النار التى كانت مزدهرة بالفعل، واللهب يتقافز وهو يستهلك كومة كبيرة من الأخشاب. همست ليلى قائلة: "استمعى إلىَّ". واقتربت خطوة من إدوينا ثم توقفت مرة أخرى عندما نهض أحد الكلبين على قوائمه الأربعة وكشر عن أنيابه. "إنه بداخل المنزل! علينا إيقاظ الجميع!".

حملت إدوينا قطعتين من الخشب ووضعتهما فى النار المشتعلة بالفعل، وقالت: "لاحظت أنك لم تلمسى قهوتك الليلة يا ليلى".

"دومينيك هنا!".

"كان يفترض أن تنامى طوال الأحداث مثل الباقين. لكن باستيقاظك ستكون الأمور أفضل بكثير".

"ماذا؟".

وأطلق الكلب هديرا مرة أخرى، ونظرت ليلى إلى الأسنان التى ينعكس عليها لون اللهب البرتقالى، وقالت لنفسها: الكلاب لم تنبح اليوم ولو لمرة واحدة. دخل أحد الغرباء إلى المنزل، ومن المؤكد أنه من تسبب فى آثار الأقدام عبر الأرضية ولم تطلق الكلاب أى تحذيرات.

لأنهم يعرفونه.

وعندما استدارت إدوينا لتواجهها، انطلقت ليلى للأمام وأمسكت بالقضيب المستخدم فى تقليب الخشب بالمدفأة قائلة: "أنت من قدته إلى هنا". قالتها ليلى وهى تتراجع للخلف ملوحة بالقضيب لتدافع بة عن نفسها. "أنت أخبرته".

"أوه، لم يكن علىّ فعل ذلك، كان هنا بالفعل ينتظرنا بالجبل".

"أين هو؟".

"سيظهر دومينيك فى وقته المناسب".

صرخت ليلى وهى تشدد من قبضتها على القضيب قائلة: "يلعنك الله. أين يختبئ؟".

ولم تر الهجوم إلا متأخرا جدا. سمعت هدير أحد الكلاب وصوت طرق مخالب على الأرضية الخشبية ونظرت جانبها عندما رأت مخالب سوداء تقفزان عليها. وارتطمت بالأرض نتيجة للدفعة وسقط القضيب من يدها محدثا صوتا عاليا. وأطبق فكَّان على ذراعها وصرخت عندما اندفعت أنياب الكلب ممزقة لحمها.

"بالان! باكو! اتركاها".

لم يكن ذلك صوت إدوينا الذى أطلق الأمر: بل كان صوت عدو ليلى. تركها الكلبان وتراجعا للخلف تاركين ليلى

مذهولة وتنزف دماء. وحاولت رفع نفسها للأعلى لكن يدها اليسرى كانت مصابة وعديمة الفائدة، فقد قطع الفك القوى أوتار يدها. واستدارت على جانبها متأوهة ورأت دمها يغرق الأرضية. ووراء حوض الدماء رأت حذاء رجل يسير تجاهها. وتلاحقت أنفاسها بشكل سريع، ودفعت نفسها للأعلى لتكون فى وضعية الجلوس. وتوقف الرجل عند المدفأة يضىء ضوء النار ظهره، كشكل أسود خارج من الجحيم. وكان يوجه نظراته إليها.

وقال: "بطريقة ما تتمكنين من القيام بالأمر، ليلى. أنت الوحيدة التى تسببين لى المشاكل".

وزحفت متراجعة إلى الخلف، لكن كتفها ارتطم بكرسى ولم تتمكن من التحرك أبعد من ذلك. ونظرت إلى دومينيك وهى متجمدة فى مكانها، إلى الرجل الذى أصبح عليه. مازال لديه نفس الشعر الذهبى، ونفس العينين الزرقاوين الجميلتين. لكنه أصبح أطول من السابق واتسعت كتفاه، واكتسب الوجه الذى كان ملائكيا يوما ما زوايا حادة وملامح قاسية.

وقال: "قتلتنى منذ اثنى عشر عاما، والآن سأرد لك الجميل".

قالت إدوينا: "عليك أن تراقبها، فهى سريعة جدا".

"ألم أخبرك بذلك يا أمى؟".

نظرت ليلى إلى إدوينا، ثم إلى دومينيك. نفس الطول، نفس العيون.

رأى دومينيك نظرتها المصدومة وقال: "إلى من سيرجع ولد فى الخامسة عشرة من عمرة وهو فى ورطة؟ عندما يخرج من سيارة غارقة وليس لديه شىء إلا الملابس التى تغطيه؟ كان علىَّ أن أبقى ميتا وبعيدا عن الأنظار، وإلا كنت ستبلغين الشرطة. لقد سحبت منى كل الخيارات يا ليلى باستثناء خيار واحد".

أمه.

"مرت شهور حتى وصل خطابى إليها. ألم أقل دائما إنها سترجع من أجلى؟ ولم يصدق والداك هذا أبدا".

تحركت إدوينا لتربت على وجه ابنها، قائلة: "لكنك تعرف أننى كنت سآتى".

ابتسم قائلا: "دائما ما توفين بوعودك".

"أوفيت بذلك الوعد أيضا، أليس كذلك؟ فقد سلمتها لك. كل ما تحتاج إليه هو أن تكون صبورا وتنهى تدريبك".

حدقت ليلى فى إدوينا، قائلة: "لكنك عضوة فى تنظيم مفيستو".

قالت إدوينا: "وعرفت كيف أستغلهم، فقد عرفت كيف أجذبهم إلى اللعبة. تعتقدين أن كل هذا يتعلق بك، لكنه فى الواقع يتعلق بهم، وبالدمار الذى تسببوا لنا فيه عبر السنوات. والآن سنتغلب عليهم". ونظرت إلى النار، مضيفة: "سنحتاج إلى أخشاب أكثر، سأخرج وأحضر بعض الأخشاب".

قال دومينيك: "لا أعتقد أن ذلك أمر ضرورى. فهذا المنزل جاف مثل علبة الكبريت. كل ما يتطلبه الأمر شرارة للتخلص منه".

هزت ليلى رأسها قائلة: "أنتم تقتلونهم جميعا ...".

قالت إدوينا: "كان ذلك دائما ما فكرنا فيه وسيكونون نائمين طوال الحريق".

قال دومينيك: "لن يكون ذلك مثل قتل جويس أودونيل، لكن على الأقل أنت مستيقظة لتستمتعى به يا ليلى". وحمل القضيب ودفعه بعمق فى اللهب قائلاً: "الشىء الملائم فى النيران هو مدى كفاءتها فى استهلاك اللحم، لا تترك شيئا إلا العظام المتفحمة، فلن يعرف أحد كيف كان موتك لأنهم لن يروا الجروح أبدا، وآثار السفع. سيعتقدون أنك احترقت ببساطة كالآخرين، أثناء نومك. حادث مؤسف، ستنجو منه

أمى فقط. ولن يعرفوا أبدا أنك صرخت لساعات قبل أن تموتى". وسحب القضيب من اللهب.

نهضت ليلى على قدميها بصعوبة والدماء تنزف من يديها. واندفعت تجاه الباب، لكن قبل أن تصل إليه اندفع الكلبان ليقفا أمامها. وتجمدت فى مكانها محدقة فى أسنانهما الظاهرة. شعرت ليلى بيدين تمسكان بذراعيها ووجدت إدوينا تجرها إلى الخلف تجاه المدفأة. حاولت ليلى، صارخة، التملص من قبضتها ولوحت بيدها فى الهواء بشكل غير واع محاولة الهروب، وشعرت بالرضا عندما خمشت وجنتى إدوينا بيديها.

وكان الكلبان هما من أسقطاها على الأرض مرة ثانية، فقد هجم الكلبان على ظهرها وأسقطاها على الأرض.

أمرهما دومينيك: "أتركاها!".

تراجع الكلبان، وركلت إدوينا، وهى تمسك بوجهها المخدوش، ليلى ركلة انتقامية فى ضلوعها، فتدحرجت ليلى مبتعدة وهى تشعر بألم شديد لا يمكنها من التقاط أنفاسها. وعبر الضباب الذى غشى عينيها بسبب الألم، رأت حذاء دومينيك يتحرك مقتربا، وشعرت بإدوينا تقبض على معصميها وتثبتهما فى الأرض. ونظرت للأعلى، فى وجه دومينيك، إلى عينين عكستا وهج النيران كالفحم المحترق.

وقال لها: "مرحبا بك فى الجحيم". وكان ممسكا بالقضيب الساخن فى يده.

ثنت ليلى جسدها صارخة، أثناء محاولتها تحرير نفسها، لكن كانت قبضة إدوينا قوية جدا. وعندما أدنى دومينيك القضيب أبعدت وجهها عنه حتى التصقت وجنتاها بالأرضية، وأغلقت عينيها استعدادا للألم الذى سيأتى.

ومر الدفء فجأة من أمام وجهها، وسمعت شهقة إدوينا وصوت ارتطام القضيب على الأرضية، وفجأة تحررت يدا ليلى.

وفتحت عينيها لترى الكلبين يجريان عبر الحجرة تجاه جان ريزولى، فرفعت جان سلاحها وأطلقت النيران مرة ثانية. وسقط أحد الكلبين، لكن كان الآخر فى الهواء بالفعل يطير كصاروخ أسود. وأطلقت جان طلقة واحدة أخيرة فى نفس الوقت الذى سقط فيه الكلب عليها. وسقطت جان والكلب على الأرض وسقط سلاح جان بعيدا، وبدأت جان تصارع الكلب المصاب بالطلق النارى.

ناحت إدوينا قائلة: "لا". وجلست على ركبتيها بجوار ابنها الذى سقط على الأرض تمسح وجهه وتمسح بيدها على شعره قائلة: "لا يمكن أن تموت! فأنت المختار".

ناضلت ليلى لتنهض واقفة وهى تشعر بالحجرة تدور من حولها. وفى وهج اللهب الشديد رأت إدوينا تنهض على قدميها كالشيطان المنتقم، ورأت المرأة تنحنى وتمسك بسلاح جان النارى.

أصبحت الحجرة أكثر جنونا عندما ترنحت ليلى ولا يتوقف دوران الصور فى عينيها. اللهب، إدوينا، وبركة دماء دومينيك التى تزداد اتساعا وتتلألأ فى ضوء اللهب.

وقضيب تقليب الخشب في المدفأة.

ارتعش الكلب رعشة أخيرة وحاسمة فأزاحته جان بعيدا. ورأت الجثة ممدة على الأرض متدلية اللسان. وفى تلك اللحظة فقط ركزت جان على إدوينا الواقفة فوقها، وعلى السلاح الذى يومض فى يدها.

قالت إدوينا: "سينتهى كل شىء هنا الليلة. أنت ومفيستو". ورفعت السلاح النارى ورأت عضلاتها المشدودة وهى تضغط على مقبض المسدس. وكان كل تركيزها منصبًا على جان لدرجة أنها لم تر القضيب وهو يندفع إلى رأسها مباشرة.

انغرس القضيب المعدنى فى جمجمة إدوينا، وشعرت ليلى بفرقعة العظام المتكسرة التى انتقلت إلى ذراعها مباشرة عبر

قضيب الحديد المطاوع. وسقطت إدوينا على الأرض بدون إطلاق أى صوت أو التفوه بكلمة. وأفلتت ليلى القضيب من قبضتها وأطلق القضيب المعدنى صوتا عند اصطدامه بالأرضية الخشبية. حدقت للأسفل إلى ما فعلته للتو، إلى رأس إدوينا وجمجمتها المجوفة. وإلى الدم المتدفق مثل النهر الأسود. وفجأة أظلمت الغرفة وشعرت بقدميها ترتعشان من تحتها. وسقطت على الأرض جالسة على فخذيها. وضعت رأسها على صدرها وهى لا تشعر بأى شىء: لا ألم، ولا إحساس بأى من أطرافها.

ولمست جان كتفها قائلة: "ليلى، ليلى أنت تنزفين. دعينى أر ذراعك".

تنفست لاهثة، وأضاءت الحجرة فجأة، ثم رفعت رأسها ببطء مركزة على وجه جان وقالت مهمهمة: "لقد قتلتها".

"لا تنظرى إليها فقط، اتفقنا؟ هيا لنضعك على الأريكة". وانحنت جان لتساعد ليلى على النهوض على قدميها. وتجمدت فى مكانها، وضغطت بقبضة يدها فجأة حول ذراع ليلى.

سمعت ليلى الهمس أيضا، وشعرت بالدم الذى يسرى فى عروقها يتجمد، فحدقت فى دومينيك ورأت أن عينيه كانتا مفتوحتين وواعيتين بما يحدث. تحركت شفتاه وكانت الكلمات التى يقولها خافتة جدا لدرجة أنها سمعت ما يقوله بصعوبة.

"لا ... ليس...".

انحنت جان مقتربة منه لتستمع، لكن ليلى لم تجرؤ على الاقتراب أكثر، يملؤها الخوف من أن يندفع دومينيك تجاهها كالكوبرا. يمكنهم قتله مرارا وتكرارا لكنه يعود دائما، فهو لا يموت أبدا.

الشر لا يموت أبدا.

توهج انعكاس النيران فى بركة الدماء، كما لو كان اللهب نفسه يتسرب على الأرضية، كجحيم ينتشر ودومينيك فى قلبه.

وتحركت شفتاه ثانية: "نحن لا..".

قالت جان: "قلها، أخبرنى".

"نحن لسنا ... الوحيدين".

"ماذا؟". ركعت جان وهى تمسك بأكتاف دومينيك وهزته بقوة، قائلة: "من هناك أيضا؟".

اندفعت آخر أنفاس دومينيك من رئتيه، وانفتح فكه ببطء، وأصبحت ملامح وجهه ملساء كالشمع المغلى. وتركت جان الجثة ونهضت واقفة، ونظرت إلى ليلى، قائلة: "ما الذى قصده بذلك؟".

وحدقت ليلى إلى عينى دومينيك الميتتين، إلى وجه أصبح الآن مرتخيا وخالياً من الحياة، قائلة: "لقد أخبرنا للتو، أن الأمر لم ينته بعد".

# الثامن والثلاثون

بدأت إحدى شاحنات إزالة الثلج العمل على الطريق المؤدى إلى أعلى الجبل، وتردد صدى صوت هدير محركاتها عبر الوادى. نظرت جان الواقفة على سطح المنزل المغطى بالثلج لتلقى نظرة على الطريق بالأسفل، فرأت الشاحنة تتقدم بثبات ممهدة طريقها نحو المنزل، وهى تثير الهواء البارد النقى لتنحت طريقا عبر الثلج المتساقط حديثا. ورفعت جان رأسها إلى الشمس فى محاولة لإزالة كومة الضباب الأخيرة من عقلها، فما إن يتم الانتهاء من تمهيد الطريق سيصل حشد كبير من السيارات الرسمية إلى الجبل: شرطة الولاية، والطب الشرعى، ووحدات مسح مسرح الجريمة، وكان عليها أن تكون منتبهة تماما وجاهزة لأسئلتهم.

حتى لو لم يكن لديها كل الإجابات.

نفضت الثلج من حذائها، وفتحت الباب الزجاجى داخلة المنزل ثانية.

كان الباقون جالسين حول مائدة المطبخ، ولم يرغب أى منهم فى التحرك من مكانه رغم أن الحجرة الكبيرة كانت أكثر دفئاً؛ حيث توجد المدفأة مشتعلة، لكن لم يرغب أى منهم فى البقاء مع الجثث بنفس الغرفة.

وانتهت مورا من إعادة تضميد ذراع ليلى قائلة: "هناك تمزقات كبيرة فى وتر العضلة القابضة، أعتقد أنك بحاجة

إلى جراحة، أو مضادات حيوية على الأقل". ونظرت إلى جان قائلة: "عندما يتم تمهيد الطريق، سيكون أول ما علينا فعله هو توصيلها إلى المستشفى".

قالت جان: "لن يطول الأمر، فشاحنة إزالة الثلج شقت نصف طريقها إلى الجبل". وجلست ناظرة إلى ليلى، مضيفة: "تدركين أن الشرطة سيكون لديها الكثير من الأسئلة من أجلك".

قالت مورا: "يمكنهم الانتظار حتى تحظى بالرعاية الطبية أولاً".

"نعم بالطبع، لكنك تعرفين يا ليلى أنهم سيوجهون إليك أسئلة عما حدث هنا الليلة الماضية".

قالت مورا: "أيمكنك سرد كل ما رأته؟".

قالت جان: "لم أر كل شيء، كنت نائمة طوال منتصف الأحداث تقريبا".

"شكرا لله أنك لم تشربي كل قهوتك، وإلا كنا في عداد الأموات".

قال سانسون: "إنني ألوم نفسي، لم يكن عليَّ النوم على الإطلاق. كان الأمر كله خطئي عندما تركت إدوينا تصب لي كوبا من القهوة".

عبست جان في وجه سانسون، قائلة: "أكنت تخطط أن تظل مستيقظا طوال الليل؟".

"اعتقدت أنه يجب على أحدنا أن يظل متيقظا، تحسبا للظروف".

"إذن، فقد كنت تشك في إدوينا بالفعل؟".

"كلا، وهذا ما يحرجني. عليكم فهم مدى حذرنا عندما نحضر عضوا جديدا، فهم يأتون إلينا من خلال شبكة من المعارف، أشخاص نعرفهم ونثق بهم، ثم نقوم باستعلاماتنا، تحريات عن المرشح ونفحص سيرته الذاتية جيداً، فلم تكن

إدوينا هي من أشك فيها". ونظر إلي ليلي قائلاً: "لم أكن أثق فيك أنت".

سألته جان: "لماذا ليلي بالذات؟".

"في تلك الليلة، عندما فُتح باب حديقتي بالقوة، أتتذكرين أنني أخبرتك أننا نبقيه دائمًا مغلقًا؟".

"نعم".

"ذلك يعني أن شخصا ما فتحه من الداخل، شخص كان في منزلي تلك الليلة، وخمنت أنه ليلي".

قالت مورا: "مازلت لا أفهم، إذا كنت حذرا جدا فيما يتعلق بالمنضمين إلى المنظمة فكيف أخطأت بخصوص إدوينا؟".

"هذا هو ما عليَّ أنا وجوتفرايد أن نجده. كيف تسللت، وكيف خططت للأمر ونفذته؟ لم يظهر عليها أي شيء فقد كان لها مساعدون من داخل تنظيم مفيستو الذين محوا أي شيء يثير الشك في سيرتها الشخصية".

قالت ليلي: "وآخر شيء قاله دومينيك لنا: نحن لسنا الوحيدين".

نظر سانسون إلى جان، قائلاً: "أنا واثق بوجود الكثير منهم، سواء أدركت ذلك أم لا أيتها المحققة، فقد دخلنا حربا. وهي مستمرة منذ قرون وما حدث الليلة الماضية كانت مجرد معركة، فالأسوأ قادم".

وهزت جان رأسها وضحكت ضحكة مرهقة قائلة: "أرى أننا نتحدث عن هؤلاء الشياطين مرة أخرى".

قالت ليلي في يقين: "أؤمن بوجودهم، وأعلم أنهم حقيقيون".

سمعوا صوت شاحنة كشط الثلج بالخارج، الهدير المقترب لمحرك الشاحنة. أخيراً تم تمهيد الطريق ويمكنهم مغادرة هذا الجبل؛ ويمكنهم العودة إلى حياتهم، ف مورا ستعود ثانية إلى دانيال بروفي الذي سيجلب لها إما انكسار قلبها أو الأمل.

وجان ستعود إلى مهمة صانع السلام بين والدها ووالدتها المتصارعين.

وأنا سأعود للمنزل إلى جابريل، فهو ينتظرنى.

نهضت جان وسارت إلى النافذة. فى الخارج تلألأت أشعة الشمس على الثلج الأبيض. والسماء خالية من الغيوم، ومن الآن سيكون الطريق إلى المنزل رمليا وممهدا. كان يوما جميلاً لتعود فيه إلى المنزل، لتحتضن زوجها وتقبل صغيرتها. لا يمكننى الانتظار لأرى كليهما.

قال سانسون: "مازلت لا تؤمنين أيتها المحققة، أليس كذلك؟ لا تؤمنين بوجود حرب تدور رحاها الآن".

نظرت جان إلى السماء وابتسمت قائلة: "اخترت ألا أؤمن بذلك، لليوم فقط".

# التاسع والثلاثون

الغيوم السوداء قريبة من الأرض الآن، وبوسع ليلى أن تشم رائحة الثلج المتوعد فى الهواء أثناء تحديقها إلى المنزل الذى نشأت فيه. لم تره كما هو الآن، مبنى مهجور رواقه الأمامى منخفض والألواح الخشبية الأمامية للمنزل تحولت إلى اللون الرمادى بفعل عوامل الطقس. لا، فقد رأته كما كان فى أحد أيام الصيف بالنباتات المتسلقة تنمو على التعريشة الخشبية وأصص الغرنوقى الأحمر تتدلى من الإفريز. ورأت أخاها تيدى يخرج من المنزل، وسمعت صوت الباب المغطى بالحجاب المنخلى يغلق وراءه وهو يجرى نازلا درجات السلم. ورأت والدتها فى النافذة، تلوح وهى تناديه: "تيدى، لا تتأخر على الغداء!". ورأت والدها يصفر وبشرته لفحتها الشمس حاملا معه مجرفته تجاه قطعة الأرض التى زرعها بالخضراوات المحببة إلى قلبه. كانت تشعر بالسعادة هنا فى يوم من الأيام. كانت هذه هى الأيام التى ترغب فى تذكرها، الأيام التى تقدرها وتحتفظ بها.

وأى شىء آخر، أى شىء آخر حدث بعد ذلك، سأودعه مع الرفات.

قال رئيس المطافئ: "أأنت متأكدة أنك تريدين فعل ذلك، سيدة سول؟".

وقف طاقمه مستعدا تماما بملابس مضادة للحريق منتظرين الأمر. وبأسفل التل، وقف حشد صغير من أهل البلدة ليشاهدوا ما سيحدث، لكنها ركزت على أنتونى سانسون وجوتفرايد بوم. فقد وثقت بهما، والآن هما يساندانها لتشهد طرد شياطينها أمام عينيها.

استدارت ناظرة إلى المنزل؛ لقد تم نقل الأثاث والتبرع به إلى المؤسسات الخيرية المحلية، باستثناء الأشياء التافهة التى كدسها رجال المطافئ فى حجرة النوم العلوية. المنزل الواقف هناك كان مجرد قشرة خارجية فارغة من الداخل.

قال رئيس المطافئ: "سيدة سول؟".

قالت: "احرقه".

أعطى إشارته، فتقدم رجال المطافئ بخراطيمهم وصفائحهم المليئة بالكيروسين المختلط بوقود محركات الديزل، فلم يكن من المعتاد التضحية بمنزل للتدرب على إطفاء الحرائق، وتقدم الرجال إلى المنزل بحماس متشوقين إلى إخماد النيران. فعلى سبيل التدريب سيضرمون فى المنزل النيران، ثم سيرشونه بالماء ويفعلون ذلك عدة مرات حتى يأتى الوقت الذى يخمدون فيه النار نهائياً.

وبتصاعد الدخان الأسود إلى السماء تراجعت ليلى إلى الخلف لتقف بين الرجلين اللذين تعتبرهما موجهين لها، بل تعتبرهما كأبيها. لم يقل سانسون وبوم أى شىء، لكن ليلى سمعت شهقة بوم الحادة وهو يرى أولى عواميد اللهب تظهر عبر نافذة الدور العلوى، وشعرت بـ سانسون يضع يده على كتفها مهدئا لها. لم تكن فى حاجة إلى دعم: فقد وقفت منتصبة ونظراتها مثبته على النيران. وبالداخل، تلتهم النيران ألواح الأرضية التى مازالت ملطخة بدماء بيتر سول، وتلعق الجدران التى تم تدنيسها برموز شيطانية. هذه الأماكن

لا يجب أن يسمح لها بالبقاء على وجه الأرض. فهذا الشر لا يمكن تطهيره؛ بل يمكن تدميره فقط.

والآن تراجع رجال الإطفاء مبتعدين عن المنزل ليشاهدوا الحريق الهائل الأخير، فارتفعت النيران عبر السطح وتحول الثلج المغلى إلى بخار محدثاً هسيسًا، وخرجت المخالب البرتقالية من النوافذ، وخمشت الألواح الخشبية الجافة. تراجع رجال الإطفاء للخلف بسبب الحرارة أثناء زيادة وتغذية النيران التى بدت كوحش يزأر معلنا انتصاره.

وحدقت ليلى فى قلب النيران التى تلتهم آخر بقايا طفولتها ورأت دقيقة واحدة من حياتها فى إطار من وهج النيران: مساء أحد أيام الصيف، ووالدها ووالدتها وتيدى والقفين فى الشرفة الأمامية، وهم يشاهدون عدوها على الحشائش ملوحة بشبكة فى يدها وحولها العديد من الفراشات تطير كمجموعة متألفة من النجوم ووالدتها تقول: "انظر، لقد أمسكت أختك بواحدة أخرى!" وتيدى يضحك سعيدا ممسكا ببرطمان ليضع فيه الجائزة. وابتسموا إليها، عبر السنين، من مكان لن تتمكن النيران من لمسه أبدا لأنه مكان آمن فى قلبها.

والآن انفجر السطح، وانطلق الشرار فى السماء، وسمعت ليلى شهقات الحاضرين الذين جاءوا لمشاهدة الإثارة الأولية لحريق الشتاء. وعندما بدأت النيران تخمد ببطء، بدأ المشاهدون القادمون من البلدة فى التحول هابطين من التل عائدين إلى سياراتهم فقد انتهت إثارة هذا اليوم. وبقيت ليلى وصديقاها، يشاهدون حتى تم انتهاء آخر عواميد اللهب وخرج الدخان يتلوى من الرماد الأسود. بعد تنظيف هذه البقايا ستقوم بزراعة الأشجار مكانها. ستزرع الكرز المزهر والتفاح البرى. لكن لا يجب أن يكون هناك منزل آخر على هذا التل.

وهبط شىء بارد على أنفها ونظرت للأعلى لترى قشورًا ثلجية سميكة تهبط من السماء. كانت تلك القشور هى

حمـام الثلـج الأخير الذى يطهر روحها مـن كل ما علق بها من مخاوف.

وسألها بوم: " ليلى، أأنت جاهزة للرحيل؟".

ابتسمت قائلة: "نعم، أنا جاهزة". واستدارت لتتبعهما وسار صيادو الشياطين الثلاثة معا هابطين التل.

# الخاتمة

كمتخصصة فى علم الأنثربولوجى بجامعة ستانفورد، كنت مبهورة بالأساطير الخاصة بالعالم القديم، وأعتقد بوجود زوايا من الحقيقة فى القصص التى وصلت إلينا عبر العصور. ومرور هذا الوقت الطويل قد يكون غير الكثير من التفاصيل، لكن حتى أكثر القصص غرابة فى أحداثها قد تكون مبنية على أشخاص حقيقيين وأحداث حقيقية.

ومنذ سنوات قليلة مضت عند تفقدى أحد معارض الكتب فى أكسفورد، بإنجلترا، مررت على نسخة من كتاب إينوخ ترجمها (آر. إتش. شارلز) ولم أستطع منع نفسى من شرائها. وكتاب إينوخ نص قديم، ربما يرجع إلى قرنين قبل ميلاد السيد المسيح. ورغم أنه يحتوى على تاريخ أحد رجال العصور القديمة، إلا أن النصوص تم تجاهلها فى النصوص الدينية بأوروبا وكذبه رجال الدين فى الغرب معتبرينه نصا أبوكريفى. واختفى من التاريخ، ولقرون كان يعتقد أن هذا النص تم فقدانه.

لكنه لم يفقد فى الحقيقه، فقد بقى كتاب إينوخ حيث كان مخفيا فى أماكن سرية عديدة. وفى القرن الثامن عشر عُثر على نسخ سليمة من النصوص فى إثيوبيا مترجمة من

اللاتينية. وفى عام ١٩٤٧، فى كهف على الشاطئ الشمالى الغربى للبحر الميت توصل راعى غنم بدوى إلى كشف رائع: جرار تحتوى على لفافات أثرية. ومن سلسلة الكهوف المحيطة عثروا على سبعة مخطوطات أثرية من كتاب إينوخ مكتوبة باللغة الآرامية.

وبين صفحات النص المفقود لفترة طويلة يقبع سر استمر يحير الباحثين: إنها قصة الحراس، أرواح ساقطة عاشرت النساء، ونتج عن ذلك جنس غير آدمى ابتلى به البشر إلى الأبد:

*تواصلت الأرواح الشريرة عبر أجسادهم؛ لأنهم ولدوا من بشر والحراس هم بدايتهم وأصلهم الرئيسى؛ وسيكونون أرواحاً شريرة على الأرض، وسيسمون بالأرواح الشريرة.*

هذه المخلوقات مزدوجة الجنس، والتى تعرف أيضا بالنيفيلم، تظهر أيضـا فى نص أثرى آخر وهو كتاب جيوبليز. وهنا أيضا يتم وصفهم بأنهم أشرار ومؤذون. ووفقا لـ جيوبليز، تم القضاء على معظم النيفيلم فى عصر الطوفان لكن بقى عشر عددهم وعملوا كخدم للشيطان، وعبر نسلهم الوراثى، سيستمر الشر ليبتلى الأرض.

تقابل الأرواح والنساء لينتجوا وحوشاً هجينة؟ من المؤكد أنها قصة خيالية، وبعقلانية واضحة يعتقد بعض الباحثين أن هذه المعاشرات لم تكن بكل بساطة إلا الزيجات المحرمة بين القبائل المختلفة. وأن الأرواح ترمز إلى رجال من نسل قبائل عريقة، والنساء أتين من قبائل أقل عراقة.

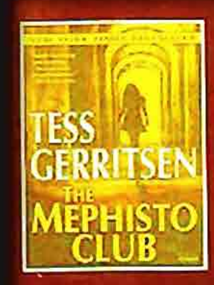
وكروائية لم أستطع التوقف عن التفكير: ماذا لو لم تكن قصة الحراس مجرد قصة رمزية بل كانت تاريخاً حقيقياً؟ ما

الذى سيحدث لو كان النيفيلم حقيقيين، ومازال نسلهم بيننا يحدث الدمار؟

فعبر تاريخ البشرية، ارتكب بعض الأشخاص أفعالا وحشية جدا تجعل الفرد يتساءل عما إذا كانوا من الجنس البشرى، أم أنهم جنس ثانوى عنيف تقودهم حاجات وغرائز مختلفة. إذا صدق الفرد ما هو مكتوب فى إينوخ وجيوبليز، فمن الممكن تفسير أفعال الوحوش الحقيقية مثل المجازر الكبيرة التى ارتكبها الجزار (بول بوت) و (فلاد). والنيفيلم يوجدون بيننا ببساطة، حيوانات مفترسة موجودة بين فريستها. وعندما تسنح الفرصة، عندما ينهار المجتمع أثناء الحروب أو حالات التخبط الاجتماعى، وعندما لا تتمكن قوة القانون من المحافظة على سلامتنا يخرج هؤلاء المفترسون ليلعبوا دورهم.

وعند ذلك فقط نكتشف من هم بالفعل.

الشر ليس له تفسير سهل، فاليوم بعد أكثر من ألفى عام بعد كتاب إينوخ، لم نقترب بعد من فهم سبب وجود الشر، كل ما نعرفه أن الشر موجود.




**«قوية... تزخر بالإثارة في أفضل صورها».**

**- ميسيسبي كلايون ليدجر**

# بيكافي

عبارة لاتينية مكتوبة بالدماء في المكان الذي قتلت فيه امرأة شابة بوحشية: لقد ارتكبتُ خطيئة. إنها تحية عيد رأس سنة شديد البرودة موجهة إلى طبيبة بوسطن الشرعية مورا آيسلز، والمحققة جان ريزولي، التي تربط الضحية بسرعة بنادي مفيستو المشؤوم، وهو مجموعة من الباحثين الذين يهدفون إلى إثبات أن الشيطان نفسه يعيش بيننا متنكراً في هيئة آدمي. وبعد ذلك، بالظهور الرهيب لجثة أخرى، أصبح من الواضح أن شخصا ما - أو شيئاً ما - يطوف في المدينة للفتك بأشخاص معينين. وسرعان ما بدأ أعضاء النادي في الخوف من موضوع دراستهم الرئيسي. هل يمكن أن يكون القاتل المسعور واحداً من أعضاء ناديهم - أم أنهم استدعوا كياناً ما من الظلام بغير قصد؟ دخلت مورا وجان في رحلة مرعبة إلى قلب الشر، متعمقتين في أكثر القضايا غموضاً في تاريخهما الوظيفي.

**«قصة ستجعل القراء يقلبون صفحاتها بحماس شديد».**

**- نيوزداي**

**«معزوفة من الإثارة».**

**- أورلاندو سينتينل**

**«أحداث بالغة التشويق».**

**- بورتسموث هيرالد**



تيس جريتسين طبيبة ومؤلفة حققت أفضل المبيعات حول العالم، ونالت الاستحسان من روايتها الأولى المتعلقة بالإثارة الطبية، وهي رواية الحصاد التي أعلنت جريدة النيويورك تايمز أنها الرواية التي حققت أفضل المبيعات. وهي أيضاً مؤلفة لعدد من أفضل الروايات مبيعاً مثل *The Surgeon, The Apprentice, The Sinner, Body Double, Vanish, Life Support, Bloodstream.* و *Gravity* ، وتعيش تيس جريتسين في ماين. زوروا موقعها على الانترنت: www.tessgerritsen.com

